Aghani vol 12

كتاب
الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثاني عشر

القسم ٤٥-٤٨

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٨

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثاني عشر

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٨ م - ١٣٧٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الثاني عشر

من كتاب الاغاني

اخبار الأعشى وبني عبد المدان

وأخبارهم مع غيره

كان الأعشى قدرياً ولبيد مجبراً :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدثنا العُمَري عن الهيثم بن عدي عن حمّاد الراوية عن سِماك بن حَرب عن يونس ابن متّى راوية الأعشى قال :

كان لبيدٌ مُجبّراً[1] حيث يقول :

مَن هداه سُبُلَ الخيرِ اهتدى ناعمَ البال ومَن شاء أضلّ

وكان الأعشى قَدَرِيّاً[2] حيث يقول :

---

(١) المجبر : الذي يقول بالجبر ، وهو عند أهل الكلام إسناد أفعال العبد الى الله سبحانه إيجاداً وتأثيراً .

(٢) القدري : من ينكر القدر أي ينكر أن يكون الله قد قدّر على عباده شيئاً من خير او شر ، وإنما ذلك موكول الى إرادتهم وقدرتهم ؛ فمن عمل صالحاً فلنفسه .

استأثر اللهُ بالوَفـاء وبالـعدل وولّى الملامـة الرَّجلا

فقلت له: من أين أخذ هذا؟ فقال: أخذه من أساقفة نجران. وكان يعود في كل سنةٍ الى بني عبد المدان، فيمدحهم ويُقيم عندهم ويشرب الخمر معهم وينادمهم، ويسمع من أساقفة نجران قولهم؛ فكلُّ شيء في شعره من هذا فمنهم أخذه.

خبر أساقفة نجران مع النبيّ صلى الله عليه وسلم

فأمّا خبر مباهلتهم(١) النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأخبرني به عليّ بن العبّاس بن الوليد البجليّ المعروف بالمَقانعي(٢) الكوفيّ قال أنبأنا بكّار بن أحمد بن اليسع الهمداني قال حدثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شَهر بن حَوشَب. قال بكّار وحدثنا إسماعيل بن أبانٍ العامريّ عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ عن أبيه عن جده عن عليٍّ عليه السلام، وحديثه أتم الأحاديث. وحدثني به جماعة آخرون بأسانيد مختلفةٍ وألفاظ تزيد وتنقص: فمن حدثني به عليّ بن أحمد بن حامد التميميّ قال حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدثنا حسن بن حسين عن حيّان بن علي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس، وعن الحسن ابن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي رافعٍ عن أبيه عن جدّه عن أبي رافع. وأخبرني عليّ بن موسى الحِمْيَريّ في كتابه قال حدثنا جَندل بن والقٍ قال حدثنا محمد بن عمر عن عبّاد الكَلْبي عن كاملٍ أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عبّاس. وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازةً قال حدثنا أبي قال حدثنا حُصَين بن مُخارقٍ عن عبد الصمد بن علي عن أبيه عن ابن عبّاسٍ. قال الحصين وحدثني أبو الجارود وأبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر، قال:

---

(١) المباهلة: الملاعنة. من معانيها في الجاهلية الملاعنة اي الحكم.

(٢) المقانعي: نسبة الى المقانع جمع مقنعة وهي الخمار.

وحدثني مُحمد بن سالم وخليفة بن حسان عن زيد بن علي عليه السلام . قال حصين وحدثني سعيد بن طريفٍ عن عِكرمة عن ابن عباس . وممن حدثني أيضاً بهذا الحديث علي بن العباس عن بكّار عن اسماعيل بن أبان عن أبي أوَيس المدنيّ عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن . وممن حدثني به أيضاً محمد بن الحسين الأشنانيُّ قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق الراشدي قال حدثني يحيى بن سالم عن جابرٍ عن أبي جعفر عليه السلام . وممن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفيّ عن محمد بن عمرو الخشّاب عن حسين الأشقر عن شريك عن جابر عن أبي جعفر ، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبيّ ، واللفظ للحديث الأول .
قالوا :

قدِم وَفد نصارى نجران وفيهم الأُسقفُ ، والعاقب وأبو حبشٍ ، والسيّد ، وقيس ، وعبد المسيح ، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام – وقال شهر بن حَوشب في حديثه : وهم أربعون حِبراً – حتى وقفوا على اليهود في بيت المِدراس[1] ، فصاحوا بهم : يابنَ صوريّاً يا كعب بن الاشراف ، انزِلوا يا إخوة القرود والخنازير . فنزلوا اليهم ؛ فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً قد غلبكم ! أحضِروا الممتحنة لتمتحنه غداً . فلما صلى النبيُّ صلى الله عليه وسلم الصبح ، قاموا فبركوا بين يديه ، ثم تقدّمهم الأسقفُ فقال : يا أبا القاسم ، موسى مَن أبوه ؟ قال : عِمران . قال : فيوسف مَن أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فأنت مَن أبوك ؟ قال : أبي عبد الله بنُ عبد المطّلب . قال : فعيسى مَن أبوه ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ؛ فأنقضَّ عليه جبريل عليه السلامُ فقال : (إن مثَل عيسى عند الله كمَثَل آدم خلقه من ترابٍ) فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنزا[2] الأسقفُ ثم دِيرَ به مغشياً عليه ، ثم رفع رأسه الى النبيّ صلى الله عليه وسلم

(١) بيت المدراس هنا : البيت التي يتدارس اليهود فيه كتابهم .

(٢) نزا : وثب .

فقال له: أتزعم أنّ الله جلّ وعلا أوحى اليك أنّ عيسى خُلِق من تراب! ما نجدُ هذا فيما أُوحي اليك، ولا نجده فيما أُوحي الينا؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أُوحي اليهم.

فأوحى الله تبارك وتعالى اليه: (فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العِلم فقل تعالَوْا نَدعُ أبناءنا وأَبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنةَ الله على الكاذبين). فقال: أنصفتنا يا أبا القاسم، فمتى نُباهلك؟ فقال: بالغداة إن شاء الله تعالى.

وأنصرف النصارى، وأنصرفتِ اليهود وهي تقول: والله ما نُبالي أيّهما أهلك الله الحنيفيّة أو النصرانية. فلما صارت النصارى الى بيوتها قالوا: والله إنّكم لتعلمون أنه نبيٌّ، ولئن باهلناه إنّا لنخشى أن نهلك، ولكن أستقيلوه لعله يُقيلنا.

وغدا النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الصبح وغدا معه بعليٍّ وفاطمةَ والحسن والحُسين صلواتُ الله عليهم. فلما صلى الصبح، أنصرف فأستقبل الناس بوجهه، ثم برك باركاً، وجاء بعليٍّ فأقامه بين يديه، وجاء بفاطمة فأقامها بين كتفَيه، وجاء بحسنٍ فأقامه عن يمينه، وجاء بحُسَينٍ فأقامه عن يساره. فأقبلوا يستترون بالخُشُب والمسجد فَرَقاً أن يبدأهم بالمُباهلة اذا رآهم، حتى بركوا بين يديه، ثم صاحوا: يا أبا القاسم، أقِلنا أقالك الله عَثْرَتك. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: نعم – قال: ولم يُسأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم شيئاً قطُّ إلّا أعطاه – فقال: قد أقلتكم فولّوْا.

فلمّا ولّوْا قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أما والذي بعثني بالحقِّ لو باهلتهم ما بقي على وجه الأرض نَصرانيٌّ ولا نصرانيّة إلّا أهلكهم الله تعالى». وفي حديث شَهر بن حَوشب أن العاقب وثب فقال: أذكِّركم اللهَ أن نُلاعن هذا

الرجل! فوالله لئن كان كاذباً ما لكم في ملاعنته خيرٌ، ولئن كان صادقاً لا يحول الحول ومنكم نافخ ضَرَمةٍ[1]. فصالحوه ورجعوا.

خبر قبة نجران:

وأما خبر القُبَّة الأَدَمِ التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمي وحبيبُ بن نصر المهلّبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن عمرو الأنصاري عن هشام بن محمد عن أبيه قال:

كان عبد المسيح بن دارس بن عربيّ بن مُعَيقرٍ من أهل نجران، وكانت له قبّة من ثلاثمائة جلدٍ أديمٍ، وكان على نهر بنجران يقال النُّخَيردان. قال: ولم يأتِ القبّة خائفٌ إلّا أمِن، ولا جائعٌ إلّا شبع؛ وكان يستغلّ من ذلك النهر عشرةَ آلاف دينارٍ، وكانت القبّة تستغرق ذلك كله. وكان أوّل من نزل نجران من بني الحارث بن كعب يزيدَ بن عبد المَدان بن الدَّيَّان. وذلك أنّ عبد المسيح بن دارسٍ زوّج يزيد بنَ عبد المدان ابنته رُهَيمة، فولدت له عبد الله بن يزيد؛ فهم بالكوفة: ومات عبد المسيح، فأنتقل ماله الى يزيد؛ فكان أوّل حارثيّ حلّ في نجران. وفي ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة:

فكعبةُ نجران حَتمٌ عليـــك حتى تُناخي بأبوابها
تزورُ يزيد وعبدَ المسيح وقيساً هُمُ خـير أربابها

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال حدثني بعض بني الحارث بن كعب، وأخبرني عمي قال حدثني عبد الله ابن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن الصبّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال:

---

(١) الضرمة: الجمرة؛ يقال: ما في الدار نافخ ضرمة، أي ما فيها أحد.

اجتمع يزيد بن عبد المَدان وعامرُ بن الطُّفَيل بموسم عُكاظَ، وقَدِم أُمية ابن الأسكر الكناني ومعه ابنةٌ له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيد وعامرٌ. فقالت أمّ كلابٍ امرأةُ أُميَّة بنِ الأسكر: مَن هذان الرجلان؟ فقال: هذا يزيد ابن عبد المدان بن الديَّان، وهذا عامر بن الطُّفَيل. فقالت: أعرف بني الديّان ولا أعرف عامراً. فقال: هل سمعتِ بملاعِب الأَسنَّة[١]؟ فقالت نعم. قال: فهذا ابنُ أخيه. وأقبل يزيد فقال: يا أُمية، أنا ابن الديّان صاحبُ الكثيبِ[٢]، ورئيس مذحج، ومُكَلِّم العقاب، ومَن كان يُصَوِّب أصابعه فتنطف[٣] دماً، ويَدلك راحتيه فتُخرجان ذهباً. فقال أُمَيَّة: بَخٍ بَخٍ. فقال عامر: جَدّي الأَخرَمُ، وعمّي مُلاعبُ الأسنَّة، وأَبي فارسُ قُرزُل[٤]. فقال أميَّة: بَخْ بَخْ! مَرعًى ولا كالسعدان[٥]. فأرسلها مثلاً.

فقال يزيد: يا عامرُ، هل تعلَم شاعراً من قومي رَحل بمدحةٍ الى رجلٍ من قومك؟ قال: اللّهمّ لا. قال: فهل تعلم أنّ شعراء قومك يرحلون بمدائحهم الى قومي؟ قال اللّهمّ نعم. قال: فهل لكم نجمٌ يمانٍ أو بُردٌ يمانٍ أو سيفٌ يمانٍ أو رُكنٌ يمانٍ؟ قال لا. قال: فهل مَلَكناكم ولم تملكونا؟ قال نعم. فنهض يزيد وأنشأ يقول:

أُميَّ يا ابنَ الأسكر بن مُدلجٍ لا تجعلَنْ هوازناً كمَذحِجِ

---

(١) هو أبو البراء عامر بن مالك؛ سمي بملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه:

فلاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

(٢) الكثيب هنا: موضع بساحل بحر اليمن.

(٣) تنطف: تقطر.

(٤) قرزل: فرس لطفيل بن مالك أبي عامر بن الطفيل.

(٥) السعدان: نبت، ومنابته السهول.

إنّك إن تَلهجْ بأمرٍ تَلجج ما النبع في مَغرسه كالعوسجِ[١]
ولا الصَّريح[٢] المحضُ كالمُمَزّجِ

قال : فقال مُرّةُ بن دودان النُّفيليّ وكان عدواً لعامر :

يا ليتَ شِعري عنك يا يزيدُ ماذا الذي من عامرٍ تُريدُ
لكلّ قومٍ فخركم عتيدُ أمطلقون نحن أم عبيدُ
لا بل عبيدٌ زادُنا الهَبيدُ[٣]

قال : فزوّج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته . فقال يزيد في ذلك :

يا للرّجال لطارق الأحزان ولعامرِ بن طُفيلٍ الوَسنان
كانت إتاوةُ قومه لمحرّقٍ[٤] زمناً وصارتْ بعد للنّعمان
عدَّ الفوارس من هَوازن كلّها فخراً عليّ وجئتُ بالدّيان
فإذا ليَ الشرَفُ المبين بوالدٍ ضخم الدَّسيعة[٥] زانني وغَماني
يا عامُ إنك فارسٌ ذو مَيعةٍ[٦] غَضّ الشباب أخو ندًى وقيان
وأعلمْ بأنك يا ابنَ فارس قُرزُلٍ دون الذي تسعى له وتُداني
ليستْ فوارسُ عامرٍ بمُقِرّةٍ لك بالفضيلة في بني عَيلان

---

(١) النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام ، ينبت في قلل الجبال . والعوسج : ضرب من الشوك .

(٢) الصريح : الخالص من كل شيء .

(٣) الهبيد : حب الحنظل .

(٤) محرق ، لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ ويقال له المحرق الاكبر ، وعمرو بن هند ويقال له المحرق الثاني . ولقب به أيضاً الحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام .

(٥) الدسيعة هنا : العطية .

(٦) ميعة كل شيء : أوّله .

فإذا لقيتَ بني الحِماس ومالكٍ وبني الضِّباب وحيَّ آل قَنانِ [1]
فاسأل عن الرَّجل المنوَّه باسمه والدافع الأعداء عن نجران
يُعطى المقادةَ في فوارس قومه كَرَماً لعمرُك والكريم يَماني

فقال عامر بن الطُّفيل:

عجباً لواصف طارق الأخزان ولِما يجيء به بنو الدَّيانِ
فخرُوا عليَّ بحبوةٍ [2] لمحرِّقٍ وإتاوةٍ سِيقتْ الى النعمان
ما أنت وابنَ مُحرِّقٍ وقبيله وإتاوةُ اللَّخميِّ في عَيلان
فاقصدبفخرك قصدقومكَ قُصرةً ودعِ القبائل من بني قحطان
إن كان سالفةُ الإتاوة فيكم أوْ لا ففخرك فخرُ كلِّ يماني
وافخر برهط بني الحماس ومالكٍ وبني الضِّباب وزَعبلٍ وقَنان
فأنا المعظَّمُ وابن فارس قُرزُلٍ وأبو بَراء زانني وغـاني
وأبو جُزَيءٍ ذو الفعال ومالكٌ مَنعا الذمار صباح كلِّ طِعان
وإذا تعاظمتِ الأمور هَوازنٌ كنت المنوَّه باسمه والباني

فلمَّا رجع القوم الى بني عامر، وثبوا على مُرَّة بن دودان وقالوا له: أنت من بني عامر، وأنت شاعرٌ، ولم تهجُ بني الدَّيَّان! فقال مُرَّةُ:

تُكلِّفني هوازنُ فخرَ قومٍ يقولون: الأنامُ لنا عبيدُ
أبونا مَذحِجٌ وبنو أبيـه إذا ما عُدَّتِ الآباء هُود [3]
وهل لي إن فخرتُ بغير حقٍّ مَقالٌ والأنامُ لهم شهود

(١) الحماس، والضباب، وقنان: قبائل من مذحج.

(٢) الحبوة: العطية.

(٣) هود: جمع هائد، وهو الراجع الى الحق.

فأنى تضرب الأعلام صفحاً عن العلياء أم من ذا يكيد[١]
فقولوا يا بني عيلان كنا لهم قِناً[٢]، فما عنها محيد

وقال ابن الكلبي في هذه الرواية: قدم يزيد بن عبد المدان وعمرو بن معد يكرب ومكشوح المرادي على ابن جفنة زواراً، وعنده وجوه قيس: ملاعب الأسنة عامر بن مالك، ويزيد بن عمرو بن الصعق، ودريد بن الصمة. فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان: ماذا كان يقول الديان إذا أصبح فإنه كان دياناً[٣]. فقال: كان يقول: آمنت بالذي رفع هذه (يعني السماء)، ووضع هذه (يعني الأرض)، وشق هذه (يعني أصابعه)، ثم يخر ساجداً ويقول: سجد وجهي للذي خلقه وهو عاشم[٤]، وما جشمني من شيء فإني جاشم. فإذا رفع رأسه قال:

إن تغفر اللهم تغفر جماً وأي عبد لك ما ألمّا[٥]

فقال ابن جفنة: إن هذا لذو دين. ثم مال على القيسيين وقال: ألا تحدثوني عن هذه الرياح: الجنوب والشمال والدبور والصبا والنكباء، لم سميت بهذه الأسماء؛ فإنه قد أعياني علمها؟ فقال القوم: هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا فيها. فضحك يزيد بن عبد المدان ثم قال: يا خير الفتيان، ما كنت أحسب أن هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوبر. إن العرب تضرب أبياتها في القبلة

---

(١) المعنى: كيف يضرب الاعلام المشهورون صفحاً عن العلياء ويعرضوا عن السعي اليها مع أن ذلك سجية فيهم.

(٢) القن: العبد ملك هو وأبواه.

(٣) المناسب من معاني الديان هنا: الحاكم والسائس والقاضي.

(٤) العاشم: الطامع.

(٥) ألم: باشر اللمم أي صغار الذنوب.

مَطلع الشمس ، لِتُدفِئهم في الشتاء وتزول عنهم في الصيف . فما هَبَّ من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب ، وما هَبَّ عن شماله فهي الشمال ، وما هَبَّ من أمامه فهي الصَّبا ، وما هَبَّ من خلفه فهي الدَّبور ، وما أستدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النَّكباء . فقال ابن جفنة : إنّ هذا للعلم يأبن عبد المدان . وأقبل على القيسيين يسألهم عن النعمان بن المُنذر ، فعابوه وصغَّروه . فنظر أبنُ جفنة الى يزيد فقال له : ماتقول يابنَ عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خير الفتيان ، ليس صغيراً مَن منعك العراق ، وشركك في الشام ، وقيل له ، أبيتَ اللعن ، وقيل لك : يا خيرَ الفتيان ، وألفى أباه ملكاً كما ألفيت أباك ملكاً ؛ فلا يسرُّك مَن يغرُّك ؛ فإنّ هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه . وأيمُ الله ما فيهم رجلٌ إلّا ونعمة النعمان عنده عظيمة !

فغضب عامرُ بن مالك وقال له : يابن الدّيان ! أمَا والله لتحتلبنّ بها دَماً ! فقال له : ولِمَ ؟ أزيدَ في هوازن من لا يعرفه ؟ فقال : لا ! بل هم الذين تعرف . فضحك يزيد ثم قال : ما لهم جُراةُ بني الحارث ، ولا فَتك مُراد ، ولا بأسُ زُبيد ، ولا كَيد جُعفيّ ، ولا مُغارُ طيّئ . وما هم ونحن يا خير الفتيان بسواء ، ما قتلنا أسيراً قطّ ، ولا أشتهينا حُرّةً قط ، ولا بكينا قتيلاً حتى نُبيءَ[1] به . وإن هؤلاء ليعجزون عن ثأرهم ، حتى يُقتل السَّميُّ بالسميّ ، والكنيُّ بالكنيّ ، والجارُ بالجارِ . وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيّين شعراً غدا به على أبن جَفنة :

قالا على النعمان قومٌ اليهمُ   مَوارده في مُلكه ومَصادرُهْ
على غير ذنبٍ كان منه اليهمُ   سِوى أنّه جادتْ عليهم مَواطره
فباعدهم مِن كلِّ شرٍّ يخافه   وقرّبهم من كلّ خيرٍ يُبادره

---

(١) أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

فظنّوا – وأعراضُ الظنون كثيرةٌ – بأنّ الذي قالوا من الأمرِ ضائرُهْ
فلم يَنقصوه بالذي قيل شَعرةً ولا فُلّلتْ أنيابُـه وأظافره
ولَلحارثُ الجفنيُّ أعلمُ بالذي ينوءُ بـه النعمان إن خفّ طائره
فيا حارُ كم فيهم لنعمان نعمةً من الفضل والمنّ الذي أنا ذاكره
ذنوباً عفا عنهـا ومالا أفاده وعَظماً كسيراً قوّمته جوابره
ولو سال عنك العائبين ابن منذرٍ لقالوا له القول الذي لا يُحاوره

قال: فلما سمع ابن جفنة هذا القول عظُم يزيد في عينه، وأجلسه معه على سريره، وسقاه بيده، وأعطاه عطيَّةً لم يُعطِها أحداً ممن وفد عليه قطُّ.

فلمّا قرّب يزيد ركائبه ليرتحل سمع صوتاً الى جانبه، واذا هو رجلٌ يقول:

أما من شفيعٍ من الزائرين يحبّ الثّنا زَنـدُه ثاقبُ[1]
يُريد ابن جفنة إكرامـه وقـد يمسح الضَّرَّة الحالب
فيُنقذَني من أظافيره وإلّا فإنّي غـداً ذاهب
فقد قلتُ يوماً عـلى كُربةٍ وفي الشَّرب[2] في يثرِب غالب
ألا ليتَ غسّان في مُلكها كلَخمٍ، وقد يُخطئُ الشارب
وما في ابن جفنة من سُبّةٍ وقد خفّ حِلمي بها العازب
كأنّي غريبٌ من الأبعدين وفي الحلق مِنّي شجاً ناشب

فقال يزيد: عليّ بالرجل، فأُتي به. فقال: ما خطبُك؟ أنت تقول هذا الشعر؟ قال: لا! بل قاله رجلٌ من جُذام جفاه ابن جفنة، وكانت له عند النعمان منزلةٌ، فشرب فقال على شرابه شيئاً أنكره عليه ابن جفنة فحبسه، وهو مُخرجه غداً

(١) ثقوب الزند ووريه: كناية عن الكرم وغيره من الخصال المحمودة.

(٢) الشرب (بالفتح): جماعة الشاربين.

فقاتله . فقال له يزيد : أنا أغنيك . فقال له : ومن أنت حتى أعرفك ؟ فقال : أنا يزيد بن عبد المدان . فقال : أنت لها وأبيك ؟ قال : أجل ! قد كفيتُك أمرَ صاحبك، فلا يسمعنّك أحدٌ تُنشد هذا الشعر . وغدا يزيد على ابن جفنة ليودّعه؛ فقال له : حيّاك الله يابن الديّان ! حاجتك . قال تُلحق قُضاعة الشأم بغسّان ، وتُؤثر مَن أتاك من وفود مَذحِج ، وتهب لي الجُذاميّ الذي لا شفيع له إلّا كرمُك . قال : قد فعلتُ . أمَا إنّي حبسته لأهَبَه لسيّد أهل ناحيتك، فكنت ذلك السيّد؛ ووهبه له . فاحتمله يزيد معه ، ولم يزل مجاوراً له بنجران في بني الحارث بن كعب . وقال ابن جفنة لأصحابه : ما كانت يميني لتَفيَ إلّا بقتله أو هِبته لرجلٍ من بني الديّان ؛ فإنّ يميني كانت على هذين الأمرين . فعظم بذلك يزيد في عين أهل الشأم ونَبُه ذكره وشرُف .

استغاث هوازني يزيد في فك أسر أخيه فأغاثه :

وقال ابن الكلبيّ في هذه الرواية عن أبيه : جاور رجلان من هوازن ، يقال لهما عمرٌو وعامرٌ ، في بني مُرّة بن عَوف بن ذبيان، وكانا قد أصابا دماً في قومهما . ثم إنّ قيس بن عاصم المِنقريّ أغار على بني مُرّة بن عوف بن ذبيان ، فأصاب عامراً أسيراً في عدّة أسارى كانوا عند بني مُرّة ، ففدَى كلُّ قومٍ أسيرهم من قيس بن عاصمٍ وتركوا الهوازنيّ ، فاستغاث أخوه بوجوه بني مُرّة : سِنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حَرملةَ والحُصَين بن الحُمام فلم يُغيثوه ، فركب الى موسم عُكاظ ، فأتى منازل مَذحِجٍ ليلاً فنادى :

دعوتُ سناناً وابنَ عوفٍ وحارثاً ... وعاليتُ دعوى بالحُصَين وهاشمٍ
أُعيّرهم في كلّ يومٍ وليلةٍ ... بتَرْكِ أسيرٍ عند قيس بن عاصم
حليفهمُ الأدنى وجارِ بيوتهم ... ومَن كان عمّا سرّهم غيرَ نائم
فصَدّوا وأحداثُ الزمان كثيرةٌ ... وكم في بني العَلّات[1] من مُتصامِم

---

(١) بنو العلات : بنو أمهات شتى من أب واحد .

فيا ليتَ شِعري مَن لإطلاقِ غُلِّهِ ... ومَن ذا الذي يحظى به في المواسمِ

قال: فسمع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات:

أَلا أيهذا الذي لم يُجَبْ ... عليك بحيرٍ يُجَلّي الكُرَبْ
عليك بذا الحيّ من مَذحِجٍ ... فإنهمُ للرّضا والغضب
فنادِ يزيدَ بن عبدِ المَدانِ ... وقَيساً وعمرَو بن مَعدِ يكرِب
يَفُكّوا أخاكَ بأموالهم ... وأقلِل بمثلهم في العرب
أُولاكَ الرؤوس فلا تَعدُهُمْ ... ومَن يجعل الرأسَ مثل الذّنب!

قال: فاتّبع الصوت فلم يرَ أحداً، فغدا على المكشوح، واسمه قيس بن عبد يَغوثَ المُراديّ، فقال له: إنّي وأخي رجلان من بني جُشَمَ بن مُعاوية أصبنا دماً في قومنا، وإن قيس بن عاصم أغار على بني مُرّة وأخي فيهم مُجاورٌ فأخذه أسيراً، فاستغثتُ بسنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثوني. فأتيتُ المَوسم لأُصيبَ به من يَفُكّ أخي، فانتهيت الى منازل مَذحِج، فناديتُ بكذا وكذا، فسمعت من الوادي صوتاً أجابني بكذا وكذا، وقد بدأتُ بك لتفُكّ أخي. فقال له المكشوح: والله إنّ قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قطّ ولا هو لي بجارٍ، ولكن اشترِ أخاكَ منه وعليّ الثمن، ولا يمنعك غلاؤه. ثم أتى عمرَو بن مَعد يكرب فقال له مثلَ ذلك؛ فقال: هل بدأتَ بأحدٍ قبلي؟ قال: نعم! بقيس المكشوح. قال: عليك بمن بدأتَ به. فتركه، وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له: يا أبا النّضر، إنّ من قصتي كذا وكذا. فقال له: مرحباً بك وأهلاً، أبعثُ الى قيس بن عاصم؛ فإن هو وهب لي أخاك شكرتُه، وإلا أغرتُ عليه حتى يَتّقيني بأخيك؛ فإن نِلتها وإلّا دفعتُ اليك كلّ أسير من بني تميم بنجران فاشتريتَ بهم أخاك. قال: هذا الرضا. فأرسل يزيد الى قيس بن عاصم بهذه الأبيات:

يا قَيسُ أرسل أسيراً من بني جُشَمٍ ... إني بكلّ الذي تأتي به جازي

لا تأمنِ الدَّهر أن تشجى بغُصَّته فأختر لنفسك إحمادي وإعزازي
فافككْ أخا مِنقرٍ عنه وقلْ حسناً فيما سُئِلتَ وعَقِبهُ بإنجاز

قال : وبعث بالأبيات رسولاً الى قيس بن عاصم ؛ فأنشده إياها ، ثم قال له : يا أبا عليّ ، إنّ يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ويقول لك : إنّ المعروف قُروض ، ومع اليوم غدٌ . فأطلق لي هذا الجُشَميّ ؛ فإنّ أخاه قد استغاث بأشراف بني مُرّة وبعمرو بن معد يكرب وبمكشوح مُرادٍ فلم يُصِب عندهم حاجته فاستجار بي . ولو أرسلتَ إليّ في جميع أسارى مُضَرَ بنجران لقضيتُ حقَّك . فقال قيس بن عاصم لمن حضره من بني تميم : هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيّد مَذحِج وأبنِ سيّدها ومن لا يزال له فيكم يدٌ ، وهذه فُرصةٌ لكم ، فما ترَون ؟ قالوا : نرى أن نُغليَه عليه ونحكم فيه شططاً[1] ؛ فإنه لن يخذُله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله . فقال قيس : بئس ما رأيتم ! أمَا تخافون سجال الحروب ودُوَل الأيام ومُجازاةَ القروض ! فلمّا أبَوْا عليه قال : بيعونيه ، فأغلَوْه عليه ، فتركه في أيديهم ، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد ، وبعث الى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أنّ الأسير لو كان في يده أو في مِنقر لأخذه وبعث به ، ولكنه في يد رجل من بني سعد . فأرسل يزيد الى السعديّ أن سِرْ إليّ بأسيرك ولك فيه حُكمُك . فأتى به السعديُّ يزيد بن عبد المدان ؛ فقال له : أحتكم . فقال : مائةُ ناقة ورِعاؤها . فقال له يزيد : إنك لقصير الهمة قريبُ الغنى جاهلٌ بأخطار بني الحارث . أمَا والله لقد غبنتك يا أخا بني سعد ، ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنه على جُلّ أموالنا ، ولكنكم يا بني تميم قومٌ قِصارُ الهمم . وأعطاه ما أحتكم . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران .

وقال ابن الكلبيّ : أغار عبدُ المدان على هوازن يوم السَّلْف[2] في جماعةٍ من

(١) الشطط : مجاوزة القدر في بيع أو طلب .

(٢) السلف : مخلاف باليمن .

بني الحارث بن كعب ، وكانت حُمّتُه[1] على بني عامر خاصّة . فلمّا التقى القوم حمل على وَبَر بن مُعاوية النُّميريّ فصرعه ، وثنّى بطفَيل بن مالك فأجرّه[2] الرمحَ ، وطار به فرسُه قُرزُلٌ فنجا ، واستحرّ القتل في بني عامر ، وتبعتْ خيلُ بني الحارث مَن انهزم من بني عامر ، وفي هذه الخيل عُمَيرٌ ومَعقلٌ وكانا من فُرسان بني الحارث بن كعب ، فلم يزالوا بقيّة يومهم لا يُبقون على شيء أصابوه . فقال في ذلك عبدُ المدان :

عَفا من سُلَيمى بطنُ غولٍ[3] فيذبلُ ... فغمرةُ فَيفِ الرّيح فالُمتنخَّلُ[4]
ديارُ التي صادَ الفؤادَ دلالها ... وأغرتْ بها يوم النّوى حين ترحل
فإن تكُ صدّتْ عن هوايَ وراعَها ... نَوازلُ أحداثٍ وشيبٌ مُجلِّل
فيا رُبّ خيلٍ قد هَديتُ بشطبةٍ[5] ... يُعارضها عَبلُ الُجزارة هَيكل[6]
سَبوحٍ[7] اذا جالَ الحزامُ كأنّه ... اذا انجاب عنه النّقعُ في الخيل أجدَل
يُواغِل[8] جُرداً كالقنا حارثيّةً ... عليها قَنانٌ والِحماسُ وزَعبل[9]

---

(١) يريد : شدّته .

(٢) أجرّه الرمح : طعنه به وتركه فيه يجره .

(٣) غول : موضع ، جبل او واد أو ماء ، فيه أقوال . ولعله اسم لعدة مواضع . ويذبل : جبل بنجد .

(٤) غمرة ، وفيف الريح ، والمتنخل : مواضع .

(٥) الشطبة من الخيل : الطويلة السبطة اللحم .

(٦) عبل الجزارة : ضخم الاطراف ، وهي اليدان والرأس والرقبة . فاذا قيل فرس عبل الجزارة ، فانما يريدون اليدين والرجلين وكثرة عصبها ؛ لان عظم الرأس في الخيل هجنة . والهيكل : المرتفع .

(٧) السبوح من الخيل : الذي يسبح بيديه أي يمدها في جريه .

(٨) يواغل جرداً : يدخلها . والجرد من الخيل : القصار الشعر ، وهو في الخيل مدح .

(٩) الحماس ، وقنان وزعبل : قبائل .

مَعاقلهم في كلّ يوم كريهةٍ صدور العوالي والصَّفيحُ المُصقَّلُ (١)
وزَغفٌ من الماذيّ بيضٌ كأنّها نِهاءٌ مَرَتها بالعَشيّاتِ شَمْألُ (٢)
فما ذَرَّ قرن الشمس حتى تلاحقتْ فوارسُ يَهديها عُميرٌ ومَعقلُ
فجالتْ على الحيّ الكلابيّ جولةً فباكَهم وِردٌ من الموت مُعجَلُ
فغادرنَ وَبراً تحجلُ الطيرُ حوله ونجّى طُفيلاً في العجاجة قُرزُلُ
فلم ينجُ إلّا فارسٌ من رِجالهم يُخفّف ركضاً خشية الموت أعزلُ

وليزيد بن عبد المدان أخبارٌ مع درَيد بن الصِمّة قد ذكرتْ مع أخبار دريد في صنعة المعتضد مع أغاني الخلفاء، فأستغني عن إعادتها في هذا الموضع.

أخبرني علي بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السكّري قال حدثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبيدة وابن الكلبي، قالوا:

أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعبٍ على بني عامرٍ، فأسر عامر بن مالك مُلاعب الأسنّة أبا بَراء وأخاه عَبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما. فلمّا مات يزيد بن عبد المدان — واسم عبد المدان عمرو، وكنيته أبو يزيد، وهو ابن الديّان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عمرو — قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت مُلاعب الأسنّة ترثي يزيد بن عبد المدان:

بكيتُ يزيد بن عبد المدا نِ حلّتْ به الأرضُ أثقالَها
شَريكُ الملوك ومَن فضله يَفضُل في المجد أفضالَها

(١) معاقلهم: حصونهم. والعوالي: الرماح. والصفيح المصقل: السيوف.

(٢) الزغف: الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة حسنة السلاسل. يقال: درع زغف وزغفة، ودروع زغف. والماذي هنا: السلاح من الحديد. ونهاء: غدران، واحدها: نهي. ومرتها، يريد مرت عليها فجعدت متونها. وأصل المري مسح الحالب ضرع الحلوبة لتدر. والشمأل: ريح الشمال.

فككتَ أسارى بني جعفرٍ وكِندةَ إذ نِلتَ أقوالَهـا [1]
ورهطُ المُجالد قـد جلَّلتْ فواضل نُعماك أجبالهـا

وقالت أيضاً ترثيه :

سأبكي يزيد بن عبد المدان علـى أنه الأحلمُ الأكرمُ
رِماحٌ من العزم مركوزةٌ مُـلوكٌ إذا برزتْ تحكم

قال : فلامها قومها في ذلك وعيّروها بأن بكت يزيد ؛ فقالت زينب :

ألا أيها الزاري علـيَّ بأنني نِزاريّةٌ أبكي كريماً يمانيا
ومالِيَ لا أبكي يزيد وردَّني أجرُّ جديداً مِدرعي وردائيا

صوت

أطِلْ حمل الشَّناءة لي وبغضي وعِشْ ما شئتَ فانظر مَن تضيرُ
إذا أبصرتني أعرضتَ عني كأنَّ الشمس من قِبَلي تدور

الشعر لعبد الله بن الحشرَج الجعديّ . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ .

---

(١) الاقوال : جمع قيل ، وهو الملك عند أهل اليمن .

أخبار عبد الله بن الحشرج

هو عبد الله بن الحَشْرَج بن الأشهب بن وَرْد بن عمرو بن ربيعة بن جَعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن. وكان عبد الله بن الحشرج سيّداً من سادات قَيس، وأميراً من أمرائها، وَلي أكثر أعمالِ خُراسان، ومن أعمال فارس، وكرمان. وكان جواداً مُمدَّحاً. وفيه يقول زياد الأعجم[1]:

إنّ السماحة والشجاعة والنّدى في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابن الحشرجِ

وله يقول أيضاً:

إذا كنتَ مُرتاد السماحة والنّدى فسائل تخبَّرْ عن ديار الأشاهبِ

نسبه الى الأشهب جدّه. وفي بني الأشهب يقول نابغة بني جعدة:

أبعدَ فوارسٍ يوم الشُّرَيـف[2] آسى وبعد بني الأشهبِ

وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سيّداً شاعراً وأميراً كبيراً. وكان غلب على قُهستان[3] في زمن عبد الله بن خازم، فبعث اليه عبد الله بن خازم المسيَّب بن

---

(١) هو زياد بن سليمان مولى عبد القيس. كان ينزل إصطخر فغلبت العجمة على لسانه، فقيل له الاعجم.

(٢) الشريف: ماء لبني نمير. ويوم الشريف من أيامهم.

(٣) قهستان: تطلق على عدّة مواضع ببلاد العجم، والمشهور بهذا الاسم ناحيـة بين هراة ونيسابور.

أوفى القُشَيريّ ، فقتل الحشرج وأخذ قُهستان . وكان عمه زيادُ بن الأشهب أيضاً شريفاً سيّداً ، وكان قد سار الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – يُصلح بينه وبين مُعاوية على أن يولّيه الشامَ فلم يجبه . وفي ذلك يقول نابغةُ بني جعدة يعتدّ على مُعاوية :

وقام زيادٌ عند باب ابن هاشمٍ يريد صلاحاً بينكم ويُقرّبُ

مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدثنا العمريّ عن عطاء بن مُصعبٍ عن عاصم بن الحَدَثان قال :

جاء الى عبد الله بن الحشرج وهو بقُهستان رجلٌ من قُشَيرٍ يقال له قُدامة ابن الأحرز ، فدخل عليه وأنشأ يقول :

أخٌ وابنُ عمٍّ جاءكم متحرّماً بكُم فارأبوا خلّاته يابنَ حَشرجِ (١)
فأنتَ ابنُ وَردٍ سُدتَ غيرَ مُدافعٍ مَعدّاً على رَغم المَنوط المُعلَهج (٢)
فبرّزتَ عفواً إذ جريتَ ابنَ حَشرجٍ وجاء سُكَيتاً كلُّ أعقدَ أفحج (٣)
سبقتَ ابنَ وَردٍ كلَّ حافٍ وناعلٍ بجدٍّ اذا حار الأضاميمُ مِمعَج (٤)
بوَردِ بن عمرٍو فتهم إنّ مِثله قليلٌ ومَن يَشرِ المحامِدَ يَفلج (٥)

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر . ورأبها : إصلاحها وسدّها .

(٢) المنوط : الدعيّ الذي ينتمي الى قوم ليس هو من أصلهم . والمعلهج : الاحمق الهذر اللئيم ، والدعيّ ، والهجين الذي ولد من جنسين مختلفين .

(٣) السكيت : آخر خيل الحلبة . والاعقد : الملتوي الذنب . والافحج : ذو الفحج ، وهو تداني صدور القدمين وتباعد العقبين . يريد كل ناقص غير تام الخلق .

(٤) الممعج : الكثير المعج ، وهو السرعة في المر . والاضاميم : الجماعات .

(٥) يفلج : يظفر .

هو الواهبُ الأموال والمُشتري اللّها[1] وضرّابُ رأسِ المستميت المُدجّجِ

قال : فأعطاه أربعة آلاف درهم ، وقال : أعذرني يابن عمي ؛ فإني في حالةٍ الله بها عليمٌ من كثرة الطلّاب ، وأنت أحقّ من عذرني . قال : والله لو لم تعطني شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك في عشيرتك ومَن انقطع اليك لعذرتُك ، فكيف وقد أجزلت العطاء ، وأرغمت الأعداء !

وكان لابن الحشرج ابنُ عمٍّ يقول للقشيريّ : ويحك ! ليس عنده خير ، وهو يكذُبك ويَملُذُك[2] . فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال :

أطِلْ حملَ الشَّناءةِ لي وبُغضي وعِشْ ما شئتَ فانظُر مَن تَضيرُ
فما بيدَيكَ خيرٌ أرتجيه وغيرُ صدودِك الخطبُ الكبيرُ
إذا أبصرتني أعرضتَ عنّي كأنّ الشمس من قِبلي تدور
وكيف تعيبُ مَن تُمسي فقيراً اليه حين تخزُبك الأمور
ومَن إن بِعتَ منزلةً بأخرى حللتَ بأمره وبه تسير
أتزعمُ أنني مَلِذٌ كذوبٌ وأنّ المكرُمات لديّ بُور
وكيف أكون كذّاباً مَلوذاً وعندي يطلب الفرَج الضَّرير
أواسي في النوائب من أتاني ويُجبَرُ بي أخو الضُرّ الفقير

أخبرني محمد بن خلفٍ قال حدثنا أحمد بن الهيثم عن العمريّ عن عطاء بن مُصعبٍ عن عاصم بن الحدثان قال :

أعطى عبد الله بن الحشرج بخراسان حتى أعطى مِنشفةً كانت عليه وأعطى

(١) اللها : جمع لهاة ، وهي في الاصل اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم . والشاعر يكنى بها هنا عن الثناء والمديح .

(٢) ملذه : أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسر من غير فعل .

فراشه ولحافه . فقالت له امرأته : لشدَّ ما تلاعبَ بكَ الشيطان ، وصرتَ من إخوانه مبذِراً ؛ كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إنّ المُبَذِّرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ . فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زُوَيِّ النَّهديّ وكان أخاً له وصديقاً : يا رِفاعة ، ألا تسمع الى ما قالت هذه الوَرهاء[1] وما تتكلّم به ؟! فقال : صدقتْ والله وَبَرَّتْ ! إنّك لمبذِّر ، وإنّ المبذِّرين لإخوانُ الشياطين . فقال ابن الحشرج في ذلك :

متى يأتنا الغيثُ المُغيثُ نجد لنا ⁂ مَكارمَ مـا تَعيا بأموالنا التُّلْدِ[2]
مـكارمَ ما جُدنا به إذ تمنَّعتْ ⁂ رجالٌ وضنَّت في الرَّخاء وفي الجهد
أرَدنا بما جُدنا به من تـلادنا ⁂ خلاف الذي يأتي خيار بني نَهـد
تَلومُ عـلى اتلافيَ المال طلّتي[3] ⁂ ويُسعدها نَهدُ[4] بن زَيدٍ على الزُّهد
أنَهدُ بن زَيدٍ لست منكم فتُشفقوا ⁂ عليَّ ولا منكم غواتي ولا رُشدي

— أراد « غوايتي » فحذف الياء ضرورة —

أبيتُ صغـيراً ناشئاً ما أردتُمُ ⁂ وكهلاً وحتى تُبصروني في اللّحدِ
سأبذُلُ مالي إنّ مالي ذخـيرةٌ ⁂ لعقبي وما أجني بـه ثمرَ الخلد
ولستُ بمبكاء على الزّاد باسلٍ[5] ⁂ يهرُّ على الأزواد كالأسد الوَرد
ولـكنني سَمحٌ بما حزتُ باذلٌ ⁂ لِما كُلِّفتْ كفّايَ في الزّمن الجَعد
بذلك أوصاني الرُّقادُ وقبـله ⁂ أبوه بأن أعطي وأوفيَ بالعهـد

---

(١) الورهاء : الحمقاء .

(٢) التلد : المال القديم ، كالتالد والتليد . وفي الكلام قلب ، أي نجد لنا مكارم ما تعيا بهـا أموالنا التلد .

(٣) طلة الرجل : زوجه .

(٤) نهد بن زيد : القبيلة التي منها رفاعة بن زوي النهدي الذي تقدّم .

(٥) باسل هنا : غاضب .

الرُّقاد: ابن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب وهو من عمومته، وكان شجاعاً سيِّداً جواداً.

قال عطاء بن مُصعب: وقال عبد الله بن الحشرج أيضاً في ذلك هذه القصيدة — وقد ذكر ابن الكلبيّ وأبو اليقظان شيئاً من هذه القصيدة في كتابيهما المصنَّفين ونسباها اليه —:

سأجعل مالي دون عِرضي وَقايةً ... من الذمِّ؛ إن المالَ يَفنى ويَنفَدُ
ويُبقي ليَ الجودُ اصطناعَ عشيرتي ... وغيرِهم، والجودُ عِزٌّ مُؤبَّد
ومُتَّخذٍ ذَنباً عليَّ سَماحتي ... بمالي، ونارُ البُخل بالذمِّ تُوقَد
يَبيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ ... ولكنه للمرء فضلٌ مُؤكَّد
ولا شيء يبقى للفتى غيرُ جوده ... بما ملكتْ كفَّاهُ والقومُ شُهَّد
ولائمةٍ في الجود نهنهتُ غربها[1] ... وقلتُ لها بَني المكارم أحمد
فلمَّا ألحَّتْ في الملامة وأعترت ... بذلك غيظي واعتراها التبلُّد
عرضتُ عليها خصلتين سماحتي ... وتطليقها والكفُّ عنّيَ أرشد
فلجَّت وقالت أنت غاوٍ مبذِّرٌ ... قرينك شيطانٌ مَريدٌ[2] مفنَّد
فقلت لها بيني فما فيكِ رغبةٌ ... ولي عنكِ في النِّسوان ظِلٌّ ومقعد
وعيشٌ أنيقٌ والنساء معادنٌ ... فمنهنّ غُلٌّ شرُّها يتمرَّد[3]
لها كلَّ يوم فوق رأسيَ عارضٌ ... من الشرِّ بَرّاقٌ يَدَ الدهر يُرعِد
وأخرى يلذُّ العيشُ منها، ضجيعها ... كريمٌ يُغاديه من الطير أسعد
فيا رُجلاً حُرّاً خذِ القصدَ واترك الـ ... ـبلايا فإنَّ الموت للناس مَوعد

---

(١) نهنهت غربها: كفكفت حدّتها وزجرتها.

(٢) المريد: الخبيث المتمرّد الشرير. ومفند: مضعف الرأي.

(٣) يتمرّد هنا: يتجاوز الحدّ.

فعِشْ ناعماً وأترُك مقالةَ عاذِلٍ يلومك في بَــذل النَّدى ويُفَنِّدُ
وجُدْ باللُّها[١] إنّ السماحة والندى هي الغاية القُصوى وفيها التمجُّد
وحسبُ الفتى مجداً سماحةُ كفِّه وذو المجــد محمود الفعال محسَّد

طلق امرأته لعذله إياه فلامه حنظلة بن الأشهب فقال شعراً :

قال فقالت له امرأته : والله ما وفقك الله لحظِّك ! أنهبتَ مالك وبذّرتــه واعطيته هيَّان[٢] بن بيَّان ، ومن لا تدري من أي هافيةٍ هو ! قال : فغضب فطلّقها، وكان لها محبّاً وبها مُعجباً . فعنَّفه فيها ابن عمٍّ لهــا يقال له حنظلة بن الاشهب بن رميلة ، وقال له : نصحتْك فكافأتَها بالطّلاق ! فوالله ما وُفقتَ لرشدك ، ولا نلتَ حظك ، ولقد خاب سعيُك بعدها عند ذوي الالباب . فهــلّا مضيتَ لطيَّتك[٣]، وجريتَ على مَيدانك ، ولم تلتفت الى امرأةٍ من أهل الجهالة والطَّيش لم تُخلَق للمشورة ولا مثلُ رأيها يُقتدى به ! فقال ابن الحشرج لحنظلة .

أحنظل دع عنك الذي نال مالَــه ليحمده الاقــوامُ في كل محفلِ
فكم من فقيرٍ بائس قد جَبرتُه ومن عائلٍ[٤] أغنيتُ بعد التَّعيُّــل
ومن مُترفٍ[٥] عن منهج الحقّ جائرٍ علوتُ بعضبٍ ذي غرارين مِقصل[٦]
وزارٍ عليَّ الجودَ والجودُ شيمــتي فقلتُ له دعني وكُن غير مُفضِل

---

(١) اللها : العطايا ، واحدتها لهوة .

(٢) هيان بن بيان : يقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف أبوه .

(٣) مضى لطيته اي لقصده ونيته التي انتواها .

(٤) العائل هنا : الفقير .

(٥) المترف هنا : الجبار الذي أطغته النعمة .

(٦) السيف المقصل : القطاع .

فمثلك قد عاصيتُ دهراً ولم أكن   لأسمعَ أقوالَ اللئيم المُبخِّلِ
أبى لي جَدي البُخلَ مذ كنتُ يافعاً   صغيراً ومن يَبخل يُلم ويُضلَّل
ويستغنِ عنه الناسُ، فاركبْ محجَّة الـ   ـكرام ودع ما أنت عنه بمعزل
فإني امروٌ لا أصحبُ الدهرَ باخلاً   لئيماً وخير الناس كلٌّ مُعذَّل
ومُستحمقٍ غاوٍ أتته نذيرتي[1]   فلجَّ ولم يعرف مَعرَّةَ مِقوَلي[2]
نفحتُ ببيتٍ يملأ الفمَ شاردٍ   له حبَرٌ كأنه حِبْرُ مِغول[3]
فكفَّ — ولو لم أرمه شاع قوله —   وصار كِدرياق الذُّعاف المُثمَّل[4]
وليلٍ دجوجيٍّ سريتُ ظلامَه   بناجيةٍ كالبرج[5] وجناء عيهل[6]
الى ملكٍ من آل مَروانَ ماجدٍ   كريم المُحيَّا سيدٍ مُتفضِّل
يجود اذا ضنَّت قريشٌ برفدها   ويسبقُها في كل يوم تفضُّل
أبوه أبو العاصي اذا الحربُ شمَّرت   مَراها[7] بمسنون الغِرارين منجل
وقورٌ اذا هاجتْ به الحربُ مِرجمٌ   صَبورٌ عليها غيرُ نِكسٍ مُهلَّل[8]

---

(١) النذيرة : طليعة الجيش التي تنبه بأمر العدو . والمراد هنا الانذار والكلام العنيف .

(٢) معرة مقولي : اذى لساني .

(٣) الحبر : الاثر يبقى من الضربة في الجسم . والمغول : شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه ، او هو سوط في جوفه سيف دقيق .

(٤) الدرياق (ويقال فيه الترياق) : دواء تعالج به السموم . والذعاف : السم القاتل لساعته . والمثمل : السم المنقع .

(٥) البرج : الحصن . يصفها بالضخامة .

(٦) ليل دجوجي : مظلم شديد السواد . والناجية من النوق : السريعة . والوجناء : الشديدة والعيهل : السريعة .

(٧) مرى الناقة : مسح ضرعها لتدر . والمرى هنا مجاز . ومسنون الغرارين : كناية عن الرمح . والمنجل : الواسع الجرح من الاسنة .

(٨) المرجم من الرجال : الشديد ، كأنه يرجم به عدوه . والنكس الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه . والمهلل : الجبان ، يقال : هلل الرجل ، اذا فرّ وجبن .

أَقام لأهل الارض دِينَ محمدٍ وقد أدبروا وأرتابَ كلُّ مُضلَّلِ
فما زال حتى قوَّم الدين سيفه وعَزَّ[1] بجزمٍ كلَّ قرمٍ مُحجَّلِ
وغادر أهلَ الشَّكِّ شتّى ، فنهمُ قتيلٌ وناجٍ فوق أجرَدَ هيكلِ
نجا من رماح القوم قُدماً[2] وقد بدا تباشيره في العارض المتهلّلِ

قال عاصم : يعني بهذا المدح محمد بن مروان لمّا قتل مصعب بن الزُّبير بدَير الجاثليق[3] . وكان محمد بن مروان يقوم بأمره ، ويولّيه الأعمال ، ويشفع له الى أخيه عبد الملك :

أخبرني محمد بن خلفٍ قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمريّ عن عطاء ابن مُصعب عن عاصم بن الحدثان قال :

قال عبد الله بن الحشرج لابن عمٍّ له لامه في إنهاب ماله وتبذيره إيّاه ، وقال له فيما يقول : امرأتك كانت أعلمَ بك ، نصحتك فكافأتها بالطلاق . فقال له . يابنَ عمّ ، إن المرأة لم تخلق للمشورة ، وإنما خُلقت وِثاراً للباءة . ووالله إن الرُّشد واليُمنَ لفي خلاف المرأة . يابنَ عمّ ، إيّاك واستماع كلام النساء والأخذ به ؛ فإنك إن أخذت به ندمتَ . فقال له ابن عمه : والله ليُوشكنّ أن تحتاج يوماً الى بعض ما أتلفتَ فلا تقدر عليه ولا يُخلفه عليك هَنٌ وهَنٌ[4] . فقال ابن الحشرج :

وعاذلةٍ هَبَّت بليلٍ تلومُني وتعذُلُني فيما أُفيدُ وأُتلِفُ

(١) عزّ هنا : غلب . والقرم هنا : السيد من الرجال .

(٢) يقال : مضى فلان قدماً ، اذا مضى امامه لم يعرج ولم يثنه شيء .

(٣) دير الجاثليق : كان قرب بغداد ، غربي دجلة بين السواد وأرض تكريت .

(٤) هن : كناية عن اسم الانسان ، اي لا يخلفه عليك فلان وفلان .

تلوَّمتُها[١] حتى إذا هي أكثرتْ أتيتُ الذي كانت لديَّ تَوكَّفُ[٢]
وقلتُ عليكِ الفجّ[٣] أكثرت في الندى ومثلي تحاماه الألدُّ المغطرف[٤]
أبى ليَ ما قد سُمتني غيرُ واحدٍ أبٌ وجُدودٌ مجدها ليس يُوصف
كهولٌ وشُبانٌ مضَوْا لسبيلهم اذا ذكروا فالعينُ مني تذرِف
هُمُ الغيثُ إن ضنَّت سماءٌ بقطرها وعندهم يرجو الحيا متلهِّف
وحَربٍ يخاف الناس شدَّة عرِّها[٥] تظلُّ بأنواع المنيَّة تَصرف[٦]
حمَوْها وقاموا بالسيوف لحَميها اذا فنيتْ أضحتْ لهم وهي تعصِف
فلمَّا أبتْ إلَّا طِماحاً تنمَّروا بأسيافهم والقومُ فيهم تعجرف[٧]
فذلَّت وأعطتْ بالقياد وأذعنتْ اذا ما اشتهى قومي وذو الذُّل ينصِف
وكانت طَموحَ الرأس يصرف نابُها من الشرِّ تاراتٍ وطوراً تَقفقف[٨]
فلمَّا امترَينا بالسيوف خُلوفها تأبتْ علينا والأسنَّةُ تَرعَف[٩]
فدرَّتْ طِباقاً[١٠] وأرعوتْ بعد جهلها وكنَّا رِماماً[١١] للذي يتصلَّف

---

(١) تلومتها : امهلتها وانتظرت عليها .

(٢) توكف : توقع . وأصله «تتوكف» .

(٣) الفج : الطريق الواسع البين . اي الزمي الطريق الواضح . يريد بذلك تسريحها وتطليقها . وقوله أكثرت في الندى اي أكثرت الكلام واللوم فيه .

(٤) تحاماه : توقاه واجتنبه . والالد من الرجال : الشديد الخصومة والجدل . والمغطرف : المتكبر المختال .

(٥) العر : الشر والاذى .

(٦) تصرف : تصوّت .

(٧) التعجرف ، ومثله العجرفة والعجرفية : ركوبك الامر لا تروّي فيه .

(٨) قفقف وتقفقف : ارتعد .

(٩) امترينا : حلبنا . والخلوف : جمع خلف وهو هنا حلمة الضرع .

(١٠) طباقاً : دفعات متوالية .

(١١) الرمام : جمع رمة (بالضم) وهي قطعة يشدّ بها الاسير ويقلد بها البعير . ويتصلف : يتكبر .

قال : وقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زُوَيّ النهديّ فيا كان يلومُه فيه من التبذير والجود .

ألامُ على جودي وما خِلتُ أنني ... ببَذلي وجودي جُرت عن منهج القصدِ
فيا لائمي في الجود أقصِر فإنني ... سأبذل مالي في الرّخاء وفي الجهد
وجدتُ الفتى يَفنى وتبقى فِعالهُ[1] ... ولا شيء خيرٌ في الحديث من الحمد
وإني وبالله احتيالي وحرفتي ... أُصيِّرُ جاري بين أحشايَ والكِبد
أرى حقَّه في الناس ما عِشتُ واجباً ... عليَّ وآتي ما أتيتُ على عَمد
وصاحبِ صدقٍ كان لي ففقدتُه ... وصيّرني دهري الى مائقٍ وَغد
يلوم فَعالي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... ويعدو على الجيران كالأسد الوَرد
يُخالفني في كلّ حقٍّ وباطلٍ ... ويأنفُ أن يمشي على مَنهج الرُّشد
فلمّا تمادى قلت غير مُسامحٍ ... له: النّهجَ فاركب يا عسيفَ[2] بني نَهد

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثنا عيسى بن اسماعيل العتكيّ قال حدثنا ابنُ عائشة قال :

مدحه زياد الاعجم فوصله :

وفد زيادٌ الأعجم على عبد الله بن الحشرج الجعديّ وهو بسابُور[3] أميرٌ عليها ، فأمر بإنزاله وألطفه وبعث اليه ما يحتاج اليه . ثم غدا عليه زيادٌ فأنشده :

إنّ السماحة والمروءة والندى ... في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابن الحشرجِ

---

(١) الفعال (بفتح الفاء) : اسم للكرم والفعل الحسن .

(٢) العسيف : الاجير ، والعبد المستهان به .

(٣) سابور : كورة مشهورة بأرض فارس .

مَلكٌ أغرُّ مُتوَّجٌ ذو نائلٍ للمعتفين يمينه لم تَشنَجِ(١)
يا خيرَ مَن صعد المنابرَ بالتُّقى بعد النبيّ المصطفى المُتحَرِّج
لمَّا أتيتك راجياً لنوالكم ألفيتُ بابَ نَوالكم لم يُرتَج

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقد قيل: إنّ الأبيات التي ذكرتُها وفيها الغناء ونسبتها الى عبد الله بن الحشرج لغيره. والقول الأصحّ هو الأوّل. أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ قال حدثنا العمريّ عن هشام بن الكلبيّ: أنه سمع أبا باسلٍ الطائي يُنشد هذا الشعر، فقلت: لمن هو؟ فقال: لعمي عنترة بن الأخرس. قال: وكان جدّي أخرَس، فوُلد له سبعةٌ او ثمانيةٌ كلُّهم شاعر أو خطيب. ولعلّ هذا من أكاذيب ابن الكلبيّ، أو حكاه عن رجل ادّعى فيه ما لا يعلم.

صوت

أصاحِ ألا هل من سبيلٍ الى نَجدِ وريح الُخزامى غضَّةً من ثَرَى جَعدِ
وهل لليالينا بذي الرِّمثِ(٢) مَرجعٌ فتشفي جوى الأحزان من لاعجِ الوَجد

عروضه من الطويل. الشعر للطِّرِمّاح بن حكيم. والغناء ليحيى المكيّ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر من كتابه.

---

(١) شنجت يده: تقبضت؛ وتقبض؛ اليد كناية عن البخل، وبسطها كناية عن الكرم.
(٢) ذو الرمث: واد لبني أسد.

أخبار الطرماح ونسبه

هو الطِّرِمّاح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أمان بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء. ويُكنى أبا نفر، وأبا ضبينة. والطِّرِمَّاح: الطويلُ القامة. وقيل: إنه كان يُلقب الطرّاح. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال:

كان الطِّرِمّاح بن حكيم يُلقَّب الطرّاح لقوله:

صوت

ألا أيها الليلُ الطويـلُ ألا ٱرتحِ بصُبح وما الاصباحُ منك بأروحِ
بلى إن للعينين في الصُّبح راحةً بطرحهما طرفيهما كل مَطرح

في هذين البيتين لأحمد بن المكي ثقيل أولُ بالوسطى من كتابه.

والطِّرماح من فحول الشعراء الاسلاميين وفُصحائهم. ومنشؤه بالشأم، وانتقل الى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش اهل الشأم، واعتقد مذهب الشُّراة الأزارقة[1].

---

(١) الشراة: الخوارج. والازارقة طائفة منهم، وهم أصحاب أبي راشد نافع بن الازرق، خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز فغلبوا عليها وعلى كورها، أيام عبد الله بن الزبير، وقتلوا عماله في تلك النواحي.

أخبرني اسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة عن المدائني عن أبي بكر الهذليّ قال :

قدم الطِرِمّاح بن حكيم الكوفة ، فنزل في تيم اللّات بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخٌ من الشراة له سَمتٌ وهيئة ، وكان الطِرِمّاح يُجالسه ويسمع منه ، فرسخ كلامُه في قلبه ، ودعاه الشيخ الى مذهبه ، فقبِله واعتقده أشدّ اعتقادٍ وأصحّه ، حتى مات عليه .

أخبرني ابن دُريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الاصمعيّ عن عمه قال قال رؤبة :

كان الطِرِمّاح والكُميت يصيران إليّ فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به ، فأراه بعدُ في أشعارهما .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعتُ محمد بن حبيبَ يقول :

سألتُ ابن الأعرابي عن ثمانيَ عشرةَ مسألةً كلُّها من غريب شعر الطِرِمّاح ، فلم يعرف منها واحدة ، يقول في جميعها : لا أدري ، لا أدري .

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبّة ، وأخبرنا ابراهيم ابن أيوب قال حدثنا ابن قُتيبةَ ، قالا :

كان الكُميتُ بن زيد صديقاً للطِرِمّاح ، لا يكادان يفترقان في حالٍ من أحوالهما . فقيل للكميت : لا شيءَ أعجبُ من صفاء ما بينك وبين الطِرِمّاح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد : هو شآميّ قحطاني شاريٌّ ، وأنت كوفيٌّ نزاريٌّ شيعيٌّ ، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدّة العصبيّة ؟ فقال : اتفقنا على بُغض العامة .

قال : وأنشد الكميتُ قول الطِرِمّاح :

إذا قُبِضَت نفسُ الطِّرِمّاح أخلقتْ   عُرَى المجد واسترخى عنان القصائدِ

فقال : إي والله ! وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة . وقال عمر بن شبَّة : « والسماحة » مكان « الشجاعة » .

نسخت من كتاب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة — رحمه الله تعالى — بخطه قال حدثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن الأعرابي قال :

وفد الطِّرِمّاح بن حكيم والكُميت بن زيد على مَخلد بن يزيد المهلّبي، فجلس لهما ودعاهما . فتقدم الطرماح لينشد ؛ فقال له : أنشدنا قائماً . فقال : كلّا والله ! ما قَدْرُ الشعر أن أقوم له فيحطّ منّي بقيامي وأُحطّ منه بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب . قيل له : فتنحّ . ودُعي بالكميت فأنشد قائماً ، فأمر له بخمسين ألف درهم . فلمّا خرج الكميت شاطرها الطرّماح ، وقال له : أنت أبا ضبينة أبعدُ هِمّةً وأنا ألطف حيلةً . وكان الطرّماح يُكنى أبا نَفر، وأبا ضَبينة .

ونسخت من كتابه رضي الله عنه : أخبرني الحسن بن سعد قال أخبرني ابن علّاقة قال أخبرني شيخٌ لنا أنّ خالد بن كلثوم أخبره قال :

بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطرّماح والكميت وهما جالسان بقرب باب الفيل[١] ، إذ رأيتُ أعرابياً قد جاء يسحب أهداماً[٢] له، حتى اذا توسّط المسجد خرّ ساجداً ، ثم رمى ببصره فرأى الكميت والطرّماح فقصدهما . فقلت : مَن هذا الحائن[٣] الذي وقع بين هذين الأسدين ! وعجبت من سَجدته في غير موضع

---

(١) باب الفيل : موضع بالكوفة .

(٢) الأهدام : جمع هدم وهو الثوب البالي المرقع .

(٣) الحائن : الهالك ، وكل ما لم يوفق للرشاد فهو حائن .

سجود وغيرِ وقت صلاة . فقصدته ، ثم سلَّمت عليهم ثم جلست أمامهم . فالتفت الى الكميت فقال : أسمعني شيئاً يا أبا المستهل ؛ فأنشده قوله :

أبتْ هذه النفسُ إلّا ادِّكارا

حتى أتى على آخرها . فقال له : أحسنت والله يا أبا المستهلّ في ترقيص هذه القوافي ونظم عِقدها ! ثم التفت الى الطرّماح فقال : أسمعني شيئاً يا أبا ضَبينة ؛ فأنشده كلمته التي يقول فيها :

أساءكَ تقويضُ(١) الخليط المباينِ نعم والنوى قَطّاعـةٌ للقرائنِ

فقال : للهِ درُّ هذا الكلام ! ما أحسن إجابته لرويّتك ! إن كدتُ لأُطيل لك حسداً . ثم قال الأعرابيّ : والله لقد قلتُ بعدكما ثلاثة أشعار ، أمّا أحدها فكدت أطير به في السماء فرحاً . وأمّا الثاني فكدت أدّعي به الخلافة . وأمّا الثالث فرأيت رَقصاناً استفزّني به الجذل حتى أتيتُ عليه . قالوا : فهاتِ ؛ فأنشدهم قوله :

أأنْ توهّمتَ من خرقاء منزلةً ماءُ الصبابة من عينيك مسجوم(٢)

حتى اذا بلغ قوله :

تنجو اذا جعلت تدمى أخِشَّتها وأبتَـلَّ بالزَّبد الجعدِ الخراطيم(٣)

قال : أعلمتم إني في طلب هذا البيت منذ سنةٍ ، فما ظفِرتُ به إلّا آنِفاً ، وأحسبكم قد رأيتم السجدة له . ثم أسمعهم قوله :

---

(١) التقويض هنا : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد. وذلك ان العرب كانوا ينتجعون أيام الكلأ ، فتجتمع منهم قبائل شتى في مكان واحد . فتقع ألفة .

(٢) الصبابة : رقة الشوق . ومسجوم : مصبوب .

(٣) تنجو : تسرع . والأخشة : جمع خشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليجذب بها. والجعد من الزبد : الثخين الغليظ ، فان كان رقيقاً فهو هيّان (بتشديد الياء مكسورة) .

ما بالُ عينك منها الماء يَنسكبُ

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها :

اذا الليلُ عن نَشزٍ تجلّى رَمينه   بأمثـال أبصار النساء الفوارك

قال : فضرب الكميت بيده على صدر الطرّماح ، ثم قال : هذه والله الدّيباجُ لا نسجي ونسجك الكرابيس[١] . فقال الطرماح : لن أقول ذلـك وإن أقررتُ بجودته . فقطَّب ذو الرُّمة وقال : يا طرّماح ! أأنت تحسن ان تقول :

وكائنْ تخطَّتْ ناقتي من مفازةٍ   اليـك ومن أحواضِ ماء مسدَّمِ[٢]
بأعقاره القردان هَزلى كأنها   نوادرُ صِيصاء الهَبيـد المحطَّمِ[٣]

فاصغى الطِرّماح الى الكميت وقال له : فانظر ما أخذ من ثواب هذا الشِعر ! — قال : وهذه قصيدة مدح بها ذو الرُّمّة عبد الملك ، فلم يمدحه فيها ولا ذكره إلّا بهذين البيتين ، وسائرها في ناقته . فلمّا قدِم على عبد الملك بها أنشده إيّاها . فقال له : ما مدحتَ بهذه القصيدة إلا ناقتك ، فخذ منها الثواب . وكان ذو الرُّمّة غير محظوظ من المديح — قال : فلم يفهم ذو الرُّمة قول الطرماح للكميت . فقال له الكميت : إنه ذو الرمة وله فضله ، فأعتِبه[٤] . فقال له الطرماح : معذرةً اليك ! إنّ عِنان الشِعر لفي كفِك ، فارجع مُعتَباً ، وأقول فيك كما قال أبو المستهلّ .

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيي الصولي قالا حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدثني محمد بن ابراهيم بن عَبّاد قال حدثني أبو تمّامٍ الطائيّ قال :

---

(١) الكرابيس : جمع كرباس (بكسر الكاف) وهو ثوب غليظ من القطن .

(٢) الماء المسدم : المتغير لطول العهد .

(٣) الاعقار : جمع عقر . وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الابل اذا وردت . والاعطان : مبارك الإبل . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوي الهزيل منه . يقول : القردان ليس لديها شيء تأكله فهي هزلى ؛ فشبهها بما يشذ ويخرج من ضاوي حب الحنظل .

(٤) أعتبه : أرضاه وأزال عتبه .

مرّ الطرماح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطر في مِشيته . فقال رجل : مَن هذا الخطّار ؟ فسمعه فقال : أنا الذي أقول :

صوت

لقد زادني حُبًّا لنفسي أنّني ... بَغيضٌ الى كلّ امرئٍ غير طائلِ[1]
وأني شقيٌّ باللئام ولا ترى ... شقيًّا بهم إلّا كريمَ الشمائل
اذا رآني ما قطَّع اللحظ بينه ... وبيني فعلَ العارف المتجاهل
ملأْت عليه الأرض حتى كأنّها ... من الضيق في عينيه كِفّةُ[2] حابل

في هذه الابيات لأبي العُبَيس بن حمدون خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرنا اسماعيل بن مجمّع قال حدثنا هشام ابن محمد قال أخبرنا ابن أبي العَمَرّطة الكنديّ قال :

مدح الطرمّاح خالد بن عبد الله القسريّ، فأقبل على العُريان[3] بن الهيثم فقال : إني قد مدحتُ الأمير فأحبّ أن تُدخِلَني عليه . قال : فدخل اليه فقال له : إنّ الطرّماح قد مدحك وقال فيك قولًا حسناً . فقال : ما لي في الشعر من حاجةٍ . فقال العُريان للطرّماح : تراءَ له . فخرج معه[4] ، فلما جاوز دار زيادٍ وصعد المسنّاة[5] اذا شيء قد ارتفع له ، فقال : يا عُريان انظر ، ما هذا ؟ فنظر ثم رجع فقال :

---

(١) رجل غير طائل أي دون خسيس .

(٢) كفة الصائد : حبالته ، أي مصيدته .

(٣) كان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي أحد أشراف العراق المقدمين حين كان خالد القسري أميراً على العراق .

(٤) أي خرج العريان مع خالد .

(٥) المسناة : الأحباس تبنى في وجه السيل .

أصلح الله الأمير! هذا شيء بعث به اليك عبد الله بن أبي موسى من سِجستان؛ فإذا حُمُرٌ وبغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساء. فقال: يا عُريان، أين طرمّاحُك هذا؟ قال: ها هنا. قال: أعطه كلَّ ما قُدِم به. فرجع الى الكوفة بما شاء ولم يُنشده. قال هشام: والطرمّاح: الطويل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثني الحجاجي قال:

بلغني أنّ الطرماح جلس في حَلقةٍ فيها رجلٌ من بني عبس، فأنشد العبسيُّ قولَ كثيِّرٍ في عبد الملك:

فكنتَ المُعلّى إذ أجيلتْ قِداحهم   وجال المنيحُ(١) وَسطها يتقلقلُ

فقال الطرّماح: أما إنّه ما أراد به أنه أعلاهم كعباً، ولكنه موّه عليه في الظاهر وعني في الباطن أنه السابع من الخلفاء الذين كان كثيّر لا يقول بإمامتهم؛ لأنه أخرج علياً عليه السلام منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المُعلّى السابعُ من القداح؛ فلذلك قال ما قاله. وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال:

وكان الخلائفُ بعد الرسو   لِ لِلّهِ كلُّهمُ تابعا
شهيدان من بعد صِدّيقهم   وكان ابنُ حَربٍ لهم رابعا
وكان ابنه بعده خامساً   مُطيعاً لمن قبله سامعا
ومَروانُ سادسُ مَن قد مضى   وكان ابنه بعده سابعا

قال: فعجبنا من تنبُّه الطرمّاح لمعنى قولِ كثيّر، وقد ذهب على عبد الملك فظنّه مدحاً.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدثنا أبو غسّان دَماذ قال:

---

(١) المنيح: قدح منها لا نصيب له.

كان أبو عُبيدة والأصمعيّ يفضِّلان الطرمّاح في هذين البيتين ، ويزعُمان أنه فيهما أشعرُ الخلق :

مُجتابُ حُلَّةِ بُرجُدٍ لسراته قِدداً وأخلفَ ما سواه البُرْجُدُ [١]
يبدو وتُضمِرُه البلادُ كأنّه سَيفٌ على شرفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ

أثنى أبو نواس على بيت له :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثنا دماذ قال قال أبو نواس : أشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطرماح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطرمّاح أخلقتْ عُرَى المجد واسترخى عنان القصائدِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : فضَّل الطرمّاح بني شَمخ في شعره على بني يَشكر ؛ فقال حُميد اليشكري :

أتجعلنا الى شمخ بن جَرمٍ ونَبهانَ [٢] فأُفٍّ لذا زمانا
ويومَ الطّالقانِ [٣] حماك قومي ولم تخضِب بها طيٌّ سِنانا

فقال الطرمّاح يجيبه :

لقد علم المعذَّل يوم يدعو برِمْثةَ [٤] يومَ رِمثةَ إذ دعانا

(١) مجتاب حلة : لابسها ، من اجتاب الشيء : قطعه . والسراة : الظهر . والبرجد (بالضم) : كساء من صوف أحمر . يريد أن يصف متن الثور الوحشي بالحمرة . وقيل : البرجد : كساء مخطط ضخم . والقدد : جمع قدة (بالكسر) وهي القطعة من الشيء .

(٢) نبهان : بطنان من طيء .

(٣) الطالقان : اسم بلدتين ، إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ ، بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل . والاخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .

(٤) رمثة : ماء ونخل لبني ربيعة باليمامة .

فوارسُ طيّئٍ منعـوه لمّاً بكى جَزَعاً ولولاهم لحانا[1]

فقال رجلٌ من بني يشكر :

لأقضينّ قضاء غيرَ ذي جنف بالحقّ بين حُمَيدٍ والطِرِمّاحِ
جرى الطرمّاحُ حتى دقّ مِسحله[2] وغودِرَ العبدُ مقروناً بوضّاح

يعني رجلاً من بني تميم كان يُهاجي اليشكريّ .

شعر له في الشراة :

أخبرني اسماعيل بن يونس قال حدثنا الرّياشيّ قال قال الأصمعيّ قال خلفٌ : كان الطرمّاح يرى رأيَ الشراة ، ثم أنشد له :

لله دَرّ الشراة إنّهـمُ إذا الكرى مالَ بالطُّلى[3] أرِقوا
يرجعون الحنين آونةً وإن عَلا ساعةً بهم شهِقوا
خوفاً تبيتُ القلوب واجفـةً تكاد عنها الصدور تَنفلق
كيف أرَجّي الحياةَ بعدهُمُ وقد مضى مُؤنسيّ فانطلقوا
قومٌ شِحاحٌ علـى اعتقادهمُ بالفوز ممّا يُخافُ قـد وثقوا

أخبرني محمد بن الحسن بن دريـد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَوّزيّ عن أبي عبيدة عن يونس قال :

دخل الطرماح على خالد بن عبد الله القسري فأنشده قوله :

وشيّبني ما لا أزال مُناهضاً بغيرِ غِنًى أسمو بـه وأبوعُ[4]

(١) حان : هلك .
(٢) المسحل هنا : اللجام ، وقيل فأس اللجام .
(٣) الطلى : الاعناق ، واحدها طُلية .
(٤) يبوع : يمد باعه . يريد يبسط يده بالإنفاق والبذل .

وأنَّ رجالَ المال أضحوا وما لهمُ لهم عند أبواب الملوك شفيعُ
أُمخترمي رَيب المنون ولم أنَل من المال ما أعصي به وأُطيع

فأمر له بعشرين ألفَ درهم وقال: أمضِ الآن فأعصِ بها وأطِعْ.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثنا حُذيفة ابن محمد الكوفيّ قال قال المفضّل:

إذا ركب الطرماح الهجاء فكأنما يُوحى اليه، ثم أنشد له قوله:

لو حان وِردُ تميم ثم قيل لها حوضُ الرسول عليه الأزدُ لم تَرِدِ
أو أنزل الله وحياً أن يُعذّبها إن لم تعُد لقتال الأزد لم تَعُد
لا عزّ نصرُ أمرئٍ أضحى له فرسٌ على تميمٍ يريد النصر من أحد
لو كان يخفى على الرحمن خافيةٌ من خلقه خفيتْ عنه بنو أسد

افتقده بعض صحبه فلم يرعهم إلا نعشه:

أخبرني اسماعيل بن يونس قال أخبرنا عُمر بن شبّة قال حدثني المدائني قال حدثني ابنُ دأبٍ عن ابن شُبرُمة، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال أخبرني أبي قال حدثني الحسن بن عبد الرحمن الرَّبعيّ قال حدثني محمد بن عِمران قال حدثني ابراهيم بن سَوّار الضّبيّ قال حدثني محمد بن زيادٍ القرشيّ عن ابن شُبرُمة قال:

كان الطرماح لنا جليساً ففقدناه أياماً كثيرة، فقمنا بأجمعنا لننظر ما فعل وما دهاه. فلمّا كنّا قريباً من منزله اذا نحن بنعشٍ عليه مُطرفٌ أخضر، فقلنا: لمن هذا النعش؟ فقيل: هذا نعش الطرماح. فقلنا: والله ما استجاب الله له حيث يقول:

وإني لمُقتادٌ جوادي وقاذفٌ به وبنفسي العامَ إحدى المقاذفِ

لأَكسِبَ مالًا أو أؤول الى غنًى ... من الله يكفيني عِداتِ[1] الخلائفِ
فيا ربِّ إن حانتْ وفاتي فلا تكُن ... على شرجعٍ[2] يُعلى بخضر المطارف
ولكنّ قبري بطنُ نسرٍ مَقيله ... بجوّ السماء في نسورٍ عواكف
وأمسي شهيداً ثاوياً في عِصابةٍ ... يُصابون في فَجٍّ من الأرض خائف
فَوارسُ من شيبان ألّفَ بينهم ... تُقى الله نزّالون عند التزاحُف
اذا فارقوا دُنياهمُ فارقوا الأذى ... وصاروا الى ميعاد ما في المصاحف

صوت

هل بالديّار التي بالقاع من أحدٍ ... باقٍ فيسمع صوت المُدلج الساري
تلك المنازلُ من صَفراء ليس بها ... حيٌّ يُجيب ولا أصواتُ سُمّار

الشعر لبيهسٍ الجرميّ . والغناء لابن مُحرزٍ ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عمرو وقال : ذكر ذلك يحيى المكيّ ، وأظنّه من المنحول . وفيه لطيّاب بن ابراهيم الموصليّ خفيفُ ثقيل ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوَضوء :

ارفَع ضعيفك لا يَحُرْ بك ضَعفُه

(١) العدات : جمع عدة ، وهي ما يوعد به من صلة . والخلائف : جمع خليفة .

(٢) الشرجع : النعش ، وهو السرير يحمل عليه الميت .

أخبار بيهس ونسبه

نسبه :

هو بيهس بن صُهيب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عُبيد بن علقمة بن سعد بن كثير بن غالب بن عَدي بن سُميس بن طرود بن قُدامة بن جرم بن ربّان بن حُلوان بن عِمران بن إلحاف بن قُضاعة ، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأُموية . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرمٍ وكلبٍ وعُذرة ، ويحضر اذا حَضروا فيكون بأجناد الشام .

قال أبو عمرو الشيباني : لمّا هدأت الفتنة بعد وقعة مرج راهطٍ وسكن الناسُ ، مرّ غلامٌ من قيسٍ بطوائف من جَرم وعُذرة وكلبٍ ، وكانوا متجاورين على ماء هناك لهم . فيقال : إن بعض أحداثهم نَخس به ناقته فألقته ، فاندقّت عُنقه فمات . واستعدى قومُه عبد الملك بن مروان ، فبعث الى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فهرب بيهس بن صُهيب الجَرميّ — وكان قد اتُّهم بأنه هو الذي نخس به — فنزل بمحمد بن مروان واستجار به ، فأجاره إلّا مِن حدٍّ تُوجبه عليه شهادةٌ ، فرَضي بذلك .

صوت

ألا يا حمامات اللِّوى عُدنَ عودةً فإني الى أصواتِكُنّ حَـزينُ

فعُدنَ فلمّا عُدنَ كِدنَ يُمتنني وكدتُ بأسراري لهنّ أبينُ
دَعون بأصوات الهديل كأنّما شربن حُمَيّاً أو بهنّ جنون
فلمْ ترَ عيني مثلهنّ حمائماً بَكينَ ولم تدمعْ لهنّ عيون

الشعر لأعرابيّ ، هكذا أنشدناه جعفر بن قُدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن ابراهيم بن إسماعيل . والغناء لمحمد بن الحارث بن بُسخُنّر خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ . وقد قيل : إن الشعر لابن الدُّمينة .

اخبار محمد بن الحارث بن بسخنر

هو محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر، ويُكنى أبا جعفر. وهم، فيما يزعمون، موالي المنصور. وأحسبه ولاء خدمةٍ لا ولاء عتق. وأصلهم من الريّ. وكان محمد يزعم أنه من ولد بهرام جُوبين. ووُلد محمدٌ بالحيرة. وكان يُغني مُرتجلاً، إلا أن أصل ما غنى عليه المِعزفة، وكانت تُحمل معه الى دار الخليفة. فمرّ غلامه بها يوماً، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق: مع هذا الغلامِ مِصيدةُ الفأر، وقال بعضهم: لا، بل هي مِعزفةُ محمد بن الحارث. فحلف يومئذٍ بالطَّلاق والعِتاق ألاّ يُغني بمعزفة أبداً أنفةً من أن تشتبه آلةٌ يغني بها بمصيدة الفأر. وكان محمد أحسن خَلق الله تعالى أداء، وأسرعه أخذاً للغناء. وكان لأبيه الحارث بن بُسخُنَّر جوارٍ محسنات. وكان اسحاق يرضاهن ويأمُرهنّ أن يطرحن على جواريه. وقال يوماً للمأمون وقد غنى مُخارق بين يديه صوتاً فالتاث[1] غناؤه فيه وجاء به مُضطرباً، فقال اسحاق للمأمون: يا أمير المؤمنين، إنّ مخارقاً قد أعجبه صوته وساء أداؤه في غنائه، فمُره بملازمة جواري الحارث بن بُسخُنَّر حتى يعود الى ما تريد.

أخبرني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشاميّ قال:

سمعتُ اسحاق[2] بن ابراهيم بن مُصعب يقول للواثق: قال لي اسحاق بن ابراهيم الموصليّ: ما قَدر أحدٌ قطُّ أن يأخذ مني صوتاً مستوياً إلّا محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر؛ فإنه اخذ مني عدّة اصوات كما أغنّيها. ثم لم نلبث أن دخل علينا محمد بن

(١) التاث هنا: اختلط.

(٢) اسحاق بن ابراهيم المصعي هذا كان حاكم بغداد في عهد المأمون والمعتصم والواثق.

الحارث. فقال له الواثق: حدثني اسحاق بن ابراهيم عن اسحاق الموصليّ فيك بكذا وكذا. فقال: قد قال اسحاق ذاك لي مرّات. فقال له الواثق: فأي شيء أخذت من صنعته احسن عندك؟ فقال: هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحدٌ قطُّ هذا الصوت كما أخذته منه:

صوت

اذا المرء قاسى الدّهر وابيضّ رأسه ... وثُلِّم تثليمَ الاناء جوانبُه
فليس له في العيش خيرٌ وإن بكى ... على العيش أو رجّى الذي هو كاذبه

– الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى – فأمره الواثق بأن يُغنّيه، فغنّاه إياه وأحسن ما شاء وأجاد. واستحسنه الواثق وأمره بأن يُردّده، فردّده مراراً كثيرةً، حتى أخذه الواثق وأخذه جواريه والمُغنّون. قال جحظة قال الهشامي فحدثتُ بهذا الحديث عمرو بن بانة فقال: ما خلق الله تعالى أحداً يُغني هذا الصوتَ كما يُغنيه هبة الله بن ابراهيم بن المهديّ. فقلتُ له: قد سمعتَ ابن ابراهيم يُغنيه، فاسمعه من محمد ثم أحكم. فلقيني بعد ذلك فقال: الأمرُ كما قلتَ، قد سمعته من محمد فسمعتُ منه الإحسان كلّه.

ردّد صوتاً أخذه من جارية أحبها:

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثني علي بن يحيي المنجّم قال:

كنتُ يوماً في منزلي، فجاءني محمد بن الحارث بن بُسخُنّر مُسلّماً وعائداً من علةٍ كنتُ وجدتُها؛ فسألته أن يُقيم عندي ففعل، ودعوتُ بما حضر فأكلنا وشربنا، وغنى محمد بن الحارث هذا الصوت:

صوت

أمن ذكر خودٍ عينك اليومَ تدمعُ وقلبك مشغولٌ بخودك مُولَعُ
وقائلةٍ لي يومَ ولّيتُ مُعرِضاً أهذا فراقُ الحبّ أم كيف تصنع
فقلتُ كذاك الدهرُ يا خَودُ فاعلمي يُفرِّق بين الناس طُرّاً ويجمع

– أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى . قال الهشاميّ : وفيه لفُليح ثاني ثقيلٍ ، ولإسحاق خفيفُ رملٍ – قال عليّ بن يحيى : فقلتُ له وقد ردّد هذا الصوت مراراً وغنّاه أشجى غناء : إن لك في هذا الصوت معنًى ، وقد كرّرته من غير أن يقترحه عليك أحد . فقال : نعم ! هذا صوتي على جاريةٍ من القِيان كنتُ أحبُّها وأخذته منها . فقلت له : فلِمَ لا تُواصلها ؟ فقال :

لو لم أنكها دام لي حُبُّها لكنني نكتُ فلا نكتُ

فأجبتُه فقلت :

أكثرتَ من نيكِها والنَّيكُ مقطعةٌ فارفُق بنَيكك إن الرِفقَ محمودُ

وأخبرني جعفر بن قُدامة عن علي بن يحيى أن إسحاق غنى بحضرة الواثق لحنه :

ذكرتُك اذ مرّت بنا أمُّ شادنٍ[١] أمام المطايا تشرئبُّ وتَسنحُ
من المُؤلِفات الرّمل أدماءُ[٢] حُرّةٌ شعاعُ الضُّحى في مَتنِها يتوضّح

– والشعر لذي الرُّمة . ولحن اسحاق فيه ثقيلٌ أولٌ – فأمره الواثق أن يُعيده على الجواري ، وأحلفَه بحياته أن ينصح فيه . فقال : لا يستطيع الجواري أن يأخُذنهُ

(١) أم شادن : ظبية . وتشرئب : ترفع رأسها لتنظر . وتسنح : تعرض لك او تأتي عن شمالك .

(٢) الأدم من الظباء : تعلوهن جدد فيها غبرة .

مني، ولكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذُه مني وتأخذه الجواري منه؛ فأُحضر وألقاه عليه، فأخذه منه، وأخذته الجواري منه.

أخبرني أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل المعروف بوَسواسة الموصليّ قال حدثني حمّاد ابن اسحاق قال: قال لي محمد بن الحارث بن بُسخُنّر: أخذتْ جاريةٌ للواثق مني صوتاً أخذتُه من أبيك، وهو:

صوت

أصبحَ الشَّيبُ في المفارق شاعاً واكتسى الرأسُ من مشيب قناعاً
وتولّى الشبابُ إلا قليلاً ثم يأبى القليلُ إلّا وداعا

— الشعر والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ — قال: فسمعه الواثق منها، فاستحسنه وقال لعلّويه ومُخارق: اتعرفانه؟ فقال مخارق: أُظنّه لمحمد بن الحارث. فقال علّويه: هيهات! ليس هذا مما يدخلُ في صَنعة محمدٍ، هو يُشبه صَنعةَ ذلك الشيطانِ اسحاق. فقال له الواثق: ما أبعدتَ. ثم بعث اليّ فأخبرني بالقصة؛ فقلت: صَدق علّويه يا أميرَ المؤمنين، هذا لإسحاق ومنه أخذتُه.

غنت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها:

حدثني جعفر بن قُدامة قال حدثني عبد الله بن المعتزّ قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام:

جاءني محمد بن الحارث بن بُسخُنّر يوماً فقال لي: قُم حتى أطفّل بك على صديقٍ لي حرّ، وله جاريةٌ أحسنُ خلق الله تعالى وجهاً وغِناءً. فقلتُ له: أنت طُفيليّ وتُطفِل بي! هذه والله أخسُّ حالٍ. فقال لي: دعِ المُجون وقم بنا؛ فهو مكان لا يستحي حرٌّ أن يتطفل عليه. فقمتُ معه، فقصد بي دار رجل من فتيان أهل «سُرّ من رأى» كان لي صديقاً يُكنى أبا صالح، وقد غيّرتْ كنيته

على سبيل اللَّقب فكُني أبا الصالحات ، وكان ظريفاً حسنَ المُروءة ، يضرب بالعود على مذهب الفُرس ضرباً حسناً ، وله رزقٌ سَنيّ في الموالي ، وكان من أولادهم ، ولم يكن منزله يخلو من طعام كثير نظيفٍ لكثرة قصد إخوانه منزلَه . فلما طرق بابه قلتُ له : فرّجتَ عني ، هذا صديقي وأنا طُفيليّ بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيليّ . فدخلنا ، وقُدِّم الينا طعامٌ عتيدٌ طيّب نظيف فأكلنا ، وأحضرنا النبيذ ، وخرجت جاريته الينا من غير ستارة ، فغنَّتْ غناء حسناً شكِلاً ظريفاً ، ثم غنَّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذته عنه — وفيه أيضاً لحنٌ لإبراهيم ، والشعر لابن أبي عُيَينة — :

صوت

ضيَّعتِ عهدَ فتًى لِعهدكِ حافظٍ في حفظه عجبٌ وفي تضييعكِ
إن تقتُليه وتذهبي بفؤاده فبِحسن وجهكِ لا بحسن صنيعكِ

فطرب محمد بن الحارث ونقَّطها بدنانير مُسيَّفة كانت معه في خريطته ، ووجّه غلامه فجاء ببرنيَّة غالية كبيرة ، فغلَّفها[١] منها ووهب لها الباقي . وكان لمحمد بن الحارث أخٌ طيّب ظريف يُكنى أبا هارون ، فطرب ونعر ونخر ، وقال لأخيه : أريد ان اقول لك شيئاً في السرّ . قال : قُلهُ عَلانيةً . قال : لا يصلُح . قال : والله ما بيني وبينك شيء أبالي أن تقوله جهراً ، فقُله . فقال : أشتهي عِلم الله أن تسأل أبا الصالحات أن يَنيكني ، فعسى صوتي أن ينفتح ويطيبَ غِنائي . فضحك أبو الصالحات وخَجِلت الجارية وغطَّتْ وجهها وقالت : سخِنتْ عينُك! فإن حديثك يُشبِهِ وجهك .

(١) غلفها : ضمخها وطيبها .

صوت

وأيُّ أخٍ تبلو فتحمد أمرَهُ   اذا لجّ خصمٌ أو نبا بكَ منزلُ
إذا أنتَ لم تُنصف أخاك وجدتَه   على طرفِ الهجران إن كان يعقل
ستقطعُ في الدنيا اذا ما قطعتني   يمينَك فانظرْ أيّ كفٍّ تبدّل
إذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكدْ   إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبِل

الشعر لمعنْ بن أوْس المُزَنيّ . والغناء لعريب خفيفُ رمل بالوسطى .

اخبار معن بن اوس ونسبه

نسبه، وهو شاعر فحل مخضرم :

هو مَعن بن أوس بن نَصر بن زِياد بن أسحم بن زِياد بن أَسعد بن أسحم ابن ربيعة بن عديّ بن ثعلبة بن ذُؤَيب بن عَدّاء بن عثمان بن مُزينة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ . ونُسبوا الى مُزينة وهي امرأة : مُزَينة بنت كلب بن وَبرة ، وأبوهم عمرو بن أدّ بن طابخة .

أخبرني عُبَيد الله بن محمد الرازي وهاشم بن محمد الخزاعي وعمي قالوا : حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني قال :

مُزَينة بنت كلب بن وَبرة ، تزوّجها عمرو بن أدّ بن طابخة ، فولدت له عثمان وأوساً ، فغلبتْ أمّها على نسبها . فعلى هذا القول عدّاء هو ابن عثمان بن عمرو ابن أدّ بن طابخة .

ومعنٌ شاعرٌ مُجيدٌ فَحل ، من مُخضرَمي الجاهلية والاسلام . وله مدائح في جماعةٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورحمهم ، منهم عبدُ الله بن جَحش ، وعمر بن أبي سلمة المخزومي . ووفد الى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه مُستعيناً به على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدته التي أوّلها :

تَأوّبَه طيفٌ بذاتِ الجرائمِ[1] فنامَ رفيقـاه وليس بنائمِ

(١) ذات الجرائم : موضع .

وعُمِّر بعد ذلك الى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله ابن ثوبان عن علقمة بن محجن الخزاعي عن أبيه قال :

كان معاوية يُفضِّل مُزَينة في الشعر ، ويقول : كان أشعرُ أهل الجاهلية منهم وهو زُهير ، وكان أشعرُ أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعبٌ ، ومعنُ ابن أوس .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن اسماعيل تينة قال حدثني العُتبيّ قال :

كان معن بن أوس مِئناثاً[1] ، وكان يُحسن صُحبة بناته وتربيتهن ؛ فولد لبعض عشيرته بنتٌ فكرهها وأظهر جزعاً من ذلك ؛ فقال معنٌ :

رأيتُ رجالاً يَكرهون بَناتهم وفيهنّ – لا تُكذَب – نساءٌ صوالحُ
وفيهنّ – والأيام تعثر بالفتى – نَوادبُ لا يَمْلَلْنَه ونَوائح

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرَفي قال حدثنا العنزيّ (يعني الحسن بن عُليل) قال حدثني أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُوَيد بن مَنجوف عن أبيه قال :

مرّ عُبَيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب بمعن بن أوس المُزَنيّ وقد كُفَّ بصرُه فقال له : يا معن ، كيف حالك ؟ فقال له : ضَعُف بصري وكثر عِيالي وغلبني الدَّين . قال : وكم دَينك ؟ قال عشرة آلاف درهم . فبعث بها اليه . ثم مرّ به من الغد فقال له : كيف أصبحتَ يا معن ؟ فقال :

---

(١) رجل مئناث ، من عادته أن يلد الإناث . وكذلك امرأة مئناث .

أخذتُ بعينِ المالِ حتى نهكتُه وبالدَّين حتى ما أكاد أدانُ
وحتى سألتُ القرضَ عند ذوي الغنى وردّ فلانٌ حاجتي وفلان

فقال له عُبيد الله : اللهُ المستعان ، إنّا بعثنا اليك بالأمس لُقمةً فما لُكتها حتى انتزعتْ من يدك ، فأيُّ شيء للأهل والقرابة والجيران ! وبعث اليه بعشرة آلاف درهم أخرى . فقال معنٌ يمدحه :

إنّك فرعٌ من قُريشٍ وإنّما تَمُجُّ الندى منها البحور الفوارعُ
ثَوَوْا قادةً للناس بَطحاءَ مَكّةٍ لهم وسِقاياتُ الحجيج الدّوافع
فلمّا دُعُوا للموت لم تَبكِ منهمُ على حادثِ الدّهر العيونُ الدوامع

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزيّ قال حدثني الفضل بن العبّاس القُرَشيّ عن سعيد بن عمرو الزبيريّ قال :

كان لمعن بن أوس امرأة يقال لها ثَور وكان لها محبّاً ، وكانت حضريّةً نشأت بالشأم ، وكانت في معنٍ أعرابيةٌ ولوثةٌ[١] ، فكانت تضحك من عجرفيّته[٢] . فسافر الى الشأم في بعض أعوامه ، فضلّت الرُّفقةُ عن الطريق وعدلوا عن الماء ، فطوَوْا منزلهم وساروا يومهم وليلتهم ، فسقط فرسُ مَعنٍ في وِجار ضَبٍّ دخلتْ يده فيه ، فلم يستطع الفرسُ أن يقوم من شدّة العطش حتى حمله أهلُ الرُّفقة حملاً فأنهضوه ، وجعل معنٌ يقوده ويقول :

لو شهدتني وَجوادي ثَورُ والرّأسُ فيه مَيلٌ وَمورُ[٣]
لضحكتْ حتى يميل الكورُ[٤]

(١) اللوثة (بالضم) هنا : الحمق .
(٢) العجرفية والعجرفة هنا : الجفوة في الكلام والخرق في العمل .
(٣) المور هنا : الاضطراب والتحرك .
(٤) الكور هنا : الدور من العمامة . يريد الدور مما تلف به رأسها .

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن العُتبيّ قال :

قَدِم معنُ بن أوسٍ مكة على آبن الزبير فأنزله دارَ الضِّيفان ، وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضِّيفان ، فأقام يومه لم يُطعَم شيئاً ؛ حتى اذا كان الليلُ جاءهم آبن الزُّبير بتَيسٍ هَرِمٍ هزيلٍ فقال : كلوا من هذا ، وهم نَيِّفٌ وسبعون رجلاً ؛ فغضب معنٌ وخرج من عنده ، فأتى عُبَيد الله بن العبّاس فقراه وحمله وكساه ، ثم أتى عبدَ الله آبنَ جعفر وحدّثه حديثه ، فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثاً ثم رحل . فقال : يهجو ابن الزبير ويمدح ابن جعفر وآبنَ عبّاس رضي الله تعالى عنهم أجمعين :

ظَلِلنا بمستَنِّ الرّياح[1] غُـدَيّةً ... الى أن تعالى اليومُ في شرِّ محضَرِ
لدى آبن الزُّبير حابسينَ[2] بمـنزلٍ ... من الخير والمعروف والرِّفد مُقفِرِ
رمانا أبو[3] بكرٍ وقد طال يومُنا ... بتَيسٍ من الشّاء الحجازي أعفَر[4]
وقال آطعموا منه ونحن ثـلاثةٌ ... وسبعون إنساناً فيـا لؤمَ مَخبَرِ
فقلتُ له لا تَقرِنا فأمامَنـا ... جِفانُ آبن عبّاس العُلا وآبنِ جعفر
وكُن آمِناً وانعَق[5] بتَيسك إنّه ... له أعنُزٌ يـنزو عليها وأبشِر

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عُلَيل العنزي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسديّ قال :

---

(١) مستن الرياح : مضطربها حيث تهب وتجري .

(٢) حابسين أي ذوي حبس ، والمراد أنهم محبوسون .

(٣) أبو بكر : كنية عبد الله بن الزبير .

(٤) أعفر : أغبر ، لونه لون العفر وهو التراب .

(٥) النعيق هنا : دعاء الراعي الشاء .

قَدِم معنُ بن أوس المُزَنيّ البصرة ، فقعد يُنشد في المِربد ، فوقف عليه الفرزدق فقال : يا معنُ مَن الذي يقول :

لَعَمرُكَ ما مُزَينةُ رَهطُ مَعنٍ بأخفافٍ يَطأنَ ولا سَنام

فقال معنٌ : أتعرف يا فرزدق الذي يقول :

لعمرُك ما تميمٌ أهلُ فَلجٍ[1] بأردافِ[2] الملوكِ ولا كِرامِ

فقال الفرزدق : حسبك ! إنما جَرَّبتُك . قال : قد جرَّبتَ وأنت أعلم . فانصرف وتركه .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دُلَف قال حدثنا الرّياشي قال حدثنا الأصمعيّ قال :

دخلتُ خَضراء رَوحٍ[3] ، فإذا أنا برجلٍ من ولده على فاحشةٍ يوماً ، فقلتُ : قَبحك الله ! هذا موضعٌ كان أبوك يضرب فيه الأعناق ويُعطي اللُّهى وأنت تفعل فيه ما أرى ! فالتفتَ إليّ من غير أن يزول عنها وقال .

وَرِثنا المجدَ عن آباءِ صِدقٍ أَسأنا في ديارهمُ الصَّنيعا
إذا الحسبُ الرَّفيعُ تَواكَلَتْه بُناةُ السَّوءِ أوشكَ أن يَضيعا

قال : والشعر لمعن بن أوس المُزَنيّ .

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبرِّد قال حدثنا أحمد بن عُبَيدٍ أبو عَصيدة عن الحِرمازي قال :

---

(١) فلج هنا : واد بين البصرة وحمى ضربة من منازل عديّ بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم.

(٢) الارداف : جمع ردف وهو هنا : جليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه اذا غزا .

(٣) خضراء روح : بستان كان لروح بن حاتم المهلبي أحد الفرسان والاشراف في أيام المهدي .

سافر معنُ بن أوس الى الشأم وخلّف ٱبنته ليلى في جوار عُمر بن أبي سلمة ؛ – وأمّه أمّ سلمة أمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها – وفي جِوار عاصم بن عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه . فقال له بعض عشيرته : على مَن خلّفتَ ٱبنتك ليلى بالحجاز وهي صبيّة ليس لها مَن يكفلها ؟ فقال معنٌ رحمه الله تعالى :

لعمرُكَ ما ليلى بدارِ مَضيعةٍ ... وما شيخها أن غاب عنها بخائفِ
وإنّ لها جارَين لن يَغدرا بها ... ربيبَ النبيّ وٱبنَ خيرِ الخلائف

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عُليلٍ العنزيّ قال حدثني مسعود بن بِشر عن عبد الملك بن هشام قال :

قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عِدّةٌ من أهل بيته وولده : ليَقُل كلُّ واحد منكم أحسن شِعرٍ سمع به ؛ فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطَرفة فأكثروا حتى أتَوا على محاسن ما قالوا . فقال عبد الملك : أشعرُهم والله الذي يقول :

وذي رَحِمٍ قَلّمتُ أظفارَ ضِغنِه ... بحِلميَ عنه وَهوَ ليس له حِلمُ
إذا سُمتُه وَصلَ القرابة سامَني ... قَطيعتَها ، تلك السفاهةُ والظُلم
فأسعى لكَيْ أبني ويَهدِمُ صالحي ... وليس الذي يبني كمَن شأنُه الهدم
يُحاولُ رَغمي لا يحاول غيرَه ... وكالموت عندي أن ينال له رغم
فما زِلتُ في لِينٍ له وتعطُّفٍ ... عليه كما تحنو على الولدِ الأمّ
لأستلَّ منه الضِغنَ حتى سللتُه ... وإن كان ذا ضِغنٍ يضيقُ به الحِلم

قالوا : ومَن قائلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : مَعنُ بن أوسٍ المُزَنيّ .

أخبرني عيسى بن حسين الورّاق قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثني سليمان ابن عيّاش السَّعديّ عن أبيه قال :

خرج معن بن أوس المُزَنيّ الى البصرة ليمتارَ منها ويبيع إبلًا له ؛ فلمّا قدِمها نزل بقومٍ من عشيرته ، فتولّت ضيافته امرأةٌ منهم يقال لها ليلى ، وكانت ذات جمالٍ ويَسارٍ ، فخطبها فأجابته فتزوّجها ، وأقام عندها حولًا في أنعم عيشٍ . فقال لها بعد حَولٍ : يابنةَ عمّ ، إني قد تركتُ ضَيعةً لي ضائعة ، فلو أذِنتِ لي فاطّلعتُ[١] طِلعَ أهلي ورممتُ[٢] من مالي ! فقالت : كم تُقيم ؟ قال : سنةً ، فأذنت له.

فأتى أهله فأقام فيهم وأزمن عنها (أي طال مُقامه) . فلمّا أبطأ عليها رحلتْ الى المدينة فسألتْ عنه ، فقيل لها : إنه بعَمْقٍ (وهو ماء لمزَينة) . فخرجتْ ، حتى اذا كانت قريبةً من عَمقٍ نزلت منزلًا كريمًا . وأقبل معن في طلب ذَودٍ له قد أضلّها وعليه مِدرعةٌ من صوفٍ وبَتٌّ من صوفٍ أخضر – قال : والبتُّ : الطَّيلسان – وعِمامةٌ غليظةٌ . فلمّا رُفِع[٣] له القوم مال اليهم ليستسقي ، ومع ليلى ابن أخٍ لها ومولًى من مواليها جالسٌ أمام خِباء له . فقال له معنٌ : هل من ماء ؟ قال : نعم ، وإن شئتَ سَويقًا ، وإن شئتَ لبنًا ؛ فأناخ . وصاح مولى ليلى : يا مُنهلة – وكانت مُنهلةُ الوصيفة التي تقوم على مَعنٍ عندهم بالبصرة – فلمّا أتته بالقدَح وعرفها وحسر عن وَجهه ليشرب عرفته وأثبتته[٤] ، فتركت القدح في يده وأقبلتْ مسرعةً الى مَولاتها فقالت : يا مَولاتي . هذا والله معنٌ إلا أنه في جبّةٍ صوفٍ وبَتٍّ صوفٍ . فقالت : هو والله عَيشهم ، ألحِقي مولاي فقولي له : هذا معنٌ ، فأحبسه . فخرجت الوصيفة مُسرعةً فأخبرتْ . فوضع معنٌ القدح وقال له : دَعني حتى ألقاها في غير هذا الزيّ . فقال : لست بارحًا حتى تدخل عليها . فلمّا رأته قالت : أهذا العيش الذي نزعتَ اليه يا مَعن ؟! قال : إي والله

(١) اطلع طلعه : عرف أمره .

(٢) رممت من مالي : أصلحت .

(٣) رفع له الشيء : أبصره عن بعد .

(٤) يقال : أثبت فلان فلانًا ، إذا عرفه حق المعرفة .

يابنةَ عمّ! أما إنك لو أقمتِ الى أيام الرَّبيع حتى ينبتَ البلدُ الخُزامى والرُّخامى[1] والسَّخبر والكَمأة، لأصبتِ عيشاً طيّباً.

فغسلت رأسه وجسده، وألبسته ثياباً ليّنة، وطيّبته، وأقام معها ليلته أجمع يهرُجها[2]، ثم غدا متقدِّماً الى عَمقٍ حتى أعدّ لها طعاماً ونحر ناقةً وغنماً. وقَدِمتْ على الحيّ، فلم تبقَ فيهم امرأةٌ إلا أتتها وسلّمت عليها، فلم تدع منهنّ امرأةً حتى وصلتها. وكانت لمعنٍ امرأةٌ بعمقٍ يقال لها أمّ حِقَّة، فقالت لمعن: هذه والله خيرٌ لك منّي، فطلِّقني، وكانت قد حملتْ فدخله من[3] ذلك وقام.

ثم إنّ ليلى رحلتْ الى مكة حاجّةً ومعنٌ معها. فلمّا فرغا من حجّها انصرفا، فلمّا حاذيا مُنعرَجَ الطريق الى عَمقٍ قال معن: يا ليلى، كأنّ فؤادي ينعرج الى ما ها هنا. فلو أقمتِ سنتنا هذه حتى نحجّ من قابلٍ ثم نرحل الى البصرة! فقالت: ما أنا ببارحةٍ مكاني حتى ترحل معي الى البصرة أو تُطلِّقني. فقال: أمّا إذ ذكرتِ الطلاق فأنت طالق. فمضت الى البصرة، ومضى الى عَمقٍ. فلمّا فارقته ندم وتبعتها نفسه؛ فقال في ذلك:

توهّمتُ ربعاً بالمعبّر[4] واضحاً ... أبتْ قرّتاه[5] اليوم إلّا تراوُحا

---

(١) الخزامى: عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح، لها نور كنور البنفسج. والرخامى: نبتة.

والسخبر: إنه يشبه الثام له جرثومة وعيدانه كالكرات في الكثرة، كأن ثمره مكاسح القصب أو أرق منها، واذا طال تدلت رؤوسه وانحنت.

والكمأة: نبات يقال له شحم الارض، والعرب تسميه جدري الارض. قيل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق، لونه الى الغبرة، يوجد في الربيع تحت الارض.

(٢) يهرجها: يجامعها.

(٣) أي دخله شيء من ذلك.

(٤) معبّر: موضع تلقاء الوتدات من البقيع.

(٥) قرّتاه: الغداة والعشيّ. «قرتاه: برداه، أوّله وآخره».

أَرَبَّتْ عليه[١] رادةٌ حضرميّةٌ ومُرتجِزٌ كأنّ فيه المصابحا
اذا هي حلّت كَربلاء فلَعلَعاً فجوزَ العُذَيبِ دونها فالنّوابجا[٢]
وبانت نواها[٣] من نواك وطاوعتْ مع الشّانئين الشامتات الكواشحا
فقولا لليلى هل تعوّضُ نادماً له رجعةٌ قال الطلاقَ مُمازحا
فإن هي قالت لا فقولا لها بَلى ألا تتّقين الجاريات الذّوابحا

وهي قصيدةٌ طويلة . فلمّا انصرف وليست ليلى معه قالت له امرأته أمّ حِقّةَ : ما فعلت ليلى ؟ قال : طلّقتها . قالت : والله لو كان فيك خيرٌ ما فعلتَ ذلك ، فطلّقني أنا أيضاً : فقال لها معنٌ :

أعاذِلُ أقصِري ودعي بَياتي[٤] فإنّكِ ذاتُ لَوماتٍ حُماتِ[٥]
فإنّ الصّبح مُنتظَرٌ قريبٌ وإنّكِ بالملامة لن تُفاتي
نأت ليلى فليلى لا تُواتي وضنّتْ بالمودّة والبتات[٦]
وحلّتْ دارُها سَفوانَ[٧] بعدي فذا قارٍ فمُنخرقَ الفُرات
تُراعي الرّيفَ دائبةً عليها ظِلالُ ألفَ[٨] مُختلطِ النبات

---

(١) أربّت : أقامت . ورادة هنا : سحابة طوافة ترود وتجول . وحضرمية : منسوبة الى حضرموت ، أي تقبل من الجنوب . ومرتجز : سحاب يتتابع صوت رعده . وكأن فيه المصابح ، لما يبدو فيه من لمعان البرق . يدعو للربع بالسقيا .

(٢) النوابج : لعله ياقوت .

(٣) النوى هنا : الوجه الذي يذهب فيه .

(٤) يريد : دعي لومي في المبيت .

(٥) حمات : جمع حمة ، وهي السم .

(٦) البتات هنا : الزاد .

(٧) سفوان (بالتحريك) : ماء على أميال من البصرة بين ديار بني شيبان وديار بني مازن . وذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط .

(٨) الألف من الشجر : الذي كثر وتكاثف .

فدَعها أو تناوَلْها بعَنْسٍ(١) من العِيديّ في قُلُص شِخاتِ(٢)

وهي قصيدة طويلة . قال : وقال لأمّ حقّة في مُطالبتها إيّاه بالطلاق :

كأنْ لم يكن يا أمّ حِقّة قبل ذا بمَيطانَ(٣) مُصطافٌ لنا ومَرابعُ
وإذ نحن في غُصن الشباب وقد عسا(٤) بنا الآن إلّا أن يُعوّض جازع
فقد أنكرتْه أمُّ حِقّةَ حادثاً وأنكرها ما شئتَ والوُدُّ خادع
ولو آذنتنا أمُّ حِقّةَ إذ بنا شبابٌ وإذ لمّا تَرُعنا الرّوائع
لَقُلنا لها بِيني بلَيلٍ حميدةً كذاكِ بلا ذمٍّ تُؤدّى الودائع

صوت

أعابدُ حُيّيتُمْ على النأي عابدا سقاكِ الإله المُنشآتِ الرّواعدا
أعابدَ ما شمسُ النهار اذا بدتْ بأحسنَ مما بين عَينيكِ عابدا

ويُروى :

أعابدَ ما شمسُ النهار بدتْ لنا

ويُروى :

أعابدُ ما الشمسُ التي برزتْ لنا بأحسنَ مما بين ثوبَيك عابدا

الشعر للحسين بن عبد الله بن عُبَيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب . والغناء لعطرّد ثاني ثقيلٍ بالبنصر . وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مجنّس .

---

(١) العنس من النوق : القوية . والعيديّ : نسبة الى عيد : فحل معروف تنسب اليه النجائب العيديّة ، او هو نسبة الى رجل . والقلص . جمع قلوص (بالفتح) وهي الشابة من الإبل .

(٢) الشخات : جمع شختة وشخت ، وهو الدقيق الضامر لا هزالا .

(٣) إنه موضع ببلاد مزينة من أرض الحجاز .

(٤) عسا النبات : غلظ ويبس .

أخبار الحسين بن عبد الله

شعره في عابدة قبل زواجه بها :

قد تقدّم نسبه ، وهو أشهر من أن يُعاد . ويُكنى أبا عبد الله . وكان من فِتيان بني هاشم وظُرَفائهم وشعرائهم . وقد روى الحديث وحُمِل عنه ، وله شِعرٌ صالح . وهذه الأبيات يقولها في زوجته عابدة بنت شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهي أخت عمرو بن شعَيب الذي يُروى عنه الحديث . وفيها يقول قبل أن يتزوّجها :

صوت

أعاذِلُ إنّ الحبّ لا شكّ قاتلي ... لئن لم تُقارضني هوى النفس عابدَهْ
أعابدُ خافي الله في قتلِ مُسلمٍ ... وجُودي عليه مرّةً قطُّ واحده
فإن لم تريدي فيّ أجراً ولا هوًى ... لكم غيرَ قتلي يا عُبَيدُ فراشِدَه
فكَم ليلةٍ قد بِتُّ أرعى نجومَها ... وعَبدةُ لا تدري بذلك راقِدَه

الغناء لحكَم الوادي ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن اسحاق .

فمما حُمِل عنه من الحديث ما حدثني به أحمد بن سَعيد قال حدثني محمد بن عُبيد الله بن المنادي[1] قال حدثني يونس بن محمد قال حدثنا أبو أوَيس عن حسين ابن عبد الله بن عُبَيد الله بن عباس عن عِكرمة عن ابن عباس قال :

---

(١) هو محمد بن عبيد الله بن يزيد البغدادي أبو جعفر بن أبي داود بن المنادي .

مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على حسّان بن ثابت وهو في ظلّ فارعٍ[1] وحوله أصحابه وجاريته سيرينُ تغنّيه بمزهرها :

هل عــليّ وَيحكما إن لهوتُ من حَرَجِ

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « لا حَرَجَ إن شاء الله » .

وكانت أمّ عابدة هذه عمّة حسين بن عبد الله بن عُبَيد الله ، أمّها عمرةُ بنت عبيد الله بن العبّاس ، تزوّجها شُعيب فولدت له محمّداً وشُعَيباً ابنَي شعيب وعابدة ، وكان يقال لها عابدة الحُسن ، وعابدة الحسناء .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسيّ قالا حدثنا الزّبير بن بكّار قال حدثني محمد بن يحيى قال :

خطب عابدة بنت شعيبٍ بَكّار بن عبد الملك وحسين بن عبد الله ، فامتنعت على بكّار وتزوّجت الحسين . فقال له بكّار : كيف تزوّجتك العابدة واختارتك مع فقرك ؟ فقال له الحسين : أتُعيّرُنا بالفقر وقد نحلَنا الله تعالى الكوثر !

أخبرني الحرميّ والطوسيّ قالا حدثنا الزّبير بن بكّار عن عمه قال :

كان حسين بن عبد الله أمّه أمّ ولدٍ ، وكان يقول شيئاً من الشعر ، وتزوّج عابدة بنت شعيبٍ وولدت منه ، وبسببها رُدّت على وَلَد عمرو بن العاص أموالهم في دولة بني العبّاس . وكان عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له ، ثم تنكّر ما بينهما ؛ فقال فيه ابن مُعاوية :

إنّ ابن عمكَ وابنَ أمّــكَ مُعلَمٌ شاكي السّلاحِ

(١) فارع : حصن كان لحسان بن ثابت بالمدينة .

يَقِصُ[١] العدوَّ وليس يَرْ ضى حين يبطش بالجراحِ
لا تحسبنَّ أذى ابنِ عَمِّـــكَ شُربَ ألبانِ اللِّقاح
بَل كالشَّجاةِ وَرا اللّهـا ةِ اذا تَسَوَّغُ بالقَـراح[٢]
فاَخْـتَرْ لنفسك مَن يُجيبـكَ تحت أطرافِ الرِّماح
مَن لا يزالُ يَسوءُهُ بالغَيب أن يلحاكَ لاح[٣]

فقال حسين له :

أبرِقْ لمن يخشى وأو عِد غيرَ قومك بالسِّلاحِ
لسنا نُقِرُّ لقائلٍ إلا المُقرَّطِ[٤] بالصَّلاح

قال : ولحسين يقول ابنُ معاوية :

قُلْ لذي الوُدِّ والصفاء حسينٍ أقدِرِ الوُدَّ بيننـا قَدَرَهْ
ليس لِلدابغِ المحلِّمِ[٥] بُـدٌّ من عِتابِ الأديم ذي البَشَره
لستُ إن راغَ[٦] ذو إخاءٍ ووُدٍّ عَن طَريقٍ بتـابعٍ أثَرَه
بَلْ أقيمُ القناةَ والوُدَّ حتى يتبعَ الحقَّ بعدُ أو يَذَرَه

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدثنا حمَّاد بن اسحاق عن أبيه عن محمد بن سلّام قال :

---

(١) وقصه يقصه : كسره .

(٢) الشجا والشجاة : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . والقراح : الماء الخالص الذي لا يخالطه شيء .

(٣) يلحاه هنا : يشتمه .

(٤) المقرّط بالصلاح : الموسوم به .

(٥) المحلم : الذي ينزع الحلم عن الجلد . والحلم دود يقع في الجلد فيفسده ، واحدته حلمة .

(٦) راغ الرجل والثعلب يروغ روغاً وروغاناً : مال وحاد عن الشيء .

كان مالك بن أبي السَّمح الطائي المغنّي صديقاً للحسين بن عبد الله بن عُبَيد الله بن العبأس ونديماً له، وكان يتغنّى في أشعاره. وله يقول الحسين رحمه الله تعالى :

لا عَيشَ إلّا بمالك بن أبي السَّمحِ فلا تَلحَني ولا تَلُمِ
أبيضُ كالسيف أو كما يلمعُ البارقُ في حِندِسٍ من الظُّلَمِ
يُصيبُ مِن لذّة الكريم ولا يَهتِكُ حقّ الإسلام والحُرَم
يا رُبَّ ليلٍ لنا كحاشية البُرْد ويومٍ كذاك لم يَدُم
قد كنتُ فيه ومالك بن أبي السمح الكريم الأخلاقِ والشِّيَم
مَن ليس يَعصيكَ إن رَشَدْتَ ولا يجهلُ آيَ الترخيص في اللَّمَم

قال : فقال له مالك : ولا إن غوَيتَ والله بأبي أنت وأمي أَعصيك. قال وغنّى مالكٌ بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد، فقال له : أخطأ حسين في صفتك، إنما كان ينبغي أن يقول :

أحوَلُ كالقردِ أو كما يخرُج السارق في حالكٍ من الظُّلَمِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال :

كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس اذا صلى العصرَ دخل منزله وسمع الغناء عشيته. فأتاه قومٌ ذات عشيّةٍ في حاجةٍ لهم فقضاها، ثم جلسوا يحدِّثونه. فلما أطالوا قال لهم : أتأذنون؟ فقالوا نعم. فقام في أصحاب له وهو يقول :

قُومُوا بنا نُدرِكْ من العيش لذّةً ولا إثمَ فيها للتّقيِّ ولا عارَا

صوت

إنّ حرباً وإنّ صخراً أبا سُفْيانَ حازا مجداً وعِزّاً تليدا

فهما وارثا العُلا عن جُدودٍ وَرِثوها آباءهم والجُدودا

الشعر لفضالة بن شريكٍ الأسديّ من قصيدةٍ يمدح بها يزيد بن معاوية . وبعد هذين البيتين يقول :

وحوَى إرثها مُعاوية القَرْ مُ[1] وأعطى صفوَ التُّراثِ يزيدا

والغناء لإبراهيم بن خالد المُعيطيّ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهشامي . والله أعلم .

(١) القرم : هنا السيد .

أخبار فضالة بن شريك ونسبه

هو فَضالةُ بن شَريك بن سَلمان بن خُوَيلد بن سلمة بن عامر مُوقِدِ النار ابن الحريش بن نُمَير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزَيمة ابن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ . وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام . وكان له ابنان شاعران ، أحدُهما عبد الله بن فضالة الوافدُ على عبد الله بن الزُّبير والقائل له : إنّ ناقتي قد نَقِبتْ[1] ودبِرتْ ؛ فقال له : ارْقعها بجلدٍ واخصِفها بهُلبٍ[2] وسِر بها البَرْدَين . فقال له : إني قد جئتك مُستحملاً لا مستشيراً ، فلعن الله ناقةً حملتني اليك . فقال له ابن الزبير : إنّ[3] وراكبها . فانصرف من عنده وهو يقول :

أقولُ لغِلمتي شُدّوا ركابي أجاوِزْ بَطنَ مكّةَ في سَوادٍ[4]
فما لي حينَ أقطع ذات عِرقٍ الى ابنِ الكاهليّة من مَعادِ[5]

---

(١) يقال : نقب البعير ، اذا حفي ورقت أخفافه . والدبر (بالتحريك) : جرح يكون في ظهر الدابة .

(٢) الهلب : الشعر . وخصفه : وضمه وإطباقه على الاخفاف ليقيها . والبردان : الغداة والعشي مثل الابردين .

(٣) إنّ هنا بمعنى « نعم » .

(٤) بطن مكة : موضع بقرب مكة . وفي سواد : أي في ظلام .

(٥) ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة وعنده يهل أهل العراق . وابن الكاهلية ، يريد ابن الزبير . وسيذكر المؤلف ذلك في آخر هذه الترجمة . ومعاد : مصدر بمعنى العود .

سَيُبْعِدُ بيننا نَصُّ المطايا ... وتَعليقُ الأداوى والمَزادِ [١]
وكلُّ مُعَبَّدٍ قد أعلمتهُ ... مَناسِمهُنَّ طَلَّاعِ النِّجادِ [٢]
أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيبٍ ... نَكِدنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ [٣]
مِنَ الأعياصِ أو مِن آلِ حَربٍ ... أَغَرُّ كغُرَّةِ الفرَسِ الجوادِ

حدثنا بذلك محمد بن العبَّاس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني. فأمّا فاتكُ ابن فضالة فكان سيِّداً جواداً. وله يقول الأقيشر يمدحه:

وَفَدَ الوفود فكنتَ أفضلَ وافدٍ ... يا فاتكُ بنَ فَضالةَ بن شَريكِ

أخبرني بما أذكر من أخباره ها هنا مجموعاً عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيدٍ السُّكَّري عن محمد بن حبيب، وما ذكرته متفرّقاً فأنا ذاكرٌ إسناده عمن أخذتُه. قال ابن حبيب:

مرّ فَضالة بن شريكٍ بعاصم بن عمر بن الخطَّاب — رضي الله تعالى عنهما — وهو مُتَبَدٍّ [٤] بناحية المدينة، فنزل به فلم يَقرِه شيئاً ولم يبعث اليه ولا الى أصحابه بشيء، وقد عرّفوه مكانهم، فارتحلوا عنه. والتفت فضالةُ الى مولًى لعاصمٍ فقال له: قُل له: أما والله لأطوّقنّك طوقاً لا يُبلى. وقال يهجوه:

---

(١) نص المطايا: سيرها الشديد. والاداوى: جمع إداوة وهي المطهرة. والمزاد: الاسقية، واحدها مزادة.

(٢) المعبّد هنا: الطريق الواضح الذي عبّد ومُهّد من كثرة السير فيه. والمناسم: أطراف أخفاف الابل، واحدها منسم. والنجاد: جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض. وطلاع النجاد: السامي لمعالي الامور. ووصف الطريق به هنا مجاز؛ إذ هو يريد؛ وكل طريق معبّد لا يسلكه إلا السامون لمعالي الامور الضابطون لامورهم.

(٣) أبو خبيب: كنية لعبد الله بن الزبير، ويكنى أيضاً أبا بكر وأبا عبد الرحمن. ونكدن: تعسرن. لان بني أمية قد اشتهروا بالجود؛ فأوّل العلم باسم الجنس لشهرته بصفة الجود.

(٤) متبدّ: مقيم بالبادية.

ألا أيها الباغي القِرى لستَ واجداً قِراكَ اذا ما بتَّ في دار عاصمِ
اذا جئته تبغي القِرى بات نائماً بَطيناً وأمسى ضيفه غير نائم
فدَعْ عاصماً أفٍّ لأفعال عاصمٍ اذا حُصِّل الأقوام أهل المكارم
فتًى من قُرَيشٍ لا يجود بنائلٍ ويَحسب أنَّ البُخلَ ضَربة لازم
ولولا يدُ الفاروق قلّدتُ عاصماً مُطوّقةً يُحدى بها في المواسم
فليتك من جَرْمِ بن زبّان أو بني فُقَيمٍ أو النّوكي أبان بن دارم
أُناسٌ اذا ما الضيفُ حلّ بُيوتَهم غَدا جائعاً عَيمانَ[1] ليس بغانم

قال : فلما بلغت أبياته عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أميرٌ، فهرب فضالة بن شريك فلحق بالشأم، وعاذ بيزيد بن مُعاوية وعرّفه ذَنبه وما تخوَّف من عاصم؛ فأعاذه، وكتب الى عاصمٍ يُخبره أنّ فضالة أتاه مستجيراً به، وأنّه يحبّ أن يهبه له، ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره، ويضمن له ألّا يعود لهجائه؛ فقبِل ذلك عاصمٌ وشفّعَ يزيد بن معاوية . فقال فضالة يمدح يزيد بن معاوية .

إذا ما قُرَيشٌ فاخرتْ بقديمها فَخرتَ بمجدٍ يا يزيدُ تَليدِ
بمجد أمير المؤمنين ولم يزَل أبوك أمينُ الله غير بليد
به عصم الله الأنام من الرّدى وأدرك تَبلًا من مَعاشرَ صِيد[2]
ومجدِ أبي سُفيان ذي الباع والنّدى وحربٍ وما حربُ العُلا بزهيد
فمن ذا الذي إن عدّد الناس مجدهم يجيء بمجدٍ مثل مجدِ يزيد

وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصة بعينها .

---

(١) عيمان : عطشان .

(٢) التبل هنا : الثأر . والصيد : جمع أصيد . يقال ملك أصيد ، اذا كان لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني السكّري عن أبن حبيب قال :

كان عبد الله بن الزبير قد ولّى عبد الله بن مُطيع بن الأسود بن نَضلة بن عُبَيد بن عَويج بن عديّ بن كعب ، الكوفة ، فطرده عنها المختار بن أبي عُبيد حين ظهر ، فقال فضالة بن شريكٍ يهجو أبن مُطيع :

دعا أبنُ مُطيعٍ للبياع فجئتــه ... الى بَيعةٍ قلبي بهــا غيرُ عارفِ

فقرّب لي خَشناء لمّا لمستُهـا ... بكَفّي لم تُشبه أكُفّ الخلائف

معوّدةً حملَ الهراوى لقومهـا ... فَروُراً اذا ما كان يوم التسايف [1]

من الشّثنات الكُزم أنكرتُ لمسها ... وليست من البيض السِباط اللّطائف

ولم يُسمِ إذ بايعتــه من خليفتي ... ولم يشترط إلّا اشتراط المُجازف

متى تَلقَ أهلَ الشام في الخَيل تَلقَني ... عـلى مُقرَبٍ [3] لا يُزدهى بالمَجاذف

مُمَرٍّ [4] كبُنيان العبـاديّ [5] مُخطَفٍ ... من الضّاريات بالدّماء الخَواطف

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : تزوّج عامرُ بن مسعود بن أميّةَ بن خلفٍ الجُمحيّ أمرأةً من بني نصر بن معاوية ، وسأل في صَداقها بالكوفة ، فكان يأخذ من كلّ رجلٍ سأله درهمين درهمين . فقال له فضالة بن شريكٍ يهجوه بقوله :

---

(١) التسايف : التضارب بالسيوف .

(٢) يقال شثن الرجل (كفرح وكرم) فهو شثن (بالسكون) اذا كان غليظ الكف خشنها . والكزم : جمع أكزم وكزماء ، والكزم (بالتحريك) هنا : قصر في الأصابع شديد .

(٣) المقرب من الخيل : الذي يقرب مربطه ومعلفــه لكرامته . ولا يزدهي : لا يستخف ولا المجاذف : ما يرمى به .

(٤) ممر : موثق الخلق .

(٥) العباديون : نصارى الحيرة ، والمخطف : الضامر . وضري بالشيء : لهج به وأغرم

أنكحتمُ يا بني نصرٍ فتاتكمُ وجهاً يَشين وُجوه الرَّبرب[١] العِينِ
أنكحتمُ لا فتى دُنيا يُعاش به ولا شُجاعاً اذا أنشقَّتْ عصا الدّين
قد كنتُ أرجو أبا حفصٍ وسُنَّته حتى نكحتَ بأرزاق المساكين

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد: أودعَ فضالةُ بن شريكٍ رجلاً من بني سُليم يقال له قيس ناقةً، فخرج في سفرٍ؛ فلمّا عاد طلبها منه، فذكر أنّها سُرِقتْ. فقال فيه:

ولو أنّني يومَ بَطنِ العقيقِ ذكرتُ وذو اللُّبِّ يَسنى كثيرا
مُصابَ[٢] سُليمٍ لِقاحَ النبيِّ لم أُودع الدّهر فيهم بعيرا
وقد فات قيسٌ بعَيرانةٍ[٣] اذا الظِّلُّ كان مَداه قصيرا
مِن اللّاعباتِ بفضل الزّمامِ اذا أقلقَ السَّير فيه الضُّفورا[٤]
ومَن يَبكِ منكم بني مُوقدٍ ولم يرهم يَبكِ شجواً كبيرا
هُمُ العاسفون صِلابُ القَنا اذا الخيل كانت من الطّعن زُورا[٥]
وأيسارُ لقمانَ[٦] إذ أمحلوا وعِزٌّ لمن جاءهم مُستجيرا
فإن أنا لم يُقضَ لي ألقَهم قرأتُ السلام عليهم كثيرا

وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أنّ القصيدة التي ذكرتُها عن المدائني في خبر عبد الله

(١) الربرب: القطيع من بقر الوحش. والعين: الواسعة العيون، الواحد أعين وعيناء.

(٢) مصاب هنا: مصدر بمعنى إصابة. واللقاح: ذوات الألبان من النوق واحدتها لقوح ولقحة.

(٣) العيرانة من النوق: القوية التي تشبه العير، وهو الحمار الوحشي، في القوة والنشاط.

(٤) الضفور: جمع ضفر (بالفتح) وهو ما يشد به البعير من الشعر المضفور.

(٥) زور: مائلات، واحدها أزور وزوراء.

(٦) الأيسار: أصحاب القداح المجتمعون على الميسر، الواحد يسر (بالتحريك). ولقمان هو ابن عاد صاحب النسور السبعة التي آخرها لبد، وهو غير لقمان الحكيم.

ابن فضالة بن شريكٍ مع ابن الزبير كانت مع فضالة وابن الزبير لا مع ابنه، وذكر الأبيات وزاد فيها:

شكوتُ اليه أن نَقِبتْ قَلوصي ... فردَّ جوابَ مشدودِ الصِّفادِ (١)
يضنُّ بناقةٍ ويرومُ مُلكاً ... مُحالٌ ذلكم غيرُ السَّداد
ولَيتَ إمارةً فبخلتَ لمّا ... وَليتَهمُ بملكٍ مُستفاد
فإن وَليتْ أميّةُ أبدلوكم ... بكلِّ سَميدعٍ (٢) واري الزِّناد
من الأعياص أو من آل حربٍ ... أغرَّ كغُرَّة الفرس الجواد
إذا لم ألقهم بمنى فإنّي ... ببيتٍ لا يهشُّ له فؤادي
سيُدنيني لهم نصُّ المطايا ... وتعليقُ الأداوى والمزاد
وظهرٌ مُعبَّدٍ قد أعملته ... مَناسِمهنَّ طِلَاعَ النِّجاد
رَعينَ الحمضَ حمضَ خُناصراتٍ ... وما بالعِرق من سَبَل الغوادي (٣)
فهنَّ خواضعُ الأبدان قُودٌ (٤) ... كأنَّ رؤوسهنَّ قبور عاد
كأنَّ مَواقعَ الغِربان منها ... مَناراتٌ بُنينَ (٥) على عِماد

قال: فلمّا وليَ عبد الملك بعث الى فضالة يطلبه، فوجده قد مات، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وِقرها بُرّاً وتمراً. قال: والكاهلية التي ذكرها زُهرة بنت حُنثر امرأةٌ من بني كاهل بن أسدٍ، وهي أمُّ خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى.

---

(١) الصفاد (بالكسر): ما يوثق به الأسير من قدّ أو قيد.

(٢) السميدع: السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الاكناف، والشجاع، والرجل الخفيف في حوائجه.

(٣) سبل الغوادي: مطرها. يريد ما أنبته المطر من مرعى.

(٤) قود: جمع أقود وقوداء. والقود (بالتحريك): طول الظهر والعنق.

(٥) يريد أن يصف المطايا بالضخامة والارتفاع، كما وصفها في البيت الذي قبله بالطول.

صوت

لقد طال عَهدي بالإمام محمدٍ   وما كنتُ أخشى أن يطول به عهدي
فأصبحتُ ذا بُعدٍ وداري قريبةٌ   فواعجباً من قُرب داري ومن بُعدي
فيا ليتَ أنّ العيدَ لي عاد يومه   فإنّي رأيت العيد وَجهك لي يُبدي
رأيتك في بُردِ النبيّ محمدٍ   كبَدر الدُّجى بين العمامة والبُرد

الشعر لأبي السِمط مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مَروان الأكبر بن أبي حَفصة. والغناء لِبنانٍ خفيفُ رملٍ مطلق ابتداؤه نشيد. وذكر الصولي أن هذا الشعر ليحيى بن مروان. وهذا غلط قبيح.

أخبار مروان الأصغر

كان أهله شعراء وشعره دونهم :

قد مرّ نسبه ونسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتقدِّماً . وكان مروان هذا آخرَ مَن بقي منهم يُعَدّ في الشعراء ، وبقي بعده منهم متوَّجٌ . وكان ساقطاً بارد الشِعر. فذُكر لي عن أبي هِفَّان أنه قال : شِعرُ آل أبي حفصة بمنزلة الماء الحارّ ، ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته ، ثم يفتر ثم يبرُد ، وكذا كانت أشعارهم ، إلّا أنّ ذلك الماء لمّا انتهى الى متوَّج جَمَد .

وهذا الشعر يقوله مَروان في المنتصر ، وكان قد أقصاه وجفاه ، وأظهر خلافاً لأبيه في سائر مذاهبه حتى في التشيُّع ، فطرد مروان لنصبه ، وأخرجه عن جُلسائه. فقال هذه الأبيات وسأل بُنان بن عمرو فغنّى فيها المنتصر ليستعطفه . وخبرُه في ذلك يُذكر في هذا الموضع من الكتاب .

مدح المتوكل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة :

أخبرني عمي وحبيب بن نَصر المهلّبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حمّاد بن أحمد بن سليمان الكلبيّ قال حدثني أبو السِمط مَروان الأصغر قال :

لمّا دخلتُ الى المتوكل مدحته ومدحتُ وُلاة العهود الثلاثة وأنشدتُه :

سقى الله نَجداً والسلامُ على نجدِ ويا حبّذا نجدٌ على النأيِ والبُعدِ
نظرتُ الى نجدٍ وبغداد دونها لعلّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجد

وَنجدٌ بها قومٌ هَواهُم زيارتي ولا شيءَ أحلى من زيارتهم عندي

قال : فلمّا فرغتُ منها أمر لي بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظَّهر فَرَسٍ وبغلةٍ وحمارٍ ، ولم أبرَحْ حتى قلتُ قصيدتي التي أشكره فيها وأقول :

تخيَّرَ ربُّ الناس للناس جعفرًا وَمَلَّكه أمرَ العباد تخيُّرَا

فلما صرتُ الى هذا البيت :

فأمسِكْ نَدى كفَّيك عنّي ولا تَزِد فقد كدتُ أن أطغى وأن أتجبَّرَا

قال لي : لا والله لا أمسكُ حتى أغرِّقك بجودي .

وحدثني عمي بهذا الخبر قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني حماد بن أحمد بن يحيي قال حدثني مروان بن أبي الجنوب ، فذكر مثل هذا الخبر سواء ، وقال بعد قوله : « لا والله لا أمسك حتى أغرّقك » . سَلني حاجتك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الضَّيعة التي أمرتَ أن أُقطَعها باليمامة – ذكر ابن المدبّر أنها وَقفٌ المعتصم على ولده – فقال : قد قَبِلْتُك[1] إيّاها مائة سنة بمائة درهم . فقلت : لا يحسن أن تُضمَنَ ضيعةٌ بدرهمٍ في السنة . فقال ابن المدبّر : فبألف درهم في كلّ سنة . فقلت نعم . فأمر ابنَ المدبّر أن يُنفِذَ ذلك لي ، وقال : ليست هذه حاجةٌ ، هذه قَبالةٌ ، فسَلني حاجتك . فقلت ضيعة يقال لها السُّيُوح أمر الواثق بإقطاعي إيّاها ، فمنعَنيها ابنُ الزّيات ؛ فأمر بامضاء الإقطاع لي .

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عليّ بن يحيي المنجّم قال :

كان عليّ بن الجهم يَطعن على مروان بن أبي الجنوب ويَثلُبه حسداً له على

---

(١) قبلتك إياها أي ضمنتها لك والتزمت بذلك . والاسم القبالة (بالفتح) .

موضعه من المتوكل . فقال له المتوكل يوماً : يا عليّ ، أيما أشعرُ أنت أو مَروان ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فأقبل على مروان فقال له : قد سمعتَ ، فما عندك ؟ قال : كلُّ أحدٍ أشعرُ مني يا أمير المؤمنين ، وما أصِفُ نفسي ولا أزكّيها . واذا رضيني أمير المؤمنين فما أبالي مَن زيّفني . فقال له : قد صدّقتك ، عليٌّ يزعمُ سرًّا وجهراً أنه أشعر منك . فالتفت اليه مروان فقال له : يا عليّ ! ألأنت أشعر مني ؟ فقال : أوَتشكُّ في ذاك ؟ قال : نعم ! أشكُّ وأشكُّ ، وهذا أمير المؤمنين بيننا . فقال له عليٌّ : إنّ أمير المؤمنين يُحابيك . فقال المتوكل : هذا عِيٌّ منك يا عليّ ؛ ثم قال لابن حمدون : احكُم بينهما . فقال : طرَحتني والله يا أمير المؤمنين بين أنياب ومخالب أسدين . قال : والله لتحكمنّ بينهما . فقال له : أمّا إذ حلفتَ يا أمير المؤمنين فأشعرهما عندي أعرفهما في الشِعر . فقال له المتوكل : قد سمعتَ يا عليُّ . قال : قد عرف مَيلك اليه فمال معه . فقال : دَعنا منك ، هذا كله عِيٌّ ، فإن كنت صادقاً فاهجُ مروان . قال : قد سكرتُ ولا فضلَ فيّ . فقال المتوكل لمروان : اهجُه أنت ، وبحياتي لا تُبقِ غاية . فقال مروان :

إنّ ابن جهمٍ في المَغيبِ يَعيبُني ... ويقول لي حسناً اذا لاقاني
صَغُرتْ مَهابته وعُظِم بَطنه ... فكأنما في بطنه ولدان
وَيحَ ابنِ جهمٍ ليس يَرحمُ أمَّه ... لو كان يرحمها لما عاداني
فإذا ألتقينا ناكَ شِعري شِعرَه ... ونَزا على شيطانه شيطاني

قال : فضحك المتوكل والجلساء منه ، وانخزل ابن الجهم ، فلم يكن عنده أكثر من أن قال : جمع حيلة الرّجال وحيلة النساء . فقال له المتوكل : هذا أيضاً من عِيّك وبَردك ، إن كان عندك شيء فهاته ؛ فلم يأتِ بشيء . فقال لمروان : بحياتي إن حضرك شيء فهاته ، ولا تُقصِر في شتمك . فقال مروان :

لعَمرُكَ ما الجهم بن بَدرٍ بشاعرٍ ... وهذا عليٌّ بعده يَدّعي الشِعرا
ولكن أبي قد كان جاراً لأمه ... فلمّا ادّعى الأشعار أوهمني أمرا

قال : فضحك المتوكل وقال : زِده بحياتي . فقال فيه :

يابنَ بَدرٍ يا عَليَّهْ قُلتِ إنّي قُرَشيَّهْ
قلتِ ما ليس بحقٍ فاسكتي يا نَبَطيَّه
اسكُتي يا بنتَ جهمٍ اسكتي يا حَلَقيَّه(١)

فأخذ عبادة هذه الأبيات فغنّاه على الطبل وجاوبه مَن كان يُغنّي ، والمتوكل يضحك ويضرب بيديه ورجليه ، وعليٌّ مُطرِقٌ كأنه ميّت ، ثم قال : عليَّ بالدواة فأُتيَ بها ، فكتب :

بَلاءٌ ليس يُشبِهُه بَلاءٌ عَداوةُ غيرِ ذي حسبٍ ودينِ
يُبيحكَ منه عِرضاً لم يَصُنْه ويرتَع منك في عِرضٍ مَصونِ

قال عليّ بن الجهم شعراً في حبسه ، فعارضه فلم يطلقوه :

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني محمد بن السَّريّ قال :

لمّا مدح عليُّ بن الجهم وهو محبوسٌ المتوكل بقوله :

توكّلنا على ربِّ السماء وسَلّمنا لأسباب القضاء

وذكر فيها جميع الندماء وسبعهم(٢) وهجاهم ، انتدب له مَروان بن أبي الجَنوب فعارضه فيها ، وقد كان المتوكل رقَّ له ، فلما أنشده مروان هذه القصيدة اعتورَته ألسنة الجلساء ، فثلبوه وأغتابوه وضربوا عليه ، فتركه في مَحبسه . والقصيدة :

---

(١) يقال أتان حلقية ، اذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رحمها ؛ ومنه الحلاق (بالضم) في الاتان ، وهو ألا تشبع من السفاد .

(٢) سبعه : شتمه ووقع فيه .

ألم تعلم بأنك يابنَ جهمٍ دَعِيٌّ في أناسٍ أدعياء
أعبدَ الله تهجو وابنَ عمرٍو وبَختيَشوعَ أصحاب الوفاء
هجوتَ الأكرمين وأنت كلبٌ حقيقٌ بالشَّتيمةِ والهجاء
أترمي بالزِّناء بني حلالٍ وأنت زنيمٌ(١) أولاد الزِّناء
أسامةُ من جدودك يابنَ جهمٍ! كذبتَ وما بذلك من خفاء

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى قال حدثني ابراهيم ابن الحسن قال:

لمَّا كان من أمر العباس بن المأمون وعُجَيف ما كان، أنشد مروان بن أبي الجنوب المعتصم قصيدةً أوّلها:

ألا يا دولة المعصوم دُومي فإنّك قلتُ للدُّنيا استقيمي

فلما بلغ الى قوله:

هوَى العباسُ حين أراد غدراً فوافى إذ هوى قعرَ الجحيمِ
كذاك هوَى كهواهُ عُجَيفٌ فأصبح في سَواء لظى الحميم

قال المعتصم: أبعده الله!

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثنا أبو العيناء قال:

دخل مروان الأصغر بن أبي الجنوب على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إياها، فجعل أشناس يُحرّك رأسه ويومئ بيديه ويُظهر طرباً وسروراً، وأمر له بصلةٍ. فلما خرج قال له كاتبه: رأيتُ الأمير قد طرب وحرّك رأسه ويديه لِمَا

---

(١) الزنيم: المستلحق في قوم ليس منهم، والدعي، واللئيم المعروف بلؤمه أو شره.

كان يسمعه ، فقد فهمه ؟ قال نعم . قال : فأيّ شيء كان يقول ؟ قال : ما زال يقول عليّ رُقية الُخبز حتى حصّل ما أراد وانصرف .

هجا علي بن يحيي المنجم فردّ عليه :

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيي المنجّم قال : كان المتوكل يُعابثني كثيراً ، فقال في يوم من الأيام لمروان بن أبي الَجنوب : اهجُ علي بن يحيي ؛ فقال مروان :

ألا إنّ يحيي لا يُقـاسُ الى أبي   وعِرضُ ابن يحيي لا يُقاسُ الى عِرضي

وهي أبيات تركت ذكرها صيانةً لعلي بن يحيي . قال : فأجبتُه عنها فقلت :

صدقتَ لعَمري ما يقاسُ الى أبي   أبوك، ومَن قاس الشَواهقَ بالَخفض
وهل لك عِرضٌ طـاهرٌ فتقيسه   اذا قيسَتِ الأعراض يوماً الى عِرضي
ألستم مَوالي للَعين ورَهطـه   أعادي بني العباس ذي الحسب المحض
توالون مَن عادى النبيَّ ورَهطه   فتَرمون مَن والى أولي الفضل بالرَّفض
وليس عجيباً أن أرى لك مُبغضاً   لأنك أهــلٌ للعداوة والبغض

نقد أبو العنبس الصيمري شعراً له فتهاجرا :

حدثني جَحظة قال حدثني علي بن يحيي قال :

أنشد مروان بن أبي الَجنوب المتوكل ذات يوم :

إنّي نزلتُ بساحة المتوكل   ونزلتَ في أقصى دِيار المَوصلِ

فقال له بعض مَن حضر : فكيف الاتصال بين هؤلاء والُمراسلة ؟ فقال أبو العنبس

الصَّيمريَّ : كان له حَمامٌ[١] هُدًى يبعث بها اليه من الموصل حتى يُكاتبه على أجنحتها . فضحك المتوكل حتى استلقى ، وخجل مروان وحلف بالطلاق لا يكلّم أبا العنبس أبداً ، فماتا مُتهاجرَين . كذا أكبر حفظي أنّ جحظة حدثني به عن علي بن يحيي ؛ فإنّي كتبته عن حِفظي .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنى ابراهيم ابن المدبّر قال قرأتُ في كتابٍ قديم :

أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة :

قال عوف بن محلّم لعبد الله بن طاهر في علّةٍ اعتلّها :

فإن تكُ حُمّى[٢] الرّبع شفّك وِردُها ... فعُقباك منها أن يطول لك العُمرُ

وَقيناك لو نُعطى المُنى فيك والهوَى ... لكان بنا الشّكوى وكان لك الأجر

قال : ثم حُمّ المتوكل حُمّى الرّبع ، فدخل عليه مروان بن أبي الجنوب بن مروان ابن أبي حفصة ، فأنشده قصيدةً له على هذا الرويّ ، وأدخل البيتين فيها ، فسُرَّ بها المتوكل . فقال له علي بن الجهم : يا أمير المؤمنين ، هذا شعرٌ مَقولٌ ، والتفتَ إليّ وقال : هذا يعلم . فالتفتَ إليّ المتوكل وقال : أتعرفه ؟ فقلتُ : ما سمعته قبل اليوم . فشتم عليٌّ بن الجهم وقال له : هــذا من حسدك وشرّك وكذبك . فلمّا خرجنا قال عليٌّ بن الجهم : وَيحك ! ما لك قد جُنِنتَ ! أما تعرف هذا الشعر ؟ قلتُ : بلى ! وأنشدته إيّاه . فلمّا عدتُ الى المتوكل من غدٍ قال له : يا أمــير

---

(١) الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان ، فيرسل من أمكنة بعيدة فيذهب الى حيث يراد منه أن يذهب، الواحد هاد، والجمع هُدّى (بالقصر) وهُداء (بالمدّ) ؛ كما يقال عاز وغُزّاء . وورود هذين الجمعين في الوصف المعتل اللام نادر .

(٢) حمى الربع : التي تنوب في اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده في اليوم الرابع .

المؤمنين ، قد أعترف لي بالشعر وأنشدنيه . فقال لي : أكذاك هو ؟ فقلتُ : كذب يا أمير المؤمنين ! ما سمعتُ به قطُّ ، فازداد عليه غيظاً وله شتماً . فلمّا خرجنا قال لي : ما في الأرض شرٌّ منك . فقلتُ له : أنت أحمقُ ، تُريد منّي أن أجيء الى شعرٍ قد قاله فيه شاعرٌ يحبُّه ويُعجبه شعرُه فأقول له : إنّي أعرفه فأُوقع نفسي وعرضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده ، ويسقط ذاك ويُبغضني أنا .

صوت

ما لإبراهيم في العِلم بهذا الشأن ثانِ
إنّما عُمرُ أبي إسحاق زَينٌ للزّمان
فإذا غنّى أبو أسحا قَ أجابته المثاني
منه يُجنَى ثمرُ اللّهوِ وريحان الجنان
جنّة الدُّنيا أبو إسحاق في كلّ مكان

عروضه من الرَّمل . الشِعر لابن سَيابة . والغناء لإبراهيم المَوصليّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ابنه .

أخبار ابراهيم بن سيابة ونسبه

جدّه وهو ظريف ويرمى بالأبنة :

إبراهيم بن سَيابة مولى بني هاشم . وكان يقال : إنّ جدّه حجّام أعتقه بعض الهاشميين . وهو من مُقاربي شعراء وقته ، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف ، وإنما كان يميل بمودّته ومَدحه الى ابراهيم المَوصلي وابنه اسحاق ، فغنّيا في شعره ورفعا منه ، وكانا يذكّرانه للخلفاء والوزراء ويذكّرانهم به اذا غنّيا في شعره ، فينفعانه بذلك . وكان خليعاً ماجناً ، طيّب النادرة ، وكان يُرمى بالأُبنة .

شعره في جارية سوداء لامه أهله في عشقه لها :

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني أبو زائدة عن جعفر بن زيادٍ قال :

عَشِق ابن سيابة جاريةً سوداء، فلامه أهله على ذلك وعاتبوه ؛ فقال :

يكون الخالُ في وجهٍ قبيحٍ فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يُلامُ معشوقٌ على مَن يراها كلها في العين خالا

قصته مع ابن سوّار القاضي ودابته رحاص :

أخبرني محمد بن مَزيَدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حمّاد ابن اسحاق عن أبيه قال :

لقيَ ابراهيم بن سيابة وهو سكران ابناً لسوّار بن عبد الله القاضي أمرَدَ ،

فعانقه وقبَّله، وكانت معه دايةٌ يقال لها رُحاص، فقيل لها: إنه لم يُقبِّله تقبيل السلام، إنَّما قبّله قُبلةَ شهوةٍ. فلحقته الداية فشتمته وأسمعته كلَّ ما يكره، وهجره الغلام بعد ذلك. فقال له:

قُلْ للذي ليس لي مِن يدَيْ هَواه خَلاصُ
ألأن لثمتُك سِراً فأبصرتني رُحاص
وقال في ذاك قومٌ على انتقاصي حِراص
هجرتَني وأتتني شتيمةٌ وانتقاص
فهاك فاقتصَّ منّي إنّ الجروح قِصاص

ويُروى أنّ رُحاص هذه مغنّية كان الغلام يحبُّها، وأنه سكِر ونام؛ فقبّله ابن سيابة. فلمّا انتبه قال للجارية: ليت شِعري ما كان خبرُك مع ابن سيابة؟ فقالت له: سَلْ عن خبرك أنت معه، وحدّثته بالقصة؛ فهجره الغلام؛ فقال هذا الشعر.

جوابه لمن عاتبه على مجونه، ولمن سأل عنه وهو سكران محمول في طبق:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا بن مَهروية قال حدثنا عليّ بن الصبّاح قال:

عاتبنا ابن سيابة على مُجونه، فقال: ويلكم! لأن ألقى الله تبارك وتعالى بذُلّ المعاصي فيرحمني، أحبُّ إليّ من أن ألقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي فيمقتني.

قال ورأيت ابن سيابة يوماً وهو سكران وقد حُمل في طبقٍ يَعبُرون به على الجسر، فسألهم إنسانٌ ما هذا؟ فرفع رأسه من الطبق وقال: هذا بقيّةٌ ممّا ترك آلُ موسى وآل هارون تحمله الملائكة يا كشخان[1].

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهروية قال حدثنا أبو الشِّبل البرُجمي قال:

---

(١) الكشخان: الديوث.

وَلِع يوماً أبو الحارث جُمَّيز بابن سيابة حتى أخجله . فقال عند ذلك ابن سيابة يهجوه :

بنى أبو الحارث الجُمَّيز في وسطٍ   من ظهره وقريباً من ذراعينِ
دَيراً لقسٍّ اذا ما جاء يدخله   ألقى على باب دير القسّ خُرجَين
يعدو على بطنه شدّاً على عجلٍ   لا ذو يدَين ولا يمشي برجلين

جوابه لمن اقترض منه فاعتذر :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن ابراهيم تينةُ قال :

كتب ابن سيابة الى صديقٍ له يقترض منه شيئاً ؛ فكتب اليه يعتذر له ويحلف أنه ليس عنده ما سأله . فكتب اليه : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً » .

ضرط في جماعة فكلم استه :

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمّاد بن اسحاق عن أبيه قال :

كان ابن سيابة الشاعر عندنا يوماً مع جماعةٍ نتحدّث ونتناشد وهو يُنشدنا شيئاً من شِعره ، فتحرك فضرط ، فضرب بيده على أسته غير مكترثٍ ، ثم قال : إمّا أن تسكتي حتى أتكلّم ، وإمّا أن تتكلّمي حتى أسكت .

غمز غلاماً أمرد فأجابه :

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أبو هِفّان قال :

غمز ابن سيابة غلاماً أمرد ذات يومٍ فأجابه ، ومضى به الى منزله ، فأكلا

وجلسا يَشربان . فقال له الغلام : أنت ابن سيابــة الزّنديق ؟ قال نعم . قال : أحبّ أن تعلّمني الزّندقة . قال : أفعلُ وكرامةً . ثم بطحه على وجهه ، فلمّا تمكّن منه أدخل عليه ؛ فصاح الغلام أوّهْ ! أيشٍ هذا ويحك ؟ قال سألتني أن أعلّمك الزندقة ، وهذا أوّل بابٍ من شرائعها .

يرى فقدان الدقيق أكبر مصيبة :

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدثني مُحرز بن جعفر الكاتب قال :

قال لي ابراهيم بن سيابة الشاعر : اذا كانت في جيرانك جنازةٌ وليس في بيتك دقيقٌ فلا تحضر الجنازة ؛ فإنّ المُصيبة عندك أكبر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم .

أخبرني جعفر بن قُدامة ومحمد بن مَزْيَدٍ قالا حدثنا حمّاد بن اسحاق عن أبيه قال :

سخط الفضل بن الربيع على ابن سَيابة ، فسألته أن يرضى عنــه فامتنع . فكتب اليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها :

إن كان جُرمي قد أحاط بحرمتي ... فأحِط بجرمي عَفْــوك المأمولا
فكم ارتجيتك في التي لا يُرتجى ... في مثلها أحــدٌ فنلت السُّولا [١]
وضللتُ عنك فلم أجد لي مذهباً ... ووجدتُ حلمك لي عليك دليلا
هبني أسأتُ وما أسأتُ أقرُّ كي ... يزداد عفوك بعــد طَولك طُولا [٢]
فالعفوُ أجمــلُ والتفضّل بامرئٍ ... لم يَعــدَمِ الرّاجون منه جميلا

---

(١) السؤل والسؤلة ، ويترك همزهما : ما سألته .

(٢) الطول (بالفتح) : الفضل .

فلمّا قرأها الفضل دمعت عيناه ورضي عن ابن سيابة، وأوصله اليه وأمر له بعشرة آلاف درهم.

حواره المقذع مع بشار:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهروية قال حدثنا الحسن ابن الفضل قال سمعتُ ابن عائشة يقول:

جاء ابراهيم بن سيابة الى بشّار فقال له: ما رأيت أعمى قطُّ إلّا وقد عُوّض من بصره إمّا الحفظ والذّكاء وإمّا حُسنَ الصوت، فأيَّ شيء عُوّضتَ أنت؟ قال: ألا أرى ثقيلًا مثلك، ثم قال له: مَن أنت ويحك؟ قال: ابراهيم بن سيابة. فتضاحك ثم قال: لو نُكِح الأسد في استه لذلّ. وكان ابراهيم يُرمى بذلك. ثم تمثّل بشّار:

لو نُكح الليثُ في استه خضعاً ... ومات جوعاً ولم يَنل شِبَعا
كذلك السيفُ عند هِزّته ... لو بصق الناس فيه ما قطعا

نزل على سليمان بن يحي بن معاذ بنيسابور:

أخبرني حبيب بن نَصر المهلّبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن أبي نصر المَروزي قال حدثني محمد بن عبد الله الطلحي قال حدثني سليمان ابن يحيي بن مُعاذ قال:

قدِم ابراهيم بن سيابة نَيسابور فأنزلتُه عليَّ؛ فجاءني ليلةً من اللّيالي وهو مُهربٌ(١)، فجعل يصيح بي: يا أبا أيوب. فخشيتُ أن يكون قد غشيَه شيء يؤذيه، فقلت: ما تشاء؟ فقال:

---

(١) أهرب فهو مهرب: جدّ في السير مذعوراً.

أعيـــانيَ الشادنُ الرَّبيبُ

فقلتُ بماذا ؟ فقال :

أكتب أشكو فلا يُجيبُ

قال فقلتُ له : داره وداوه ؛ فقال :

من أين أبغي شفاء ما بي وإنّمـا دائيَ الطَّبيبُ

فقلت : لا دواء اذاً إلّا أن يُفرّج الله تعالى . فقال .

يا ربِّ فرّج اذاً وعجِّل فإنّك السامعُ المجيبُ

ثم انصرف .

في هذا الشعر رملٌ طُنبوريٌّ لجحظة .

من قصيدة أخت الوليد بن ظريف في رثائه :

صوت

أيا شجر الخابور مالَــكَ مُورقاً كأنّكَ لم تحزَن على ابن طَريفِ
فتًى لا يحبُّ الزاد إلّا من التُّقى ولا المـال إلّا من قَناً وسيوف

الشعر لأخت الوليد بن طريفٍ الشاريّ . والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، من رواية ابنه عُبيد الله عنه . وأوّل هذه الأبيات كما أنشدنا محمد ابن العبّاس اليزيديّ عن أحمد بن يحيي ثعلب :

بتلِّ نُباتا رَسمُ قَبرٍ كأنّه عـلى علمٍ فوق الجبالِ مُنيفِ
تضمّن جُوداً حاتمياً ونائــلاً وسَورة مِقــدامٍ وقلبٍ حصيف

أَلا قاتلَ اللهُ الجُثا[1] حيثُ أَضمرتْ فتًى كانَ بالمعروفِ غيرَ عفيفِ
فإنْ يَكُ أرداهُ يَزيدُ بنُ مَزْيَدٍ فيا رُبَّ خيلٍ فضَّها وصفوفِ
ألا يا لقومٍ للنوائبِ والرَّدى ودهرٍ مُلِحٍّ بالكرامِ عَنيفِ
وللبدرِ من بينِ الكواكبِ إذ هوى وللشمسِ هَمَّتْ بعدهُ بكسوفِ
أيا شجرَ الخابورِ مالكَ مُورِقاً كأنكَ لم تحزنْ على ابنِ طريفِ
فتًى لا يحبُّ الزادَ إلا من التُّقى ولا المالَ إلا من قناً وسيوفِ
ولا الخيلَ إلا كلَّ جرداءَ شِطبةٍ وكلَّ حصانٍ باليدينِ غَروفِ[2]
فلا تجزَعا يا ابنَي طريفٍ فإنني أرى الموتَ نزّالاً بكلِّ شريفِ
فقدناكَ فِقدانَ الرَّبيعِ وليتَنا فدَيناكَ من دَهمائنا بألوفِ

وهذه الأبيات تقولها أُخت الوليد بن طريفٍ ترثيه ، وكان يزيد بن مَزْيَدٍ قتله .

ذكر الخبر في ذلك

مقتل الوليد بن طريف :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرُّواة قال :

كان الوليد بن طريفٍ الشيبانيُّ رأسَ الخوارج وأشدَّهم بأساً وصَولةً وأشجعهم ؛ فكان مَن بالشَّمّاسيَّةِ[3] لا يأمن طروقه إيّاه ، واشتدت شوكته وطالت

(١) الجثا : جمع جثوة (مثلثة الجيم) وهي ما يتجمع من حجارة أو تراب .

(٢) الجرداء من الخيل : القصيرة الشعر . وقصر الشعر مما تمدح به الخيل . والشطبة (بالفتح وبكسر) من الخيل : السبطة اللحم ، وقيل : هي الطويلة . والغروف من الخيل : التي تغرف الجري غرفاً فتنهب الارض نهباً في سرعتها .

(٣) الشماسية : محلة كانت قريبة من بغداد .

أيامه . فوجّه اليه الرشيد يزيد بن مَزيَدٍ الشيبانيَّ ، فجعل يُخاتله ويُماكره . وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد بن مَزيَدٍ ، فأغرَوْا به أمير المؤمنين ، وقالوا : إنما يتجافى عنه للرَّحم ، وإلّا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يُواعده وينتظر ما يكون من أمره . فوجّه اليه الرشيد كتاب مُغضَبٍ يقول فيه : « لو وجّهتُ بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مُداهنٌ مُتعصِّب . وأمير المؤمنين يُقسِم بالله لئن أخرتَ مُناجزة الوليد ليوجّهنّ اليك مَن يحمل رأسك الى أمير المؤمنين » . فلقيَ الوليد عَشِيّة خميسٍ في شهر رمضان . فيقال : إنّ يزيد جُهد عطشاً حتى رمى بخاتمه في فِيه ، فجعل يلوكه ويقول : اللّهمّ إنّها شِدّةٌ شديدةٌ فاستُرها . وقال لأصحابه : فداكم أبي وأمّي ، إنما هي الخوارج ولهم حَمـلةٌ ، فاثبتوا لهم تحت التِراس[1] ، فاذا انقضت حملتهم فاحملوا ؛ فإنهم اذا انهزموا لم يرجعوا . فكان كما قال ، حملوا حملةً وثبت يزيد ومَن معه من عشيرته وأصحابه ، ثم حمل عليهم فانكشفوا .

ويقال : إنّ أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جِداً ؛ وكان لا يفصل بينهما إلّا المتأمّل ، وكان أكثر ما يُباعده منه ضربةً في وجه يزيد تأخذ من قَصاص شعره ومنحرفةً على جبهته ؛ فكان أسدٌ يتمنّى مثلها . فهوت له ضربةٌ فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع . فيقال : إنه لو خُطّت على مثال ضَربة أبيه ما عدا ، جاءت كأنها هي . واتّبع يزيد الوليد بن طريفٍ فلحقه بعد مسافة بعيدةٍ فأخذ رأسه . وكان الوليد خرج اليهم حيث خرج وهو يقول :

أنا الوليد بنُ طريف الشاري	قَسوَرَةٌ لا يُصطَلى بناري
جورُكُمُ أخرجني من داري

---

(١) التراس : جمع ترس (بالضم) ، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

خرجت أخته لتثأر له فزجرها يزيد بن مزيد :

فلمّا وقع فيهم السيف وأُخذ رأس الوليد ، صبّحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدّةً عليها الدّرع والجوشن ، فجعلت تحمل على الناس فعُرفت . فقال يزيد : دعوها، ثم خرج اليها فضرب بالرُّمح قَطاةَ[1] فرسها، ثم قال اغرُبي غرّب الله عليك ! فقد فضحتِ العشيرة ؛ فاستحيَتْ وانصرفت وهي تقول :

أيا شجر الخابور مالكَ مورقاً　　كأنّك لم تحزَن على ابن طريفِ
فتًى لا يحبّ الزّاد إلّا من التُّقى　　ولا المال إلّا من قَناً وسيوف
ولا الذُّخر إلّا كلّ جرداء صِلدمٍ　　وكلّ رقيقِ الشَّفرَتين خفيف[2]

فلمّا انصرف يزيد بالظَّفَر حُجب برأي البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه . فقال : وحقّ أمير المؤمنين لأصيفنّ وأشتونّ على فرسي أو أدخل . فارتفع الخبر بذلك فأُذن له فدخل . فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسُرّ وأقبل يصيح : مرحباً بالأعرابي ! حتى دخل وأُجلس وأُكرم وعُرف بلاؤه ونقاء صدره . ومدحه الشعراء بذلك . فكان أحسنهم مدحاً مُسلم بن الوليد ؛ فقال فيه قصيدته التي أوّلها :

من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد ابن مزيد :

أُجررتُ حبلَ خليعٍ في الصِّبا غَزِلِ　　وشمّرتْ هِمم العذّالِ في عَذَلي[3]

---

(١) قطاة الفرس : عجزها أو مقعد الرديف منها .

(٢) الصلدم من الخيل : الشديدة الحافر . ورقيق الشفرتين : السيف .

(٣) العذلي . تقول العرب : أجررت فلاناً رسنه اذا مهلت له في إرادته . وأصله أن تمهل للدابة في الرعي جارة رسنها . وغزل : ذي غزَل ومجانة . والخليع أيضاً : من يخلعه قومه لشره . فان ذهب أحد الى هذا فمعناه رجل قد تبرأ منه قومه .

هاج البكاءَ على العين الطَّموح هوًى ... مفرَّقٌ بين توديع ومُحتمَلِ
كيف السُّلوُّ لقلبٍ بات مُختبَلاً ... يَهذي بصاحب قلبٍ غير مُختبَلِ [١]

وفيها يقول :

يفترُّ عند افترار الحرب مبتسماً ... اذا تغيَّر وجه الفارس البطلِ [٢]
مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذي رَهجٍ ... كأنَّه أَجلٌ يسعى الى أمَلِ
ينال بالرِّفق ما يعيا الرجال به ... كالموت مستعجلاً يأتي على مَهَلِ
لا يرحل الناسُ إلا نحوَ حُجرته ... كالبيت يُفضي اليه مُلتقى السُّبُلِ
يَقري المنيَّة أرواح العداة كما ... يقري الضيوف شُحومَ الكُوم والبُزُلِ [٣]
يكسو السيوف رؤوس الناكثين به ... ويجعل الهامَ تيجان القنا الذُّبُلِ [٤]
اذا انتضى سيفه كانت مسالكه ... مسالكَ الموت في الأبدان والقُلَلِ [٥]
لا تكذبنَّ فإنَّ المجد مَعدِنُه ... وِراثةٌ في بني شيبان لم تَزَلِ
اذا الشريكيُّ لم يفخر على أحدٍ ... تكلَّم الفخر عنه غير مُنتحِلِ [٦]
الزَّائديُّون قوم في رماحهمُ ... خوفُ المخيف وأمنُ الخائف الوجِلِ [٧]

---

(١) مختبل : مخبول العقل فاسده . والهذيان : الكلام الذي يفضي بصاحبه الى ما لا يفهم عنه .

(٢) افتر فلان ضاحكاً : أبدى أسنانه عند الضحك . وافترار الحرب : تكشيرها عن أنيابها ، وهذا كناية عن شدتها .

(٣) «الكماة» بدل «العداة» . والكوم من النوق : العظام الأسنمة ، واحدتها كوماء . والبزل : جمع بزول وهو ما بلغ من الابل تسع سنين .

(٤) ويروى : «دماء الناكثين» . والناكثون : الناقضون للعهد . والذابل من القنا وهي الرماح : الرقيق اللاصق الليط . ويجمع أيضاً على ذبل .

(٥) ويروى : «في الاجسام» . وانتضى سيفه : سله من غمده . والقلل : جمع قلة ، وهي أعلى الشيء ، وهي هنا : أعالي الرؤوس .

(٦) الشريكي : نسبة الى «شريك» جدّ من أجداد يزيد بن مزيد الممدوح .

(٧) الزائديون : نسبة الى «زائدة» جدّ أيضاً . وقوله : «خوف المخيف» أي خوف من أخاف الناس ، يعني الاشرار الذين يخيفون الرعية .

كبيرهم لا تقوم الرّاسيات له … حلماً وطفلهم في هدي مكتهل
اسلَم يزيد فما في المُلك من أوَدٍ[1] … اذا سَلِمت ولا في الدّين من خلل
لولا دفاعك بأسَ الرّوم إذ مَكرت … عن بَيضة الدّين لم تأمن من الثّكل
والمارق ابنُ طريفٍ قد دلفتَ له … بعارضٍ للمنايا مُسبِلٍ هطل[2]
لو أنّ غير شريكيّ أطاف به … فازَ الوليد بقِدحِ الناضل الخصِل[3]
ما كان جمعهمُ لمّا دلفتَ لهم … إلّا كمثل جرادٍ ريعَ مُنجفل
كم آمنٍ لك نائي الدار ممتنعٍ … أخرجته من حصون المُلك والخَوَل[4]
تراه في الأمن في درعٍ مُضاعفةٍ … لا يأمن الدّهر أن يُدعى على عجل
لا يعبق الطِيبُ خدّيه ومَفرقَه … ولا يمسّح عينيه من الكحل
يأبى لك الذّمّ في يومَيك إن ذكرا … عضبٌ حسامٌ وعرضٌ غيرُ مُبتذل[5]
فافخر فمالك في شَيبان من مَثَلٍ … كذاك ما لبني شيبان من مثل

وقال محمد بن يزيد : يعني بقوله :

تراه في الأمن في درعٍ مُضاعفةٍ

كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله :

خبر يزيد بن مَزيَدٍ . وذاك أنّ امرأة معن بن زائدة عاتبت مَعناً في يزيد

(١) الأود : العوج .

(٢) أسبل السحاب : كثر مطره واتسع .

(٣) الناضل : المصيب . والخصل مثله .

(٤) الخول : ما يعطاه المرء من النعم والعبيد والاماء وغيرهم من الحاشية . ونائي الدار : بعيدها.

(٥) العضب هنا : السيف . والحسام : القطاع . يقول : يأبى لك أن يذمك أحد سيف قطاع تقتل به الاعداء ، وعرض غير مبتذل للذم ؛ لانك تصونه بالعطاء لكل من سألك ، فلا تجعل لأحد سبيلاً الى عرضك .

وقالت : إنك لتقدّمه وتُؤخر بَنيك ، وتُشيد بذكره وتخمل ذكرهم ، ولو نبّهتهم لانتبهوا ، ولو رفعتهم لارتفعوا . فقال معنٌ : إن يزيد قريبٌ لم تَبعُد رحمه ، وله عليّ حُكم الولد إذ كنت عمه . وبعد فإنهم أَلْوَط[1] بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجبه واجبة الوِلادة للأبوّة من تقديمهم ، ولكني لا أجدُ عندهم ما أجده عنده . ولو كان ما يضطلع به يزيد في بعيدٍ لصار قريباً ، وفي عدوٍ لصار حبيباً . وسأريك في ليلتي هذه ما ينفسح به اللّوم عنّي ويتبيّن به عُذري . يا غلام اذهب فادعُ جسّاساً وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً ، حتى أتى على أسماء ولده ؛ فلم يلبث أن جاءوا في الغلائل المطيَّبة والنعال السِّنديّة ، وذلك بعد هدأةٍ من الليل ، فسلّموا وجلسوا . ثم قال : يا غلام ادعُ لي يزيد وقد أسبل ستراً بينه وبين المرأة ، وإذا به قد دخل عجلاً وعليه السِّلاح كلّه ، فوضع رمحه بباب المجلس ثم أتى يُحضِر[2] . فلما رآه معن قال : ما هذه الهيئة أبا الزُّبير ؟ – وكان يزيد يُكنى أبا الزُّبير وأبا خالد – فقال : جاءني رسول الأمير فسبق الى نفسي أنه يريدني لوجهٍ ، فقلت : إن كان مضيتُ ولم أُعرّج ، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فنزع هذه الآلة أيسرُ الخطب . فقال لهم : انصرفوا في حفظ الله . فقالت المرأة : قد تبيّن عذرك . فأنشد معنٌ متمثّلاً :

نفسُ عصامٍ سوّدت عصاما وعوّدتـه الكرّ والإقداما
وصيّرته ملكاً هُماما

من شعر أخته في رثائه :

وأخبرني محمد بن الحسن الكنديّ قال حدثنا الرّياشيّ قال : أنشدني الأصمعي لأُخت الوليد بن طريف ترثيه :

(١) ألوط بقلبي : ألصق به .

(٢) يحضر : يعدو ويسرع .

ذكرتُ الوليد وأيامه إذِ الأرض من شخصه بلقَعُ
فأقبلتُ أطلبه في السماء كما يبتغي أنفه الأجدع
أضاعك قومك فليطلبوا إفادةَ مِثل الذي ضيَّعوا
لَوَ انّ السيوف التي حدُّها يصيبك تعلمُ ما تصنع
نبتْ عنك أو جعلتْ هيبةً وخوفاً لصولك لا تقطع

* * *

بعض أخلاق عبد الله بن طاهر :

فأمّا خبر عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت ، فإن عبد الله كان بمحلٍ من عُلوّ المنزلة وعظم القدر ولطف مكانٍ من الخلفاء ، يستغني به عن التقريظ له والدّلالة عليه . وأمرُه في ذلك مشهورٌ عند الخاصة والعامة ، وله في الأدب مع ذلك المحلّ الذي لا يُدفع ، وفي السماحة والشجاعة ما لا يُقاربه فيه كبيرِ أحدٍ .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرّد أنّ المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنة خَراجها وضياعها ، فوهبه كلّه وفرّقه في الناس ، ورجع صِفراً من ذلك ؛ فغاظ المأمون فعلُه . فدخل اليه يوم مقدمِه فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى ، وهي :

نفسي فداؤك والأعناق خاضعةٌ للنائبات أبيّاً غير مُهتضمِ
اليك أقبلت من أرضٍ أقمتُ بها حولَين بعدك في شوقٍ وفي ألم
أقفو مَساعيك اللاّتي خُصِصتَ بها حذوَ الشِراك على مثلٍ من الأدم
فكان فضليَ فيها أنني تَبَعٌ لِما سننتَ من الإنعام والنِعَم
ولو وُكِلتُ الى نفسي غَنيتُ بها لكن بدأتَ فلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال : والله ما نفِستُ عليكَ مَكرمةً نِلتها ولا أحدوثةً حسُن عنك ذكرها ، ولكن هذا شيء اذا عوّدته نفسك افتقرتَ ولم تقدِر على لمِّ شَعَثِك وإصلاح حالك . وزال ما كان في نفسه .

أخبرني وكيعٌ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال حدثني عبد الله بن فَرقدٍ قال أخبرني محمد بن الفضل بن محمد بن منصور قال :

لمّا افتتح عبد الله بن طاهر مصر ونحن معه ، سوّغه المأمون خَراجها . فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلِّها ثلاثة آلاف ألفِ دينارٍ أو نحوها . فأتاه مُعَلَّى الطائيُّ وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالناس في الجوائز ، وكان عليه واجداً ، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال : أصلح الله الأمير ! أنا مُعَلَّى الطائيّ ، وقد بلغ منّي ما كان منك إليّ من جفاء وغِلَظٍ . فلا يغلظنّ عليّ قلبُك ، ولا يستخفَّنّك الذي بلغك ، أنا الذي أقول :

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرةٍ ... وأظلم الناس عنـد الجود للمالِ
لو أصبح النيل يجري ماؤه ذهباً ... لمَا أشرتَ الى خَزنٍ بمثقـال
تُغلي[1] بما فيه رقُّ الحمد تملكه ... وليس شيء أعاضَ الحمـد بالغالي
تفكُّ باليُسر كفَّ العُسر من زمنٍ ... اذا استطال على قوم بإقـلال
لم تخلُ كفُّك من جُودٍ لمختبطٍ[2] ... أو مُرهفٍ قاتلٍ في رأس قتّال
وما بثثتَ رعيل الخيـل في بلدٍ ... إلّا عصفنَ بأرزاقٍ وآجـال
إن كنتُ منك على بالٍ مَننتَ به ... فإنّ شُكرَك من قلبي عـلى بال
ما زِلتُ مُنقضباً[3] لولا مُجاهَرةٌ ... من ألسنٍ خُضنَ في صَدري بأقوال

---

(١) أغلى بالشيء وأغلاه مثل غالى بالشيء وغالاه : جعله غالياً .

(٢) اختبطه وتخبطه : سأل المعروف بلا وسيلة من آصرة قربى أو مودة أو معرفة .

(٣) «وانقضب من أصحابه : انقطع» .

قال فضحك عبد الله وسُرّ بما كان منه، وقال: يا أبا السَّمراء أقرضني عشرة آلاف دينار، فما أمسيتُ أملكها؛ فأقرضه فدفعها اليه.

أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خُرداذبه قال:

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر، وكان نديمه وجليسه، وكان له مؤثراً مقدِّماً؛ فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنيَّة هناك وقبل ذلك. ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر، فجفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبّه، فرجع حينئذٍ الى بغداد وقال:

صوت

إن كان عبدُ الله خلّانا   لا مُبدِئاً عُرفاً وإحسانا
فحسبُنا الله رضينا به   ثم بعبد الله مولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون، وغنّت فيه جاريته ضَعفُ لحناً من الثقيل الأوّل، وسمعه المأمون فاستحسنه ووصله وإيّاها. فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر، فغاظه ذلك وقال: أجَل! صَنعنا المعروف الى غير أهله فضاع.

وكانت ضَعفُ إحدى المحسنات. ومن أوائل صَنعتها وصدور أغانيها وما برّزت فيه وقُدِّمت فاختيرت، صنعتها في شعر جميل.

أمِنكِ سرَى يا بَثْنُ طيفٌ تأوّبا   هُدوءاً فهاج القلب شوقاً وأنصبا
عجبتُ له أن زار في النوم مَضجعي   ولو زارني مُستيقظاً كان أعجبا

الشعر لجميل، والغناء لضعف ثقيلٌ أول بالبنصر.

قصته مع محمد بن يزيد الأموي:

أخبرني عمي قال حدثني أبو جعفر بن الدّهقانة النديم قال حدثني العباس بن

الفضل الخراساني ، وكان من وجوه قوّاد طاهر وابنه عبد الله ، وكان أديباً عاقلاً فاضلاً ، قال :

لمّا قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخر بقتلهم المخلوع ، عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني ، وكان رجلاً من ولد مسلمة ابن عبد الملك ، فأفرط في السّبّ وتجاوز الحدّ في قبح الردّ ، وتوسّط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسّط والتعصب . فكان مما قال فيه :

يا بن بيت النار موقدها　　ما لحاذيه سراويل (١)
من حسين من أبوك ومن　　مصعب ! غالتكم غول
نسب في الفخر مؤتشب (٢)　　وأبوّات أراذيل
قاتل المخلوع مقتول　　ودم المقتول مطلول

وهي قصيدة طويلة. فلمّا وُلّي عبد الله مصر ورُدّ اليه تدبير أمر الشام ، علم الحصني أنه لا يُفلت منه إن هرب ، ولا ينجو من يده حيث حلّ ؛ فثبت في موضعه ، وأحرز حُرَمه ، وترك أمواله ودوابّه وكلّ ما كان يملكه في موضعه ، وفتح باب حصنه وجلس عليه ، ونحن نتوقّع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به . فلما شارفنا بلده وكنّا على أن نصبّحه (٣) ، دعاني عبد الله في الليل فقال لي : بِتْ عندي الليلة ، وليكن فرسك مُعدّاً عندك لا يُرَدّ ، ففعلت :

فلمّا كان في السّحر أمر غلمانه وأصحابه ألّا يرحلوا حتى تطلع الشمس ، وركب في السّحر وأنا وخمسة من خواصّ غلمانه معه ، فسار حتى صبّح الحصنيّ ، فرأى

---

(١) الحاذان من الدابة : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين . يريد هنا الفخذين .

(٢) نسب مؤتشب (بفتح الشين) : غير صريح .

(٣) صبحه (بتشديد الباء) : أتاه صباحاً .

بابه مفتوحاً ورآه جالساً مُسترسلاً ، فقصده وسلّم عليه ونزل عنده وقال له : ما أجلسك ها هنا وحملك على أن فتحتَ بابك ولم تتحصّن من هذا الجيش المُقبل ولم تتنحّ عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بلغه عنك ؟ فقال : إنّ ما قلتَ لم يذهب عليّ ، ولكني تأمّلتُ أمري وعلمتُ أني أخطأتُ خطيئةً حملني عليها نَزَقُ الشباب وغِرّة الحداثة ، وأنّي إن هربتُ منه لم أفته ، فباعدت البنات والحُرَم ، واستسلمتُ بنفسي وكل ما أملك ؛ فإنّا أهلُ بيتٍ قد أسرع القتل فينا ، ولي بمن مضى أُسوةٌ ؛ فإنّي أثق بأن الرّجل اذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك الى الحُرَم ولا له فيهنّ أرَبٌ ، ولا يُوجِب جُرمي اليه أكثر مما بذلتُه . قال : فوالله ما اتّقاه عبد الله إلّا بدموعه تجري على لحيته . ثم قال له : أتعرفني ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبد الله بن طاهر ، وقد أمّن الله تعالى رَوعتك ، وحقن دَمك ، وصان حُرَمك ، وحرس نعمتك ، وعفا عن ذنبك . وما تعجّلتُ اليك وحدي إلّا لتأمن من قبل هجوم الجيش ، ولئلّا يُخالط عَفوي عنك روعةٌ تلحقك .

فبكى الحصنيُّ وقام فقبّل رأسه ؛ وضمه اليه عبد الله وأدناه ، ثم قال له : إمّا لا فلا بدّ من عتاب . يا أخي جعلني الله فداك ! قلت شعراً في قومي أفخر بهم لم أطعَن فيه على حسبك ولا ادّعيت فضلاً عليك . وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهم القوم الذين ثأرُك عندهم ؛ فكان يسعك السكوت ، أو إن لم تسكت لا تُغرِق ولا تُسرِف . فقال : أيها الأمير ، قد عفوتَ ، فاجعله العفوَ الذي لا يخلطه تثريبٌ ، ولا يكدِّره صَفوُ تأنيب . قال : قد فعلتُ ، فقُم بنا ندخل الى منزلك حتى نُوجِبَ عليك حقّاً بالضيافة .

فقام مسروراً فأدخلنا ، فأتى بطعام كان قد أعدّه ، فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرفٍ له . وأقبل الجيش ، فأمرني عبد الله أن أتلقّاهم فأرحّلهم ، ولا ينزل أحدٌ منهم إلّا في المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ ؛ فنزلت فرحّلتهم . وأقام عنده الى العصر . ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خَراجه ثلاث سنين ، وقال له :

إن نشطت لنا فالحقْ بنا ، وإلا فأقِم بمكانك . فقال : فأنا أتجهّز وألحقُ بالأمير . ففعل فلحق بنا بمصر . ولم يزلْ مع عبد الله لا يُفارقه حتى رحل الى العراق فودّعه وأقام ببلده .

فأمّا الأصوات التي غنّى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة . وكان عُبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئاً منها قال : الغناء للدّار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئاً من صنعته قال : الغناء للدار الصغيرة . فمنها ومن مختارها وصُدورها ومقدّمِها لحنه في شِعر أُخت عمرو بن عاصية — وقيل : إنه لأُخت مسعود بن شدّاد — فإنه صوتٌ نادر جيّد . قال أبو العُبَيس بن حمدون وقد ذكره ففضّله : جاء به عبد الله ابن طاهر صحيح العمل مُزدوج النّغم بين لينٍ وشدّةٍ على رَسم الحُذّاق من القدماء ، وهو :

صوت

هـلّا سَقيتم بني سَهمٍ أسيركمُ نَفسي فِداؤك من ذي غُلّةٍ صادي
الطاعنُ الطّعنة النجلاء يَتبعهـا مُضرّج بعد ما جـادت بإزبادِ

الشعر لأُخت عمرو بن عاصية السُّلمي ترثيه . وكان بنو سَهم ، وهم بطنٌ من هُذَيل ، أسروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه ، فلمّا عرفوه قتلوه . وكان قد عطش فاستسقاهم ، فمنعوه وقتلوه على عطشه . وقيل : إنّ هذا الشعر للفارعة أُخت مسعود بن شدّاد . ولحن عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ابتداؤه استهلال .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدثنا عمر ابن شبّة قال :

قتلتْ بنو سهمٍ ، وهم بطنٌ من هُذَيل ، عمرو بن عاصية السُّلمي ، وكان

رجلان منهم أخذاه أخذاً ، فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك ، ثم قتلاه . فقالت أخته ترثيه ، وتذكر ما صنعوا به :

شبّت هذيلٌ وبهزٌ بينها إرَةً[1] فلا تبوخُ ولا يرتدُّ صاليها

ويروى : « شبت هذيلٌ وسهمٌ » ، وهو الصحيح ، ولكن كذا قال عمر بن شبّة .

إنّ ابنَ عاصية المقتول بينكما خلّى عليّ فِجاجاً كان يحميها

وقالت أيضاً ترثيه :

يا لهف نفسيَ لهفاً دائماً أبداً على ابن عاصية المقتول بالوادي
هلّا سقيتم بني سهمٍ أسيركمُ نفسي فداؤكَ من ذي غُلّةٍ صادي

قال : فغزا عرعرةُ بن عاصية هُذَيلا يطلبهم بدم أخيه ، فقتل منهم نفراً وسبى امرأةً فجرّدها ، ثم ساقها معه عاريةً الى بلاد بني سُلَيم ؛ فقالت عند ذلك :

ألامت[2] سُلَيمٌ في السياق وأفحشتْ وأفرط في السّوق العنيف إسارُها
لعلّ فتاةً منهمُ أن يسوقها فوارسُ منّا وهي بادٍ شَوارُها[3]
فإن سبقتْ عُليا سُلَيمٍ بذَحلها هُذَيلاً فقد باءت فكيف اعتذارُها
ألا ليت شعري هل أرى الخيل شُزّباً[4] تُثير عجاجاً مستطيراً غُبارُها

(١) أصل الإرة حفرة يوقد فيها . والمراد بها هنا الحرب .

(٢) ألامت : فعلت ما تستحق عليه اللوم. وأفحشت : أتت الفحشاء وهي الامر القبيح . والسياق : مصدر ساقه يسوقه سوقاً وسياقاً . والإسار : مصدر أسره يأسره أسراً وإساراً . وأصل الاسار : القيد ، ويكون حبل الكتاف ؛ ومنه سمي الأسير إذ كانوا يشدونه بالقد ، فسمي كل أخيذ أسيراً وإن لم يشد به .

(٣) الشوار : الحسن والهيئة والزينة واللباس .

(٤) شزب : ضوامر ، الواحد شازب .

فتَرْقا[1] عيونٌ بعد طول بُكائها ويُغسَل ما قد كان بالأمس عارُها

هذه رواية عمر بن شبّة . فأمّا أبو عبيدة فإنه خالفه في ذلك ، وذكر في مقتله فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد إجازةً عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة قال :

خرج عمرو بن عاصية السلميّ ثم البهزيّ في جماعةٍ من قومه ، فأغاروا على هذَيل بن مُدركة، فصادفوا حيًّا من هذيلٍ يقال لهم بنو سهم بن معاوية . وكانت امرأةٌ من هذيل تحت رجل من بني بَهزٍ ، فقالت لابن لها معه : أي بُنيّ انطلق الى أخوالك فأنذرهم بأنّ ابن عاصية السلميّ قد أمسى يريدهم ، وذلك حين عزم ابن عاصية على غزوهم وأراد المسير اليهم .

فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتى أخواله فأنذرهم ، فقال : ابن عاصية السلميّ يريدكم ، فخذوا حِذركم ؛ فبدر القوم واستعدّوا .

وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحيّ ، فنزل قرباً لأصحابه على جبلٍ مشرف على القوم ، فإذا هم حذِرون . فقال لأصحابه : أرى القوم حذرين ، إنّ لهم لشأناً ، ولقد أنذِروا علينا . فكمن في الجبل يطلب غفلتهم ، فأصابه وأصحابه عطشٌ شديد ، فقال ابن عاصية لأصحابه : هل فيكم من يرتوي لأصحابه ؟ فقال أصحابه : نخاف القوم ، وأبى أحدٌ منهم أن يُجيبه الى ذلك . قال : فخرج على فرسٍ له ومعه قِربته . وقد وضعت هُذَيلٌ على الماء رجلاً منهم رصداً ، وعلموا أنهم لا بدّ لهم من أن يرِدوا الماء . فمرّ بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخٌ وفتيان من هذيل ، فلما نظروا اليه همّ الفَتيان أن يثاوراه[2] . فقال الشيخ : مهلاً ! فإنه لم يرَكما ، فكفّا .

---

(١) ترقأ : تجف ، سهلت همزته .

(٢) ثاوره مثاورة وثواراً : واثبه ، مثل ثاوره .

فانتهى ابن عاصية الى البئر، فنظر يميناً وشمالاً فلم يرَ أحداً والآخرون يرمقونه من حيث لا يراهم. فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطفق يملأ القربة ويشرب. وأقبل الفتيان والشيخ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في البئر، فرفع رأسه فأبصر القوم؛ فقالوا: قد أخزاك الله يابن عاصية وأمكن منك! قال: ورمى الشيخ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه، وشُغِل الفتيان بنزع السهم من قدم الشيخ، ووثب ابن عاصية من البئر شداً نحو أصحابه، وأدركه الفتيان قبل وصوله فأسراه. فقال لهما حين أخذاه: أرويِاني من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما. فلم يسقياه وتعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه. فقالت أخت عمرو بن عاصية ترثي أخاها:

يا لهفَ نفسيَ يوماً ضلَّةً جزعاً على ابن عاصيةَ المقتول بالوادي
إذ جاء ينفُض عن أصحابه طَفَلًا مَشيَ السَّبنتى أمام الأيكة العادي[1]
هلّا سقيتم بني سهمٍ أسيركُمُ نَفسي فداؤكَ من مستوردٍ صادي

قال أبو عبيدة: وآب غزيُّ[2] بني سلَيم بعد مقتل ابن عاصية. قال: فبلغ أخاه عرعرةَ بنَ عاصية قتلُ هُذيلٍ أخاه وكيف صُنع به، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارس من بني سُلَيم منهم عبيدة بن حكيم الشَّريديّ وعمرو بن الحارث الشَّريديّ وأبو مالك البهزيّ وقيس بن عمرو أحد بني مطرود من بني سُلَيم وفوارس من بني رِعلٍ. قال: فسرى اليهم عرعرة، فالتقوا بموضع يقال له أُجرُف فاقتتلوا قتالًا شديداً. فظفرت بهم بنو سُلَيم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمةً، وأسروا أسرى، وأصابوا امرأةً من هذَيل فعرَّوها من ثيابها واستاقوها مجرَّدةً فأفحشوا في ذلك. وقال عرعرة بن عاصية في ذلك يذكر من قتل:

ألا أبلغْ هُذَيلًا حيث حلَّتْ مُغلغلةً تخبُّ مع الشفيقِ

---

(١) ينفض هنا: يكشف الطريق ويتجسس. والسبنتى: النمر او الاسد.

(٢) الغزي: اسم جمع لغاز.

مُقامكم غداة الجُرْف لمّا   تواقفتِ الفوارس بالمضيقِ
غداة رأيتمُ فرسان نَهْدٍ   ورِعلٍ أبدتْ(١) فوق الطريق
تراميتمُ قليلاً ثم ولّت   فوارسكم توَقّل كلَّ نِيق(٢)
بضربٍ تسقط الهاماتُ منه   وطعنٍ مثل إشعال الحريق

وقال لي : إن هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شدّاد يرثي أخاه ، وزعم أنّ جَرماً كانت قتلته وهو عطشان ، فقال :

يا عين جودي لمسعود بن شدّاد   بكل ذي عبراتٍ شجوُه بادي
هلّا سقيتم بني جَرمٍ أسيركمُ   نفسي فداؤك من ذي غُلّةٍ صادي

فأنشدنيها بعض أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة لفارعة المرّية أخت مسعود بن شدّاد ترثيه ، فذكر من الأبيات البيت الأوّل ، وبعده :

يا من رأى بارقاً(٣) قد بتُّ أرمقُه   جَودا على الحرّة السوداء بالوادي
أسقي به قبر مَن أعني وحُبَّ به   قبراً إليّ ولو لم يَفدِه فادي
شهّادُ أنديةٍ رفّاع أبنيةٍ   شدّاد ألويةٍ فتّاح أسداد
نحّارُ راغيةٍ(٤) قتّال طاغيةٍ   حلّال رابيةٍ فكّاك أقياد
قوّال مُحكمةٍ نقّاض مُبرمةٍ   فرّاج مُبهمةٍ حبّاس أوراد(٥)

(١) ألبد بالمكان : أقام به ولزمه .

(٢) توقّل : تتصعد . والنيق : أعلى الجبل . يريد : تتصعد كل عال فراراً من القتال .

(٣) أي سحاباً ذا برق . وجودا : كثير المطر .

(٤) الراغية : الناقة .

(٥) أوراد : جمع ورد (بالكسر) وهو الجماعة الواردون للماء ، والقطيع من الطير والابل ، والجيش . على التشبيه بقطيع الطير والابل .

حلال مُمرعةٍ حمّال مُضلعةٍ[1] قرّاع مُفظعةٍ طلّاع أنجادِ
جمّاع كلّ خصال الخير قد علموا زَيْنُ القرين وخَطم[2] الظالم العادي
أبا زُرارة لا تبعد فكلُّ فتى يوماً رهينُ صَفيحاتٍ[3] وأعواد

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . قال عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر : لمّا صنع أبي هذا الصوت لم يحبّ أن يشيع عنه شيء من هذا ولا يُنسب اليه ؛ لأنه كان يترفّع عن الغناء ، وما جسّ بيده وَتَراً قطُّ ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّربة وحُسن الثقافة ما لا يعرفه كبير أحدٍ . وبلغ من عِلم ذلك الى أن صنع أصواتاً كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخذنها عنه وغنّين بها ، وسمعها الناسُ منهنّ وممن أخذ عنهنّ . فلما أن صنع هذا الصوت :

هلّا سقيتم بني جَرمٍ أسيرَكمُ نفسي فداؤك من ذي غُلّةٍ صادي

نسبة الى مالك بن أبي السمح . وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها داحة ، فكانت ترغب الى عبد الله بن طاهر لمّا ندبه المأمون الى مصر في أن يأخذها معه ، وكانت تغنّيه ، وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذه المغنّون عنها ورووه لمالك مدّة . ثم قدِم عبد الله العراقَ فحضر مجلس المأمون ، وغُنّي الصوت بحضرته ونُسب الى مالك ؛ فضحك عبد الله ضحكاً كثيراً . فسئِل عن القصة فصدق فيها واعترف بصنعة الصوت . فكشف المأمون عن ذلك ، فلم يزل كلُّ مَن سُئِل عنه يُخبر عمن أخذه عنه ، فتنتهي القصة الى داحة ثم تقف ولا تعدوها . فأحضِرتْ داحة وسئلت فأخبرتْ بقصته ؛ فعُلِم أنه من صنعته حينئذٍ بعد أن جاز على إسحاق

---

(١) المضلعة : المثقلة للأضلاع .

(٢) يريد أنه يذل الظالم العادي ويكبحه عن طغيانه .

(٣) الصفيحة هنا : الحجر العريض .

وطبقته أنه لمالك . ويقال : إن اسحاق لم يَعجب من شيء عجبه من عبد الله وحِذقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

قال : ومن غنائه أيضاً :

صوت

راح صَحبي وعاود القلب داء من حبيبٍ طِلابُه لي عَناء
حَسَنُ الرأي والمواعيدِ لا يُلـــفى لشيء مما يقول وفاء
مَن تعزّى عمن يحبُّ فإني ليس لي ما حَييتُ عنه عَزاء

الغناء لابن طُنبورة خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى الوسطى . ولحن عبد الله ابن طاهر ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

ومنها :

فمنْ يَفرح ببينهمُ فغيري إذ غدَوْا فرِحا

شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه :

صوت

يا خليليَّ قــد مَلِلتُ ثَوائي بالمُصلّى وقد شَنِئتُ البقيعا
بَلِّغاني ديارَ هنــدٍ وسَلمى وارجعا بي فقد هويتُ الرجوعا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وذكر حبشٌ أن فيه رمــلًا بالبنصر لإبراهيم . وفيه لحنٌ لمعبدٍ ذكره حمّاد بن اسحاق عن أبيه ولم يجنّسه .

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إيّاه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثنا سليمان بن عيّاش السعدي قال أخبرني السائب ابن ذكوان راوية كثيّر قال: قدِم عمر بن أبي ربيعة المدينة، وأخبرني الحسين ابن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال، وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفّان عن اسحاق عن عثمان بن حفص والزبيري والمسيّبي، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبّة موقوفاً عليه. وجمعتُ رواياتهم، وأكثرُ اللفظ للزبير بن بكار وخبرُه أتمّ:

أن عمر بن أبي ربيعة قَدِم المدينة؛ فزعموا أنه قَدِمها من أجل امرأةٍ من أهلها، فأقام بها شهراً؛ فذلك قوله:

يا خليليّ قد مَلِلتُ ثَوائي بالمُصلَّى وقد شَنِئتُ البقيعا

قال: ثم خرج الى مكة، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا.

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كثيّر إنه قال: لمّا مرّا بالرَّوحاء[١] استتلياني[٢] فخرجت أتلوهما، حتى لحقتهما بالعَرج[٣] عند رواحهما. فخرجنا جميعاً حتى وردنا ودّان[٤]، فحبسهما النُّصيب وذبح لهما وأكرمهما؛ وخرجنا وخرج معنا النُّصيب. فلمّا جئنا كُلَيّة[٥] عدلنا جميعاً الى منزل كثيّر، فقيل لنا: هبط قُدَيداً[٦]، فذكر لنا

(١) الروحاء: قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلا.

(٢) استتلاه: طلب اليه أن يتلوه.

(٣) العرج: قرية كانت جامعة في واد من نواحي الطائف، واليها ينسب العرجي الشاعر.

(٤) ودان هنا: قرية جامعة من نواحي الفُرع بين مكة والمدينة.

(٥) كلية: قرية بين مكة والمدينة.

(٦) قديد: موضع قرب مكة.

أنه في خيمةٍ من خيامها . فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهب فادعُه لي. فقال النُّصيب : هو أحمق وأشدُّ كبراً من أن يأتيك . فقال لي عمر : اذهب كما أقول لك فادعُه لي. فجئته ، فهشّ لي وقال : « اذكرْ غائباً تَرَه » ، لقد جئتَ وأنا أذكرك . فأبلغته رسالة عمر ؛ فحدّد إليّ نظرةً وقال : أما كان عندك من المعرفة ما يردعك عن إتياني بمثل هذه الرسالة ! قلت : بلى والله ! ولكني سترتُ عليك فأبى الله إلّا أن يهتك سترك . فقال لي : إنك والله يابنَ ذكوان ما أنت من شكلي ؛ فقل لابن أبي ربيعة : ان كنت قرَشياً فأنا قرشيٌّ . فقلت له : لا تترك هذا التلصُّق وأنت تُقرَف عنهم كما تُقرف الصَّمغة ! فقال : والله لأَنا أثبتُ فيهم منك في سَدوس . ثم قال : وقل له : إن كنت شاعراً فأنا أشعر منك . فقلت له : هـذا اذا كان الحكم اليك . فقال : والى مَن هو ومَن أولى بالحكم منّي ! وبعد هذا يابن ذكوان فأحمدِ الله على لومك[1] ؛ فقد منعك منّي اليوم ؟

فرجعتُ الى عمر ، فقال : ما وراءك ؟ فقلتُ : ما قال لك نُصَيبٌ . فقال : وإنْ . فأخبرته فضحك وضحك صاحباه ظَهراً لبطنٍ ، ثم نهضوا معي اليه . فدخلنا عليه في خيمةٍ ، فوجدناه جالساً على جلد كبشٍ ، فوالله ما أوسع للقرَشيّ . فلمّا تحدّثوا ملياً فأفاضوا في ذكر الشعر ، أقبل عـلى عمرَ فقال له : أنت تنعت المرأة فتنسب بها ثم تدَعُها وتنسب بنفسك . أخبرني يا هذا عن قولك :

قالت تصدَّيْ له ليعرفنـا ثم اغمزيه يا أُختَ في خفَرِ
قالت لها قـد غمزته فأبى ثم اسبَطرّتْ[2] تشتدُّ في أثَري
وقَولها والدموعُ تسبقهـا لنُفسِدنَّ الطَّـواف في عمر

أتُراكَ لو وصفتَ بهذا هرّةَ أهلك ألم تكن قد قبّحت وأسأت وقُلت الهُجرَ !

(١) أي فاحمد الله على لومي إياك ؛ فقد حصنك اللوم من الضرب .

(٢) واسبطرّت : أسرعت .

إنما توَصف الُحرّة بالحياء والإباء والالتواء والبخل والامتناع ، كما قال هـذا – وأشار الى الأحوص – :

أدور ولولا أن أرى أمّ جعفرٍ بأبياتكم ما دُرتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهوى اذا لم يَزُرْ لا بدّ أن سيزور
لقد منعتْ معروفَها أمّ جعفرٍ وإني الى معروفهـا لفقيرِ

قال : فدخلتِ الأحوص أُبَّهةٌ وعُرِفتِ الُخيَلاء فيه . فلما استبان كثيّر ذلك فيه قال : أبطل آخِرُكَ أوّلك. أخبرني عن قولك :

فإن تَصِلي أَصِلكِ وإن تَبيني بصُرمك بعد وَصلك لا أبالي
ولا ألفى كمن إن سِيمَ صَرماً تعرّض كي يُرَدّ الى الوِصال

أما والله لو كنتَ فحلًا لباليتَ ولو كسرت أنفك . ألا قلت كما قال هـذا الأسود – وأشار الى نُصيب – :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الرّكبُ وقُل إن تملّينا فـا ملّكِ القلبُ

قال : فانكسر الأحوص ، ودخلتِ النُّصيب أُبّهةٌ . فلما نظر أنّ الكبرياء قد دخلته ، قال له : يابن السّوداء ، فأخبرني عن قولك :

أهيمُ بدَعدٍ ما حييتُ فإن أُمتْ فوا كَبِدي مَن ذا يهيمُ بها بعدي

أهمّكَ مَن ينيكها بعدك ! فقال نُصيب : استوتِ القِوَقُ ، قال : وهي لعبةٌ مثل المنقلة . ومن هذا الموضع ينفرد الزبير بروايته دون البـاقين . قال سائب : فلما أمسك كثيّر أقبل عليه عمر فقال له : قد أنصتنا لك فاسمع يا مذبوب[1] إليّ ! أخبرني عن تخيُّرك لنفسك وتخيُّرك لمن تحبّ حيث تقول :

(١) المذبوب : المجنون .

أَلا ليتنا يا عَزّ كنّا لذي غِنًى بعيرَين نرعى في الخلاء ونَعزُبُ
كِلانا به عَرٌّ فمن يَرَنا يَقُلْ على حسنها جَرباء تُعدي وأجرب
اذا ما وَرَدنا مَنهلًا صاح أهلُه علينا فما ننفكّ نُرمى ونُضرَب
وَدِدتُ وَبَيتِ الله أنكِ بَكرةٌ هِجانٌ وأني مُصعبٌ[١] ثم نهرُبُ
نكون بعيرَيْ ذي غِنًى فيُضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

وقال: تمنَّيت لها ولنفسك الرِّقّ والجرب والرَّميَ والطَّرد والمسخ، فأيّ مكروهٍ لم تمنَّ لها ولنفسك! لقد أصابها منك قول القائل: «مُعاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودّة أحمق». قال: فجعل يختلج[٢] جسده كله. ثم أقبل عليه الأحوص فقال: إليَّ يابن استها[٣] أخبرك بخبرك وتعرُّضك للشرّ وعجزك عنه وإهدافك[٤] لمن رماك. أخبرني عن قولك:

وقُلنَ — وقد يَكذِبنَ — فيك تعيُّفٌ وشُؤمٌ اذا ما لم تُطِع صاح ناعقُه
وأعيَيتنا لا راضياً بكرامةٍ ولا تاركاً شكوى الذي أنت صادقُه
فأدركتَ صفوَ الوُدّ منّا فلُمتنا وليس لنا ذنبٌ فنحن مَواذقُه[٥]
وألفيتنا سِلماً فصدَّعتَ بيننا[٦] كما صدَّعتْ بين الأديم خَوالِقُه[٧]

(١) بكرة هجان: بيضاء. والمصعب: الفحل.

(٢) يختلج: يضطرب.

(٣) يقال لابن الأمة عند تحقيره: «يابن استها» يعنون أنها ولدته من استها.

(٤) أهدف لكذا: تعرض له.

(٥) مواذق: جمع ماذقة. يقال: مذق الود اذا لم يخلصه.

(٦) البين هنا: الوصل.

(٧) خوالق الأديم: اللائي يقدرنه قبل أن يقطعنه.

والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بُؤتَ به على نفسك . قال : فخفق كما يخفق الطائر . ثم أقبل عليه النُّصَيب فقال : أقبل عليَّ يا زُبَّ الذُّباب ! فقد تمنَّيت معرفة غائبٍ عندي علمه فيك حيث تقول :

وَدِدتُ — وما تُغني الوَدادةُ — أنني بما في ضمير الحاجبيَّة عالمُ
فإن كان خيراً سرَّني وعلمته وإن كان شرّاً لم تَلُمني اللّوائم

انظر في مرآتك واطّلع في جَيبك واعرف صورة وجهك ، تعرف ما عندها لك . فاضطرب اضطراب العصفور ، وقام القومُ يضحكون . وجلست عنده ؛ فلما هدأ شأوُهُ[1] قال لي : أرضيتك فيهم ؟ فقلت له : أمّا في نفسك فنعم ! فقد نحس يومك معهم ، وقد بقيت أنا عليك . فما عُذرك — ولا عُذر لك — في قولك :

سقى دِمنتين لم نجد لهما أهلا بحقلٍ لكم يا عزَّ قد رابنا حَقلا
نجاء الثريّا كلَّ آخر ليلةٍ يجودُهما جوداً ويُتبعه وَبلا

ثم قلتَ في آخرها :

وما حَسِبتْ ضمريةٌ حدريةٌ سوى التّيس ذي القرنين أنَّ لها بعلا

أهكذا يقول الناس ويحك ! ثم تظنّ أنّ ذلك قد خفيَ ولم يعلم به أحدٌ ، فتنسُبّ الرجال وتعيبهم ! فقال : وما أنت وهذا وما عِلمك بمعنى ما أردت ؟ فقلت :

هذا أعجب من ذاك . أتذكر امرأةً تَنسبُ بها في شِعرك وتستغزر لها الغيث في أوّل شعرك ، وتحمل عليها التيس في آخره ! قال : فأطرق وذلَّ وسكن .

---

(١) الشأو : الشوط والطلق . ولعله يريد ما عراه من الاضطراب في الشأو الذي جرى بينه وبينهم .

فعُدتُ الى أصحابي فأعلمتهم ما كان من خبره بعدهم . فقالوا : ما أنت بأهون حجارته التي رُمي بها اليوم منّا . قال فقلت لهم : إنه لم يَتِرْني فأطلبَه بذَحلٍ ، ولكني نصحته لئلا يُخِلَّ هذا الإخلال الشديد ، ويركب هذه العروض التي ركب في الطعن على الأحرار والعَيب لهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري واسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبّة قال حدثني اسحاق الموصلي قال حدثني ابن جامع عن السعيدي عن سهل بن بركة وكان يحمل عود بن سُرَيج قال :

كان على مكّة نافع بن علقمة الكناني ، فشدّد في الغناء والمغنّين والنبيذ ، ونادى في المخنّثين . فخرج فتيةٌ من قُرَيش الى بطن مُحَسِّرٍ[١] وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم براوية من الشراب الطائفي . فلما شربوا وطربوا قالوا : لو كان معنا ابن سرَيج تمّ سرورنا . فقلت : هو عليَّ لكم . فقال لي بعضهم : دونك تلك البغلة فاركبها وامضِ اليه . فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إيّاه . فقال لي : ويحك ! وكيف لي بذاك مع شدّة السلطان في الغناء وندائه فيه ؟ فقلت له : أفتردُّهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالعود ؟ فقلت له : أنا أخبَؤه لك فشأنك . فركب وسترتُ العود وأردفني . فلما كنّا ببعض الطريق اذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل ، فقال لي : يابنَ بركة هذا الأمير ! فقلت : لا بأس عليك ، أرسل عِنان البغلة وامض ولا تخف ، ففعل . فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف ابن سريج ، فقال لي يابنَ بركة : مَن هذا أمامك ؟ فقلت : ومَن ينبغي أن يكون ! هذا ابن سُرَيج . فتبسم ابن علقمة ثم تمثّل :

فإن تنجُ منها يا أبانُ مُسلَّماً فقد أفلت الحجّاج خيلَ شبيبِ

ثم مضى ومضينا . فلما كنّا قريباً من القوم نزلنا الى شجرةٍ نستريح ، فقلت له : غنِّ مرتجلاً ؛ فرفع صوته فخُيّل إليّ أن الشجرة تنطق معه ، فغنّى :

---

(١) بطن محسر : وادي المزدلفة بالقرب من مكة .

صوت

كيف الثَّواء ببطن مكّة بعد ما ... هَمَّ الذين تحبّ بالإنجادِ
أمْ كيف قلبك اذا ثويت مُخمَّراً(١) ... سَقِماً خِلافهم وكربك بادي
هل أنت إن ظعن الأحبَّة غادي ... أم قبلَ ذلك مُدلجٌ بسواد

— الشعر للعرجيّ . وذكر اسحاق في مجرّده أن الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وحكى حمّاد ابنه عنه أنّ اللحن لابن سُرَيج — قال سهل : فقلت : أحسنتَ والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، ولو أنّ كنانة كلّها سمعتك لاستحسنتك فكيف بنافع بن علقمة ! المغرورُ مَن غرّه نافع . ثم قلت : زِدني وإن كان القوم متعلِّقةً قلوبهم بك . فغنّى وتناول عوداً من الشجرة فأوقع به على الشجرة ؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بُطون(٢) الضأن على العيدان اذا أخذتها قضبان الدِّفلى . قال : والصوت الذي غنّى :

صوت

لا تجمعي هجراً عليّ وغُربةً ... فالهجر في تلف الغريب سريعُ
مَن ذا — فديتُكِ — يستطيع لحبّه ... دفعاً اذا اشتملتْ عليه ضُلوع

فقلت : بنفسي أنت والله مَن لا عِلٌ ولا يُكَدُ ، والله ما جهل مَن فهمك ! أركب — فدتك نفسي — بنا . فقال : أمهلني كما أمهلتك اقضِ بعض شأني . فقلت : وهل عما تُريد مدفعٌ ! فقام فصلّى ركعتين ، ثم ضرب بيده على الشجرة

(١) المخمر : أصله المصدع من الخمر .

(٢) يريد ببطون الضأن الاوتار التي تتخذ من المعي . والدفلى : ضرب من النبت .

وقال : أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم قال : يا حبيبتي اذا شهدتِ بذاك الشيء فٱشهدي بهذا . ثم مضينا والقوم متشوّقون . فلما دنونا أحسّت الدوابّ بالبغلة فصهلت ، وشحجتِ البغلة ، وإذا الغريض يغنّيهم لحنه :

مِن خيلِ حيٍّ ما تزالُ مُغيرةً   سمعتْ على شرَفٍ صهيلَ حصانِ

فبكى ابن سُريج حتى ظننتُ أنّ نفسه قد خرجتْ ، فقلت : ما يُبكيك يا أبا يحيى ؟ جُعلت فداك ! لا يسوءك الله ولا يريك سوءاً ! قال : أبكاني هذا المخنّث بحسن غنائه وشجا صوته ؛ والله ما ينبغي لأحدٍ أن يغنّي وهذا الصبيّ حيّ . ثم نزل فٱستراح وركب . فلما سار هنيهةً ٱندفع الغريضُ فغنّاهم لحنه :

يا خليليّ قد مللتُ ثوائي   بالمُصلّى وقد شنئتُ البقيعا

قال ؛ ولصوته دويٌّ في تلك الجبال . فقال ابن سُريج : ويلك يابنَ بركة ! أسمعتَ أحسن من هذا الغناء والشعر قطُّ ؟ قال : ونظروا الينا فأقبلوا نشاوى يسحبون أعطافهم ، وجعلوا يُقبّلون وجه ابن سُريج . فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطق بحرف واحد ، وأخذوا في شرابهم وقالوا : يا حبيبَ النفس وشقيقها أعطِها بعض مُناها ؛ فضرب بيده الى جيبه فأخرج منه مِضراباً ، ثم أخذه بيده ووضع العود في حِجره ، فما رأيت يداً أحسن من يده ، ولا خشبةً تخيّلت إليّ أنها جوهرةٌ إلّا هي ، ثم ضرب فلقد سبّح القومُ جميعاً ، ثم غنّى فكلٌّ قال : لبّيك لبّيك ! فكان مما غنّى فيه — واللحن له هزج — :

صوت

لبّيكِ يا سيّدتي   لبّيكِ ألفاً عددا
لبّيكِ من ظالمةٍ   أحببتها مُجتهدا
قُومُوا الى ملعبنا   نحكِ الجواري الخُرّدا

وَضعَ يدٍ فوق يدٍ ترفَعها يداً يَـداَ

فكلٌّ قال : نفعل ذاك . فلقد رأيتنا نستبق أيُّنا تقع يدُه على يده . ثم غنى :

صوت

ما هاج شوقَكَ بالصَّرائمْ ربعٌ أحالَ[1] لأمِّ عاصمْ
ربعٌ تقادمَ عهـده هاجَ المحبَّ على التَّقادم
فيـه النَّواعمُ والشبا بُ الناعمون مع النَّواعم
مِن كلِّ واضحة الجبيـن عميمةٍ[2] ريَّا المعاصم

ثم إنه غنّى :

صوت

شجاني مَغاني الحيِّ وانشقَّتْ العصا[3] وصاح غرابُ البين أنت مريضُ
ففاضتْ دموعي عند ذاك صبابةً وفيهنَّ خَودٌ كالمهـاةِ غَضيض[4]
ووليتُ محزونَ الفـؤاد مُروَّعاً كئيباً ودمعي في الرِّداء يفيض

– الغناء لابن مُحرز خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر ، وفيـه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن جُندَب – قال : فلقد رأيت جماعة طيرٍ وقعن بقربنا وما نحسُّ

(١) أحال الشيء : مر عليه حول ، مثل أحول الشيء .

(٢) امرأة عميمة : تامة القوام والخلق طويلة .

(٣) انشقاق العصا : كناية عن الفرقة .

(٤) الخود من النساء : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والغضيض : الفاترة الطرف . يقال : امرأة غضيض ، وطرف غضيض .

قبل ذلك منها شيئاً ؛ فقالت الجماعة : يا تمام السرور وكمال المجلس ! لقد سعِد من أخذ بحظه منك ، وخاب من حُرِمَك ، يا حياة القلوب ونسيم النفوس جعلنا الله فداءك ! غنِّنا ؛ فغنّى واللحنُ له :

صوت

يا هند إنـك لو عَلِمـتِ بعـاذلَين تتابعا

– وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأن فيه طولا – فبدرت من بينهم فقبّلت بين عينيه ، فتهافتَ القوم عليه يقبِّلونه ؛ فلقد رأيتني وأنا أرفعهم عنه شفقةً عليه .

ما في الاشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغان :

وفي هذه الأشعار التي تناشدها كثيِّر وعمر ونُصَيبٌ والأحوص أغان .

منها :

صوت

أبصرتُها ليلةً ونسوَتَهـا يمشين بين المقـام والحجرِ

ما إن طِمعنا بها ولا طِمعتْ حتى التقينا ليـلاً على قَدَر

بيضاً حِساناً خرائداً قُطُفاً[1] يمشين هَوناً كمشيـةِ البقر

الشعر لعمر . والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشامي وحبشٍ . وذكر عمرو أنّ فيه لابن سُرَيج خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولأبي سعيدٍ مولى فائد ثقيلٌ أوّل ، وقيل : إنه لسنان الكاتب . ومن هذه القصيدة أيضاً ، وهذا أولها :

(١) قطفاً : بطيئات السير ، الواحد قطوف .

صوت

يا مَن لقلبٍ متيَّمٍ كَمِدِ يَهذي بِخَوْدٍ مريضةِ النَّظرِ
تمشي رويداً اذا مشتْ فُضُلاً[١] وهيَ كمثلِ العُسلوج م البُسُر[٢]
ما زال طرفي يَحارُ إذ برزت حتى عرفتُ النُّقصان في بصري

غنّاه ابن محرزٍ، ولحنه من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

ومنها :

صوت

قالت لِتِربٍ لها تحدّثها لَنُفسدنّ الطَّواف في عُمَرِ
قالت تصدَّيْ له ليعرفنا ثمّ اغمزيه يا أختِ في خَفَر
قالت لها قد غمزتُه فأبى ثمّ اسطيرت[٣] تشتدّ في أثَري

غنّاه يونس خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن حبشٍ . وقيل : إنّ فيه لعبد الله بن العبّاس لحناً جيّداً .

ومنها ما لم يمض ذكره في الكتاب :

صوت

ألا ليتنا يا عَزّ من غير بِغضةٍ بعيرَين نَرعى في الخلاء ونَعزُبُ

(١) كذا في الديوان . والمرأة الفضل : التي تتفضل في ثوب، وكذلك يقال رجل فضل . والفضل من النساء أيضاً : المختالة التي تفضل من ذيلها .

(٢) العسلوج : ما لان واخضر من القضبان . والبسر : التمر قبل إرطابه .

(٣) استطيرت : ذعرت .

كلانا به عرٌّ فمن يَرَنا يَقُل على حُسنِها جرباءُ تُعدي وأجربُ
إذا ما وردنا مَنهلاً صاح أهله علينا فما ننفكُّ نُرمى ونُضرَبُ

الغناء لإبراهيم ، رملٌ بالوسطى عن حبش .

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثنا حمّاد بن اسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة عن عَوانة وعيسى بن يزيد :

أنّ كثيِّراً دخل على عزّة ذات يوم ، فقالت له : ما ينبغي لنا أن نأذن لك في الجلوس . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأني رأيتُ الأحوص ألينَ جانباً في شعره منك في شِعرك وأضرع خداً للنساء ، وإنه لأشعرُ منك حين يقول :

يا أيها اللائمي فيها لأصرِمها أكثرتَ لو كان يُغني منك إكثارُ
ارجعْ فلستَ مُطاعاً إذا وَشَيتَ بها لا القلبُ سالٍ ولا في حبّها عارُ

وإني استرققت قوله :

وما كنت زوّاراً ولكنّ ذا الهوى اذا لم يَزُر لا بدّ أن سيزُورُ

وأعجبني قوله :

كم من دنيٍّ[1] لها قد صِرتُ أتبعه ولو صحا القلبُ عنها كان لي تَبَعا
وزادني كلَفاً بالحبّ أن منعتْ أحبُّ شيءٍ الى الإنسان ما مُنعا

وقوله أيضاً :

وما العَيش إلّا ما تلذّ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشُّنان[2] وفَنّدا

---

(١) الدنيّ : الخسيس . وأصله دنيء بالهمز ، وقد تقلب الهمزة ياء وتدغم في الياء .

(٢) الشنان : البغض مثل الشنآن .

فقال كثيِّر : قد والله أجاد ! فما الذي استجفيتِ من قولي ؟ قالت : أخزاك الله ! أمَا استحييتَ حين تقول :

يُحاذِرنَ مني غيرةً قد عَرفنها لديَّ فما يضحكنَ إلا تبسّما

فقال كثيِّر :

وَدِدتُ وبيتِ اللهِ أنكِ بكرةٌ هِجانٌ وأني مُصعَبٌ ثم نهرُبُ
كلانا به عَرٌّ فمن يرَنا يَقُل على حُسنها جَرباءُ تُعدي وأجرَبُ
نكون لذي مالٍ كثيرٍ مغفَّلٍ فلا هو يرعانا ولا نحن نُطلَبُ

فقالت لي : ويحكِ ! لقد أردت بي الشقاء الطويل ، ومن المُنى ما هو أعفّ من هذا وأطيبُ .

أبيات من شعر أبي زبيد وبيان ألحانه :

صوت

قد كنتَ في مَنظرٍ ومُستمعٍ عن نصر بَهراءَ غيرَ ذي فَرَسِ
لا تِرةٌ عندهم فتطلبها ولا هُمُ نُهزَةٌ لمختلس
بكفّ حَرّانَ ثائرٍ بدَمٍ طلّابِ وِترٍ في الموت مُنغمس
إمّا تقارَشْ بك الرماح فلا أبكيك إلا للدَّلوِ والمَرَس
تذُبُّ عنه كفٌّ بها رمقٌ طيراً عُكوفاً كزُوّرِ العُرُس
عمّا قليلٍ يَصبحنَ مُهجته فهنّ من والغٍ ومُنتهس

الشعر لأبي زُبيد الطائي . والغناء لابن محرز في الأول والثاني خفيف ثقيلِ الأوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن اسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ في الأربعة الأوّل خفيفَيْ ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لمعبد وابن محرز ، ووافقه الهشامي في لحن معبدٍ في الأول والثاني وذكر أنه بالوسطى . وفي كتاب ابن مِسجحٍ عن حمّاد له ؛

فيه لحنٌ يقال إنه لابن مُحرز . ولابن سُرَيج في الأول والخامس والسادس والسابع رملٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر لنا حبشٌ أنّ الرمل لمعبد ، وذكر اسحاق أنه لابن سُرَيج أيضاً ، وأوّله :

تَذُبُّ عنه كفٌّ بها رمقٌ

وفيه لمالك في السادس والسابع خفيفُ ثقيل آخر . وفيه لابن عائشة رملٌ . وفيه لحُنَين ثاني ثقيل . هذه الحكايات الثلاث عن يونس ، وطرائقها عن الهشامي . ولمخارق في الرابع والأول خفيف رمل . ولمتيّم في الأول والثاني خفيف رمل آخر . وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم في الأول والثاني ثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى .

أخبار أبي زبيد ونسبه

كان نصرانياً ومخضرماً :

هو حرملة بن المنذر، وقيل المنذر بن حرملة. والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعدِ يكرب بن حنظلة بن النعمان بن حيَّة بن سَعنة بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنيء بن عمرو بن الغوث بن طيِّئ بن أُددِ بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان. وكان أبو زبَيدٍ نصرانياً وعلى دينه مات. وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام فعُدّ في المخضرمين. وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين، وهم العُجَير السَّلولي وذووه[1]. وقد مضى أكثر أخباره مع أخبار الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الُحباب الجمحيّ إجازةً قال: حدثني محمد بن سلَّام الجمحيّ قال حدثني أبو الغرّاف قال:

كان أبو زُبَيدٍ الطائي من زُوّار الملوك وخاصةً ملوك العجم، وكان عالماً بسيَرِهم. وكان عثمان بن عفَّان رضي الله تعالى عنه يُقرّبه على ذلك ويُدني مجلسه، وكان نصرانياً. فحضر ذات يومٍ عثمان وعنده المهاجرون والأنصار، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها. قال: فالتفت عثمان الى أبي زبَيد وقال: يا أخا تُبَّعِ المسيح أسمعنا بعض قولك؛ فقد أُنبئتُ أنّك تجيد. فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

مَن مُبلغٌ قومنا النائين اذ شحطوا أن الفؤاد اليهم شَيِّقٌ وَلِعُ[2]

---

(١) هم العجير بن عبد الله السلولي، وعبد الله بن همام السلولي، ونافع بن لقيط الأسدي.

(٢) شحطوا: بعدوا. وشيّق: مشتاق.

ووصف فيها الأسد . فقال عثمان رضي الله تعالى عنه : تالله تفتأ تذكر الأسد ما حَييتَ . والله إني لأحسبك جباناً هِداناً[١] . قال : كلّا يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيتُ منه منظراً وشهدتُ منه مشهداً لا يبرح ذِكره يتجدّد ويتردد في قلبي ، ومعذورٌ أنا يا أمير المؤمنين غير مَلوم . فقال له عثمان رضي الله عنه : وأنّى كان ذلك ؟ قال :

خرجتُ في صُيابة[٢] أشرافٍ من أفناء قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ ، ترتمي بنا المهاري[٣] بأكسائها[٤] ، ونحن نريد الحارث بن أبي شمرٍ الغسّاني ملك الشأم ؛ فاخرَوَّط[٥] بنا السير في حَمارّة القيظ ، حتى اذا عصبت الأفواه[٦] ، وذبلت الشفاه ، وشالت المياه[٧] ، وأذكت الجوزاء المَعزاء[٨] ، وذاب الصَّيهد[٩] ، وصرّ الجُندَب[١٠] ، وضاف العصفور الضبَّ وجاوره في جُحره ، قال قائل : أيها الرّكب غوّروا[١١] بنا في ضَوج[١٢] هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدّغل[١٣] ، دائم الغَلَل[١٤] ؛

(١) الهدان (بكسر الهاء) : الأحمق الثقيل .

(٢) صيّاب القوم : خيارهم وسادتهم .

(٣) المهاري : جمع مهرية ، منسوبة الى مهرة ؛ حيّ من قضاعة من عرب اليمن ، وقيل نسبة الى البلد . والإبل المهرية : نجائب تسبق الخيل .

(٤) أكساء : جمع كسى (بالضم) وهو مؤخر العجز . وفي الطبقات : « أنسائها » .

(٥) اخروّط : طال .

(٦) عصبت الأفواه : جفت .

(٧) شالت المياه : قلّت .

(٨) المعزاء : الارض الصلبة كثيرة الحصى .

(٩) الصيهد : السراب الجاري وشدّة الحر .

(١٠) صرّ : صوّت . والجندب : الصغير من الجراد .

(١١) غوّر الرجل : أتى الغور ، وهو ما انحدر من الارض .

(١٢) الضوج : منعطف الوادي .

(١٣) الدغل : الشجر الكثير الملتف .

(١٤) الغلل : الماء الذي يجري بين الاشجار .

شجراؤه مغنّة، وأطياره مُرِنّة[١]. فحططنا رِحالنا بأصول دَوحاتٍ كَنَهبلاتٍ[٢]، فأصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد.

فإنّا لنصف حرّ يومنا ومماطلته[٣]، إذ صرّ أقصى الخيل أذنيه[٤]، وفحص الأرض بيديه. فوالله ما لبث أن جال، ثم حمحم[٥] فبال، ثم فعل فعله الفرسُ الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعت الخيل، وتكعكعت[٦] الإبل، وتقهقرت البغال، فمن نافرٍ بشكاله[٧]، وناهضٍ بعقاله؛ فعلمنا أن قد أُتينا وأنّه السَّبُع؛ ففزع كلُّ رجلٍ منّا الى سيفه فاستلّه من جُرُبّانه[٨]، ثم وقفنا له رَزدقاً (أي صفّاً). وأقبل أبو الحارث[٩] من أجمته يتظالع في مشيته كأنّه مجنوب[١٠]، أو في هِجارٍ[١١] معصوب؛ لصدره نحيط[١٢]، ولبلاعمه غطيط، ولطرفه وَميض، ولأرساغه نقيض[١٣]؛

(١) مرنّة : مصوتة، يريد مغرّدة.

(٢) الكنهبل (كسفرجل، وتضم باؤه) : شجر عظام.

(٣) مماطلته : طوله وامتداده.

(٤) صر أذنيه : سوّاهما ونصبهما للاستماع.

(٥) الحمحمة : صوت الفرس دون الصهيل.

(٦) تكعكعت : تأخرت الى وراء.

(٧) الشكال (بالكسر) : الحبل الذي تشدّ به قوائم الدابة.

(٨) جربّان السيف : غمده.

(٩) أبو الحارث : كنية الاسد.

(١٠) المجنوب : المصاب بذات الجنب.

(١١) الهجار : حبل يشد في رسغ رجل البعير ثم يشد الى حقوه.

(١٢) نحيط : زفير.

(١٣) نقيض الأرساغ : صوتها.

كأنما يخبط هشيماً ، أو يطأ صريماً[١] ؛ واذا هامةٌ كالمِجَن[٢] ، وخدٌ كالمِسَن[٣] ، وعينان سَجرَوان[٤] ، كأنهما سراجان يَقِدان[٥] ، وقصرةٌ ربِلَة[٦] ، ولهزِمةٌ رهِلة[٧] ، وكتدٌ مُغبط[٨] ، وزَورٌ مُفرط[٩] ؛ وساعدٌ مجدول ، وعَضُدٌ مفتول ؛ وكفٌ شثنة البراثن[١٠] ، الى مخالب كالمحاجن[١١] . فضرب بيده فأرهج[١٢] ، وكشَّر فأفرج عن أنيابٍ كالمعاول[١٣] مصقولة ، غيرِ مفلولة ؛ وفَم أشدق[١٤] ، كالغار الأخرق ؛ ثم تمطّى فأسرع بيديه ، وحفز[١٥] ورَكَنه برجليه ، حتى صار ظِلُّه[١٦] مِثلَيه ؛ ثم أقعى فاقشعر[١٧] ، ثم مثل فاكفهر[١٨] ، ثم تجهّم فازبأر[١٩] . فلاوذو[٢٠] بيته في السماء ما

(١) الصريم : الحب المقطوع من الزرع .

(٢) المجن : الترس ، وهي صفحة من الحديد مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

(٣) المسنّ : الحجر الذي يسنّ به او يسنّ عليه .

(٤) عين سجراء : بينة السجر ، وهو أن يخالط بياضها حمرة .

(٥) «يتقدان» .

(٦) القصرة : أصل العنق اذا غلظت . والربلة : كل لحمة غليظة .

(٧) اللهزمة : عظم ناتىء ، أو مضغة عليّة تحت الأذن . ورهلة : منتفخة .

(٨) الكتد : ما بين الكاهل الى الظهر . ومغبط : مرتفع .

(٩) الزور : الصدر . ومفرط : جاوز قدره . يريد وصفه بضخامة الصدر .

(١٠) شثن البراثن : خشنها . والبراثن : جمع البرثن ، وهو من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الانسان .

(١١) المحجن : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان .

(١٢) أرهج : أثار الغبار .

(١٣) المعاول : جمع المعول ، وهو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر .

(١٤) فم أشدق : واسع الشدقين .

(١٥) حفز : دفع .

(١٦) «طوله» .

(١٧) أقعى : جلس على استه . واقشعر : تقلص جلده ووقف شعره .

(١٨) مثل : قام منتصباً . واكفهر : كشر .

(١٩) تجهم : صار وجهه كريهاً . وازبأر : تنفش حتى ظهرت أصول وبر شعره .

(٢٠) ذو : بمعنى الذي في لغة طيء .

أتقيناه إلا بأوّل أخٍ لنا من فَزارة، كان ضخم الجزارة[١]، فوقصه[٢] ثم نفضه نفضةً فقضقض متنيه[٣]، فجعل يَلَغُ في دمه.

فذمرتُ أصحابي[٤]، فبعد لأيٍ ما استقدموا. فهجهجنا[٥] به، فكرّ مقشعراً بزبرته[٦]، كأن به شَيهماً حَولياً[٧]، فاختلج رجلاً أعجر ذا حوايا[٨]، فنفضه نفضةً تزايلتْ منها مفاصله، ثم نهم ففرفر[٩]، ثم زفر فبربر[١٠]، ثم زأر فجرجر[١١]، ثم لحظ[١٢]، فوالله لخلتُ البرق يتطاير من تحت جفونه، من عن شماله ويمينه. فأرعشتْ الأيدي، واصطكّت الأرجل، وأطّت الأضلاع[١٣]، وارتجت الأسماع، وشخصت العيون، وتحققت الظنون، وانخزلت المتون. فقال له عثمان: اسكتْ قطع الله لسانك! فقد أرعبت قلوب المسلمين.

---

(١) ضخم الجزارة: كبير الرأس واليدين والرجلين. يريد أنه عظيم الجسم.

(٢) وقصه: دق عنقه.

(٣) قضقض متنيه: كسر متني الظهر، وهما مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم.

(٤) ذمر أصحابه: لامهم وحضهم وحثهم.

(٥) هجهجنا به: صحنا به وزجرناه ليكف.

(٦) الزبرة: الشعر المجتمع بين كتفي الاسد. وفي سائر الاصول: «بزبره».

(٧) الشيهم: ما عظم شوكه من ذكور القنافذ. والحوليّ: ما أتى عليه حول.

(٨) اختلج رجلاً: انتزعه. وأعجر: ممتلئ جداً، أو عظيم البطن. والحوايا: الأمعاء.

(٩) نهم: أخرج صوتاً كالأنين. وفرفر: صاح.

(١٠) زفر: أخرج صوتاً بعد مدّه إياه. وبربر: صاح.

(١١) جرجر: ردّد صوته في حنجرته.

(١٢) لحظ: نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضباً.

(١٣) أطت الاضلاع: صوّتت.

خوفه من الاسد :

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري قال حدثني شُعبة قال :

قلت للطرمّاح بن حكيم : ما شأن أبي زبَيدٍ وشأنُ الأسد ؟ فقال : إنه لقيه بالنَّجف[١] ، فلما رآه[٢] سلح من فرَقه — وقال مرّة أخرى : فسلّحه — فكان بعد ذلك يصفه كما رأيت .

شعره في ضربة المكاء :

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبي عمن يثق به أن رجلًا من طيّئ من بني حيّة نزل به رجلٌ من بني الحارث بن ذُهل بن شيبان يقال له المكّاء ، فذبح له شاةً وسقاه الخمر ، فلما سكر الطائي قال : هلمّ أفاخرك : أبنو حيّة أكرم أم بنو شيبان ؟ فقال له الشيباني : حديثٌ حسن ، ومنادمةٌ كريمةٌ أحبُّ الينا من المفاخرة . فقال الطائي : والله ما مدّ رجلٌ قطُّ يداً أطول من يدي . فقال الشيباني : والله لئن أعدتَها لأخضبنَّها من كوعها . فرفع الطائي يده ، فضربها الشيباني بسيفه فقطعها . فقال أبو زبَيدٍ في ذلك :

خبّرَتنا الرُّكبان[٣] أن قد فخرتم وفرحتم بضربة المكّاء

---

(١) النجف (بالتحريك) : قال السهيلي : بالفرع عينان يقال لأحدهما الربض وللأخرى النجف تسقيان عشرين ألف نخلة ، وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها .

(٢) « لقيه » .

(٣) الرُكبان : جمع ركب . والركب : أصحاب الابل في السفر دون الدواب ، وهم العشرة فما فوقها . ويجمع على أركب أيضاً .

ولعمري لعارُهـا كان أدنى لكمُ من تُـقَى وحقّ وفاء
ظلّ ضيفاً أخوكم لأخينـا في صَبوح ونعمةٍ[١] وشِواء
ثم لما رآه رانت بـه الخمـر وأن لا يريبـه باتّقاء[٢]
لم يهب حُرمة النديم وحُقَّت يا لقـومٍ للسَّوءة السوءاء[٣]

ما قاله في كلبه حين لقيه الاسد فقتله :

أَخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال :

كان لأبي زبيدٍ كلبٌ يقال له أكدر ، وكان له سلاح يُلبسه إياه ، فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلة قبل أن يلبسه سلاحه، فلقيه الأسد فقتله، ويقال : أخذه فأفلت منه ، فقال عند ذلك أبو زبيد :

أحال[٤] أكدرُ مُختـالًا كعادته حتى اذا كان بين البئر والعطنِ[٥]
لاقى لدى ثُلَل الأطواء داهيـةً أسرتْ وأكدر تحت الليل في قَرَن[٦]
حطّت به شيمةٌ وَرهـاء تطرده حتى تناهى الى الحولات في السَّنَن[٧]

---

(١) الصبوح : ما أصبح عند القوم من الشراب فشربوه . والنعمة (بالفتح) : التنعم والتمتع .

(٢) أي ورأى أنه لا يريبه باتقاء .

(٣) السوءة : ما يقبح كشفه . والسوءة السوءاء (مثل الليلة الليلاء) : الخصلة القبيحة . ويا لقوم : استغاثة من هذه الفضيحة ؛ وهي هتك حرمة النديم .

(٤) أحال : أقبل .

(٥) العطن : مناخ الابل حول الورد .

(٦) ثلة البئر : ما أخرج من ترابها ، جمعه : ثلل . والاطواء : واحده الطويّ ، البئر المطوية بالحجارة . وأسرت : سارت ليلاً . والقرن : الحبل يجمع به البعيران .

(٧) الشيمة : الطبيعة والخلق والعادة . وورهاء : حمقاء أو خرقاء . والحولات : جمع حولة ، بالضم ، وهي الداهية .

الى مُقابل خَطو الساعدَين له فوق السَّراة كذِفرى الفالج القَمِنِ[١]
رئبالِ غابٍ فلا قَحمٌ ولا ضرعٌ كالبغل يحتطم العِلجين[٢] في شطَن

وهي قصيدةٌ طويلةٌ . فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد ، وقالوا له : قد خِفنا أن تَسُبَّنا العربُ بوصفك له . قال : لو رأيتم منه ما رأيت أو لقيكم ما لقي أكدر لما لمتموني . ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه بعد ذلك في شعره حتى مات .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكّري قال حدثني هارون بن مُسلم بن سَعدان أبو القاسم قال حدثنا هشامُ ابن الكلبيّ قال : كان الأجلح الكندي يحدّث عن عمارة بن قابوس قال :

لقيتُ أبا زُبَيد الطائي فقلت له : يا أبا زبيد هل أتيت النعمان بن المنذر ؟ قال إي والله لقد أتيته وجالسته . قال قلت : فصِفه لي . فقال : كان أحمر أزرق أبرَش قصيراً . فقلت له : بالله أخبرني أيسرك أنه سمع مقالتك هذه وأنّ لك حُمرَ النَّعم ؟ قال : لا والله ولا سودَها ؛ فقد رأيت ملوك حِمير في مُلكها ، ورأيتُ ملوك غسّان في ملكها ، فما رأيت أحداً قط كان أشدّ عزّاً منه . وكان ظهرُ الكوفة يُنبت الشقائق ، فحمى ذلك المكان فنُسب اليه فقيل : « شقائق النعمان » .

فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطَّير ، وكأنه باز . فقام رجل من الناس فقال له : أبيت اللعن ! أعطني فإني مُحتاج . فتأمّله طويلاً ثم أمر به فأُدني حتى قعد بين يديه ، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مشاقص[٣] فجعل

(١) الفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع .

(٢) « حطمه العلجان » .

(٣) المشقص ، كمنبر . نصل عريض أو سهم فيه ذلك .

يَجأُ[1] بها في وجهه حتى سمعنا قرعَ العظام ، وخُضبت لحيته وصدره بالدم ، ثم أمر به فنُحِّي . ومكثنا ملياً .

ثم نهض آخر فقال له : أبيت اللعن ! أعطني . فتأمله ساعةً ثم قال : أعطوه ألف درهم ، فأخذها وانطلق .

ثم التفت عن يمينه ويساره وخلفه ، فقال : ما قولكم في رجلٍ أزرقَ أحمر يُذبح على هذه الأكمة ، أترون دمه سائلًا حتى يجري في هذا الوادي ؟ فقلنا له : أنت - أبيتَ اللعن - أعلى برأيك عيناً . فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فذُبح .

ثم قال : ألا تسألوني عما صنعتُ ؟ فقلنا : ومن يسألك - أبيتَ اللعن - عن أمرك وما تصنع ؟ فقال :

أمّا الأول فإني خرجتُ مع أبي نتصيّد ، فمررت به وهو بفناء بابه وبين يديه عُسٌّ من شراب او لبن ، فتناولته لأشرب منه ، فثار إليّ فهراق الإناء فملأ وجهي وصدري ، فأعطيتُ الله عهداً لئن أمكنني منه لأخضبنّ لحيته وصدره من دم وجهه .

وأما الآخر فكانت له عندي يدٌ كافأته بها ولم أكن أثبته[2] ، فتأملته حتى عرفته .

وأمّا الذي ذبحته فإنّ عيناً لي بالشام كتب إليّ : إنّ جبلة بن الأيهم قد بعث اليك برجل صفته كذا وكذا ليغتالك . فطلبته أياماً فلم أقدر عليه ، حتى كان اليوم .

---

(١) الوجء : الضرب .

(٢) أثبته : عرفه حق المعرفة .

مات نديم له في غيبته فرثاه وصب الخمر على قبره :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان لأبي زبَيدٍ نديمٌ يشرب معه بالكوفة ، فغاب أبو زبيد غيبةً ، ثم رجع فأخبر بوفاته ، فعدل الى قبره قبل دخوله منزله ، فوقف عليه ثم قال :

يا هاجري إذ جئتُ زائرَهُ ما كان من عاداتك الهجرُ
يا صاحب القبر السلام على مَن حال دون لقائه القبر

ثم انصرف . وكان بعد ذلك يجيء الى قبره فيشرب عنده ويصبُّ الشراب على قبره .

والأبيات التي فيها الغناء المذكور يقولها في غلامٍ له قتلته تغلب ، وكان مُجاوراً فيهم ، فدلّ بَهراء على عورتهم وقاتلهم معهم فقُتِل .

أخبرني بخبره أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام . وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال :

كان أخوال أبي زبيد بني تغلب ، وكان يقيم فيهم أكثر أيامه ، وكان له غلام يرعى إبله ، فغزتْ بَهراء بني تغلب ، فمرّوا بغلامه ، فدفع اليهم إبلَ أبي زبيد وقال : انطلقوا أدُلّكم على عَورة القوم وأقاتل معكم . ففعلوا ، والتقوا ، فهُزمت بهراء وقُتِل الغلام ، فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهي :

هل كنتَ في منظرٍ ومُستمع عن نَصر بَهراء غير ذي فرَسِ
تسعى الى فتية الأراقم واستعجلت قبل الجمان والقبس [1]

(١) الجمان والقبس : ناقتان .

في عارضٍ من جبال بهرائها الـــأولى[١] مرين الحروب[٢] عن دُرُس[٣]
فبهرةٌ من لقوا حسبتهم أحلى وأشهى من بارد الدِّبس[٤]
لا تِرة عندهم فتطلبها ولا هُمُ نُهزة لمختلس
جُودٌ كِرام اذا هُم نُدِبوا غيرُ لئامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُس[٥]
صُمتٌ عظام الحلوم إن قعدوا عن غير رِعيٍّ بهم ولا خَرَس
تَقــود أفراسهم نساؤُهُمُ يُزْجُون أجمالهم مع الغلس
صادفتَ لمَّا خرجتَ مُنطلقاً جَهمَ المحيّا كباسلٍ شرس
تخالُ في كفِّه مثقَّفــةً[٦] تلمع فيهـا كشعلة القبس
بكفِّ حرّان ثائرٍ بدمٍ طلّاب وِترٍ في الموت مُنغمس
إمّا تقارَن بك الرماح فـلا أبكيك إلّا للدّلو والمرس[٧]
حَمِدتَ أمري ولمت أمرك إذ أمسك جَلْزُ السِّنان بالنّفَس[٨]
وقـد تصلّيتَ حرّ نارهم كما تصلّى المقرور من قرَس[٩]
تَذُبُّ عنه كفٌّ بهـا رمق طيراً عكوفاً كزُوّر العُرُس[١٠]
عما قليلٍ علون جُثّته فهنّ من والــغ[١١] ومنتهس

---

(١) الأولى : الذين .
(٢) مرين الحروب : حلبنها ، والمراد أنهم تمرسوا بالحرب .
(٣) درس جمع درسة بالضم ، كغرفة وغرف ، وهي الرياضة .
(٤) بهرة ، أراد بهراء . الدبس ، بالكسر وبكسرتين : عسل التمر وعصارته .
(٥) كسس : جمع أكس ، أي ليس فيهم خروج الاسنان السفلى على الحنك الأسفل .
(٦) مثقفة : ثقف الرمح أي قومه وسواه .
(٧) للدلو : أي لملئها . والمرس : جمع مرسة بالتحريك ، وهو الحبل .
(٨) جلز السّنان : الحلقة المستديرة في أسفله .
(٩) المقرور : الذي أصابه البرد . والقرس : البرد الشديد .
(١٠) الزوّر : جمع الزائر . والعرس : طعام الوليمة .
(١١) الوالغ : الشارب بأطراف لسانه .

فلما فرغ أبو زبيد من قصيدته بعثت اليه بنو تغلب بدية غلامه وما ذهب من إبله ، فقال في ذلك :

أَلا أبلغ بني عمرو رسولاً   فإنّي في مودّتكم نفيسُ

هكذا ذكر ابن سلّام في خبره ، والقصيدة لا تدلُّ على أنها قيلت فيمن أحسن اليه وودَى غلامه وردّ عليه ماله . وفي رواية ابن حبيب :

أَلا أبلغ بني نصر بن عمرو

وقوله أيضاً فيها :

فما أنا بالضعيف فتظلموني   ولا جافي اللقاء ولا خسيسُ(١)
أفي حقٍّ مواساتي أخاكم   بمالي ثم يظلمني السريس

— السريس : الضعيف الذي لا ولد له — وهذا ليس من ذلك الجنس . ولعل ابن سلّام وهم .

وأبو زبيد أحد المعمّرين ، ذكر ابن الكلبيّ أنه عمّر مائة وخمسين سنة .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان طول أبي زبيد ثلاثة عشر شبراً .

كان يدخل مكة متنكراً لجماله :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمّار قالا حدثنا محمد بن عبد الله العبدىُّ أبو بكرة قال حدثني أبو مِسعر الجُشميّ عن ابن الكلبيّ قال :

---

(١) خسيس : بالرفع عطفاً على المحل بجعل ما تميمية ، وبالجر عطفاً على اللفظ فيكون في البيت إقواء .

كان أبو زبيد الطائي ممن اذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله.

وأخبرني ابراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال:

لما صار الوليد بن عقبة الى الرَّقّة واعتزل علياً عليه السلام ومعاوية، صار أبو زبيد اليه، فكان ينادمه، وكان يُحمل في كل أحدٍ الى البيعة مع النصارى. فبينا هو يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره الى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال:

إذا جعل المرء الذي كان حازماً يُحلُ به حلَّ الحُوار ويحملُ[1]
فليس له في العيش خيرٌ يريده وتكفينُه مَيتاً أعفُّ وأجملُ

دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه:

ومات فدفن هناك على البليخ[2]. فلما حضرت الوليد بن عقبة الوفاة أوصى أن يدفن الى جنب أبي زبيد. وقد قيل: إن أبا زبيد مات بعد الوليد؛ فأوصى أن يدفن الى جنب الوليد.

قال ابن الكلبي في خبره الذي ذكره إسحاق عنه:

هرب أبو زبيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإبله فكان يقبّله[3] حلب الُجمان والقبس، وهما ناقتان كانتا له. فلما كان يوم حابس، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجيرُ أبي زبيد مع بهراء، فقتل وانهزمت بهراء، ففرّ أبو زبيد به وهو يجود بنفسه، فقال فيه هذه القصيدة.

(١) الحوار بالضم والكسر: ولد الناقة قبل أن يفصل عنها. ويقال حل به حلاً: جعله يحل.

(٢) البليخ: نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون.

(٣) من قولهم قبلت العامل العمل، أي جعلته في كفالته.

أخبرني محمد بن يحيي ويحيي بن علي الأبواني المدائني قالا حدثنا عقبة المطرفي قال :

كنا في الحمام ومعي ابن السعدي وأنا أقرأ القرآن، فدخل سعد الرؤاسي فغنى :

قد كنت في منظرٍ ومستمعٍ عن نصر بهراء غير ذي فرس

فقال ابن السعدي : أسكت أسكت ! فقد جاء حديث يأكل الأحاديث .

أخبرني عمي والحسن بن علي قالا حدثني العمري قال حدثني أحمد بن حاتم قال حدثني محمد بن عمرو الجماز قال حدثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطاب النحوي : أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتضر لأبي زبيد بما يصلحه في فصحه[1] وأعياده، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك . فقال أهله وبنوه لأبي زبيد : قد علمت أنه لا يحل لنا هذا في ديننا، وإنما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقك، فقدره لنفسك ما شئت أن تعيش، وقوم ما أوصى به لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا، واحفظه واحفظنا فيه، ففعل أبو زبيد ذلك، وقبله منهم .

* * *

صوت

هل تعرف الدار من عامين أو عام دارٌ لهندٍ بجزع الحرج فالدام
تحنو لأطلائها عِينٌ ملمّعةٌ[2] سُفعُ الخدود بعيدات من الرامي

(١) أي في عيد الفصح ، وهو عيد من أعياد النصارى .

(٢) الملمعة : التي فيها بقع تخالف سائر لونها وقيل بقعة من السواد خاصة .

الحرج والدام : موضعان ، ويروى « مذ عامين » . وهذا الأجود ، وكلاهما رُوي . وعِين : بقر . وأطلاؤها : أولادها ، واحدها طلا . ويروى : « بعيدات من الذام » هو الذي يذم .

الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري حين توليته العراق :

الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعريّ لما ولّاه عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه العراق[١] . والغناء لمالك ، خفيف رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن اسحاق . وذكر أنّ فيه لابن جامع أيضاً صنعةً .

قال محمد بن حبيب : أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه ، فأخبره أن العدّة قد تمت ، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها ، وأوّلها :

هل تعرف الدار من عامين او عامِ دار لهند بجزع الحرج فالدام

وفيها يقول :

وجحفلٍ كسواد الليل منتجعٍ أرض العدوّ ببوسٍ بعد إنعامِ
جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ ومن تميم ومن حاء ومن حام

— حاء من مذحج ، وحام من خثعم —

وما رضيتَ لهم حتى رفدتهم من وائل رهطِ بِسطامٍ بأصرامِ[٢]
فيه الرماح وفيه كلّ سابغة جدلاء مُحكمةٍ من نسج سلّام

— يعني سليمان النبي —

(١) « الكوفة » .

(٢) أصرام : جماعات .

وكلُّ أجرَدَ كالسرحان[١] أضمره   مسحُ الأكفّ وسقي بعد إطعام
مستحقبات[٢] رواياها جحافلها   يسمو بها أشعريٌّ طرفه سام

– الروايا: الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم، وتجنب[٣] الخيل اليها فتضع جحافلها[٤] على أعجاز الإبل –

لا يزجُر الطَّيرَ إن مرّت به سُنُحاً   ولا يفيض على قِدحٍ بأزلام[٥]

وقال المدائني: لما مدح الحطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى – وقد كان كتب من أراد وكملت العدّة – فبلغ ذلك عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فكتب يلومه، فكتب اليه: إني اشتريت منه عِرضي، فكتب اليه: أحسنتَ. قال: وزاد فيه حمّاد الراوية أنه – يعني نفسه – أنشدها بلالَ ابن أبي بردة ولم يكن عرفها فوصله.

أخبرني القاضي أبو خليفة إجازةً قال حدثنا محمد بن سلّام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال:

قدِم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بُردة وهو عليها فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حمّاد! فعاد اليه فأنشده قول الحطيئة في أبي موسى، فقال له ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه؟ أذِعها تذهب في الناس.

---

(١) السرحان: الذئب.

(٢) مستحقبات، من استحقب الشيء: شدّه في مؤخر الرجل واحتمله خلفه.

(٣) تجنب اليها: تقاد الى جنبها.

(٤) جحافلها: شفاها.

(٥) الازلام: جمع زلم، وهو القدح الذي كان يستقسم به.

وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلها سعيد بن العاص عنها، وتحالفوا ألا يُوَلُّوا عليها إلا من يريدون.

أخبرني بالسبب في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر ابن شبَّة قال حدثنا المدائني عن أبي مِخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق قال:

كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القرّاء يختلفون الى سعيد بن العاص ويسألونه، فتذاكروا يوماً السهل والجبل، فقال حسان بن محدوج: سهلنا خير من جبلنا: أكثر بُرّاً وشعيراً، فيه أنهارٌ مطَّردة، ونخل باسقات، وقلَّت فاكهةٌ يُنبتها الجبل إلا والسهل ينبت مثلها. فقال له عبد الرحمن بن حبيش: صدقتم، وددِت أنه للأمير وأنّ لكم أفضل منه. فقال الأشتر: تمنَّ للأمير أفضل ولا تتقرّب اليه بأموالنا، فقال: ما ضرّك ذلك. والله لو يشاء أن يكون له لكان. قال: كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه. فقال سعيد: والله ما السواد إلا بستانٌ لقريش، ما شئنا أخذنا منه، وما شئنا تركنا. فقال له الأشتر: أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا! ثم ضربوا عبد الرحمن ابن حبيش حتى سقط.

قال المدائني فحدّثني عليّ بن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن الشعبي ومجالد بن حمزة بن بيض عن الشعبيّ قال: بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمراً وزبداً إذ قال سعيد: السواد بستان قريش، فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا. فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد: صدق الأمير. فوثب عليه القرّاء فضربوه، وقالوا له: يا عدوّ الله، يقول الباطل وتصدقه! فقال سعيد: اخرجوا من داري، فخرجوا، فلما أصبحوا أتوا المسجد فداروا على الحلَق فقالوا: إن أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا ومركز رماحنا، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا.

فكتب سعيد الى عثمان رضي الله عنه : إنّ قِبَلي قوماً يُدعَون القرّاء وهم السفهاء ، وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه وأستخفوا بي . منهم عمرو بن زرارة ، وكُميل بن زياد ، والأشتر وحُرقوص بن هبيرة ، وشريح بن أوفى ، ويزيد بن المكفّف ، وزيد وصعصعة ابنا صوحان وجُندب بن عبد الله .

فكتب اليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا الى الشام ويغزوا مغازيَهم . وكتب الى سعيد : قد كفيتك الذي أردت فأقرئهم كتابي فإني أراهم لا يخالفون إن شاء الله ؛ واتق الله جلّ وعز وأحسن السيرة .

فأقرأهم الكتاب ، فخرجوا الى دمشق فأكرمهم معاوية وقال : إنكم قدِمتم بلداً لا يعرف أهله إلا الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشكّ قلوبهم . فقال له الأشتر : إن الله جل وعزّ قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبينوه للناس ولا يكتموه . فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه . فقال : قد خفت أن تكونوا مُرصدين للفتنة ، فاتقوا الله (ولا تكونوا كالذين تفرّقوا وأختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات) . فقال عمرو بن زرارة : نحن الذين هدى الله . فأمر معاوية بحبسهم . فقال له زيد بن صُوحان : إن الذين أشخصونا اليك لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسنوا جِوارنا ، وإن كنا ظالمين فنستغفر الله ، وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : إني لا أرى حبسك أمراً صالحا ، فإن أحببتَ أن آذن لك فترجع الى مصرك وأكتب الى أمير المؤمنين بإذنك فعلت . قال : حسبي أن تأذن لي وتكتب الى سعيد . فكتب اليه ، فأذن له ، فلما أراد زيد الشخوص كلّمه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجها . وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه ؛ ثم أشخصهم معاوية الى حِمص ، فكانوا بها ، حتى أجمع أهل الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا اليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائني حدثني الوقاصي عن الزُّهري :

أن أهل الكوفة لما قدموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم : أكتب اليه فأجمع بينكم وبينه . ففعل ، فلم يحققوا عليه شيئاً إلا قوله : « السواد بستان قريش » ، وأثنى الآخرون عليه . فقال عثمان : أرى أصحابكم يسألون إقراره ، ولم يثبتوا عليه إلا كلمةً واحدة ، لم ينتهك بها لأحد حرمةً . ولا أرى عزله إلا أن تُثبتوا عليه ما لا يحلّ لأحد تركه معه . فانصرفوا الى مصركم . فرجع سعيدٌ والفريقان معه ، وتقدّمهم عليّ بن الهيثم السدوسي حتى دخل رحبة المسجد فقال : يا أهل الكوفة إنا أتينا خليفتنا فشكونا اليه عاملنا ، ونحن نرى أنه سيصرفه عنا ، فردّه الينا وهو يزعم أن السواد بستان له . وأنا امرؤ منكم أرضى اذا رضيتم . فقالوا : لا نرضى .

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذكر عثمان رضي الله عنه ، فحرّض عليه ثم قال : من كان يرى أن لله جل وعز حقاً فليصبح بالجرَعة ، ثم قال لكميل بن زياد : انطلق فأخرج ثابتَ بن قيس بن الخطيم ، فأخرجه . واستعمل أهلُ الكوفة أبا موسى الأشعري .

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عفّان قال حدثنا أبو مِحصَن قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال حدثني جُهَيمٌ قال :

أنا شاهد للأمر ، قالوا لعثمان : إنك استعملت أقاربك . قال : فليقم أهلُ كلّ مصر فليسلوا صاحبهم . فقام أهل الكوفة فقالوا : اعزل عنا سعيداً واستعمل علينا أبا موسى الأشعري . ففعل .

قال أبو زيد : وكان سعيدٌ قد أبغضه أهل الكوفة لأمور : منها أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطّه سعيد الى مائة مائة . فقالت امرأة من أهل الكوفة تذمّ سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقّاص :

فليتَ أبا إسحاق[1] كان أميرَنا ... وليت سعيداً كان أولَ هالك
يُحطِّطُ أشراف النساء ويتقي ... بأبنائهنّ مُرهَفات النّيازك[2]

حدثني العباس بن علي بن العباس ومحمد بن جرير الطبري قالا حدثنا يحيي بن معين قال حدثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة بن عمرو بن مُرّة قال سمعت أبا وائل يحدّث عن الحارث بن حُبَيش قال : بعثني سعيد بن العاص بهدايا الى المدينة وبعثني الى علي عليه السلام وكتب اليه : إني لم أبعث الى أحد بأكثر مما بعثت به اليك إلا شيئا في خزائن أمير المؤمنين . قال : فأتيت علياً فأخبرته ، فقال : لشدّ ما تحظُر بنو أمية تراث محمد صلى الله عليه وسلم . أما والله لئن وليتها لأنفضنّها نفض القصّاب لتراب الوذَمة .

قال أبو جعفر : هذا غلط إنما هو لوِذام[3] التربة .

قال أبو زيد وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه قال : بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلةٍ الى علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ فقال : والله لا يزال غلامٌ من غِلمان بني أمية يبعث الينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة ، واللهِ لئن بقيتُ لأنفضنّها نفضَ القصّاب لوذام التربة . هكذا في هذه الرواية .

---

(١) أبو إسحاق : كنية سعد بن أبي وقاص كما في الاصابة .

(٢) النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .

(٣) الوذام : جمع وذمة : قطعة الكرش . والتربة : الكرش : اللسان .

صوت

رُبَّ وَعدٍ منكِ لا أنساه لي أوجَبَ الشكرَ وإن لم تفعلي
أقطعُ الدَّهرَ بظنٍّ حسنٍ وأُجلّي غمرةً ما تنجلي
كلّما أمّلتُ يوماً صالحاً عرَضَ المكروه لي في أملي
وأرى الأيام لا تُدني الذي أرتجي منك وتُدني أجلي

عروضه من الرمل ؛ الشعر لمحمد بن أمية ، والغناء لأبي حشيشة ، رملٌ طنبوري وفيه لحن لحسين بن مُحرزٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن أبي عبد الله الهشامي .

أخبار محمد بن امية وأخبار أخيه على بن امية

وما يغنّى فيه من شعرهما

نسب محمد بن أمية :

سألتُ أحمد بن جعفر جحظة عن نسبه قلتُ له : إنّ الناس يقولون ابن أميّة وابنُ أبي أمية ؛ فقال : هو محمد بن أمية بن أبي أمية .

منادمته إبراهيم بن المهدي :

قال : وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً ، وكان يُنادم ابراهيم بن المهدي ، وربما عاشر علي بن هشام ، إلّا أنّ انقطاعه كان الى ابراهيم ، وربما كتب بين يديه . وكان حسن الخط والبيان . وكان أمية بن أبي أمية يكتب للمهدي على بيت المال . وكان اليه ختم الكتب بحضرته ، وكان يأنس به لأدبه وفضله ، ومكانه من ولائه ، فزامله اربع دفعاتٍ حجها في ابتدائه ورجوعه .

قال جحظة : وحدثني بذلك أبو حشيشة .

وحدثني جحظة أيضاً قال حدثني أبو حشيشة عن محمد بن علي بن أمية قال حدثني عمي محمد بن أمية قال :

كنت جالساً بين يدي ابراهيم بن المهدي ، فدخل اليه أبو العتاهية وقد تنسّك ولبس الصوف وترك قول الشعر إلّا في الزُّهد ، فرفعه ابراهيم وسُرَّ به ، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ؛ فقال له أبو العتاهية : أيُّها الأمير بلغني خبرُ فتًى في ناحيتك

ومن مواليك يُعرَف بابن أمية يقول الشعر، وأنشدتُ له شعراً أعجبني، فما فعل؟ قال: فضحك ابراهيم ثم قال: لعله أقربُ الحاضرين مجلساً منك. فالتفت إليّ فقال لي: أنت هو فديتك؟ فتشوّرت[1] وخجلت وقلت له: أنا محمد بن أمية جُعلت فداءك! وأمّا الشعر فإنما أنا شابٌ أعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشابُ؛ فقال لي: فديتك، ذلك والله زمان الشعر وإبانه، وما قيل فيه فهو غُرره وعيونه، وما قَصُر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومئ اليه أبلغ وأملح. وما زال ينشّطني ويؤنسني حتى رأى أني قد أنِست به، ثم قال لإبراهيم بن المهدي: إن رأى الأمير — أكرمه الله — أن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر. فقال لي ابراهيم: بحياتي يا محمد أنشده. فأنشدته:

رُبّ وعد منك لا أنساه لي أوجب الشكر وإن لم تفعلي

وذكر الأبيات الأربعة. قال: فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل يردّد البيت الأخير منها وينتحب، وقام فخرج وهو يردّده ويبكي حتى خرج الى الباب.

أشعاره بخداع جارية خال المعتصم:

أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال حدثنا محمد بن علي ابن أمية قال:

كان عمي محمد بن أمية يهوى جاريةً مغنية يقال لها خِداع كانت لبعض جواري خال المعتصم، فكان يدعوها، ويعاشره إخوانه اذا دعوه بها أتباعاً لمسرّته. وأراد المعتصم الخروج والتأهب للغزو، وأمر الناس جميعاً بالخروج والتأهب، فدعاه بعض إخوانه قبل خروجهم بيوم، فلما أضحى النهار جاء من المطر أمرٌ عظيم لم

(١) تشوّرت: استحييت.

يقدر معه أحد أن يُطلعَ رأسه من داره، فكاد محمد أن يموت غمّاً، فكتب الى صديقه الذي دعاه وقد كان ركب اليه ثم رجع لشدّة المطر، ولم يقدر على لقائه:

تمادى القطر وانقطع السبيل من الالفين إذ جرت السيولُ
على أني ركبتُ اليك شوقاً ووجه الأرض أوديةٌ تجول
وكان الشوقُ يقدُمني دليلاً وللمشتاق معتزماً دليل
فلم أجد السبيل الى حبيبٍ أودِّعه وقد أفِدَ[1] الرحيل
وأرسلتُ الرسول فغاب عني فيالَلّهِ ما فعل الرسول!

وقال في ذلك أيضاً:

مجلسٍ يُشفى به الوطرُ عاق عنه الغيمُ والمطرُ
رَبِّ خذ لي منهما فهما رحمةٌ عمت ولي ضرر
ما على مولايَ مَعتبةٌ[2] عذره بادٍ ومستتر
شُغِلَتْ عيني بعبرتها واستمالت قلبيَ الفكر

قال: ثم بيعت خِداع هذه فاشتراها بعض ولد المهدي وكان ينزل شارع الميدان، فحجبت عنه وانقطع ما بينهما إلّا مكاتبةً ومُراسلةً.

قال محمد بن علي فأنشدني يوماً عمي محمد لنفسه فيها:

خطراتُ الهوى بذكرِ خداعِ هِجنَ شوقي لا دارساتُ الطلولِ
حُجِبتْ أن تُرى فلستُ أراها وأرى أهلها بكل سبيل
وإذا جاءها الرسولُ رآها ليتَ عيني مكان عين الرسول

---

(١) أفد: دنا.

(٢) المعتبة: الموجدة والسخط.

قد أتاك الرسول ينعتُ ما بي فاسمعي منــه ما يقول وقولي

وقال فيها أيضاً :

بناحية الميدان دربٌ لو أنني أسميه لم أرشد وإن كان مُفسدي
أخاف على سكانه قول حاسدٍ يشير اليهم بالجفون وباليـدِ
وصائفُ أبكارٌ وعُـونٌ(١) نواطقٌ بألسنةٍ تشفي جوى الهائم الصَّدي
يُقاربن أهلَ الودّ بالقول في الهوى وما النجم من معروفهن بأبعـد
يزدنا أخا الدنيا مُجوناً وفتنـة ويَشغفن قلب الناسك المتعبِّـد
وليلة وافى النوم طيف سَرى به إليَّ الهوى منهنّ بعـد تجرُّدِ
فقاسمتــه الأشجان نِصفين بيننا وأوردته من لوعة الحبّ مَوردي
ونلتُ الذي أمّلتُ بعـد تمنُّع وعاهدته عهـد امرئ متوكِّدِ
فلما افترقنا خاس بالعهد(٢) بيننـا وأعرضَ إعراض العروس من الغد
فوا ندماً ألا أكون ارتهنتــه لأخبره في حفظ عهـدٍ وموعد

إعجاب أبي العتاهية بشعره :

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال قال لي محمد بن أبي العتاهية .

سمع أبي يوماً مخارقاً يغني :

أحبُّـكِ حُباً لو يُفَضُ(٣) يسيرُهُ على الخلق مات الخلقُ من شدَّة الحبِّ

---

(١) الوصائف : جمع وصيفة وهي الجارية دون المراهقة. عون : جمع عوان وهي المرأة النصف.

(٢) خاس بالعهد : نقضه وخانه .

(٣) يفض : يفرق .

وأعلم أني بعد ذاك مقصِّرٌ لأنكِ في أعلى المراتب من قلبي

فطرب ثم قال له: من يقول هذا يا أبا المُهنا؟ قال: فتى من الكتّاب يخدم الامير إبراهيم بن المهدي. فقال: تعني محمد بن أمية؟ قال: نعم. قال: أحسن والله، وما يزال يأتي بالشيء المليح يبدو له.

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن أمية بن أبي أمية قال:

مزاحه مع مسلم بن الوليد:

لقي أخي محمد بن أمية مُسلمَ بن الوليد وهو يمشي وطويلته[1] مع بعض رواته، فسلم عليه ثم قال له: قد حضرني شيء؛ فقال: هاته؛ فقال: على أنه يُزاح لا يُغضبُ منه؛ قال: هاته ولو أنه شتم. فقال:

مَن رأى فيما خلا رُجلا تيهه يُربي على جِدَتِه[2]
يَتباهى راجلًا وله شاكريٌّ في قُلَنسِيَتِه[3]

فسكت عنه مسلمٌ ولم يجبه، وضحك منه محمدٌ وافترقا.

مداعبة مسلم له حين نفق برذونه:

قال: وكان لمحمد بن أمية بِرذَون يركبه، فلقيه مسلم وهو راجلٌ فقال: ما فعل بِرذَونك؟ قال: نفق. قال: الحمد لله، فنجازيك إذاً على ما كان منك الينا. ثم قال مسلم:

---

(١) الطويلة: يراد بها قلنسوة طويلة.

(٢) «أربى على جدته» وجدته أي مقدار ما هو عليه من الغنى.

(٣) الشاكري: الاجير والمستخدم. والقلنسية والقلنسوة: من لباس الرأس.

قل لابن ميٍّ لا تكن جازعاً   لن يرجع البرذون باللَّيتِ[1]
طأمنَ أحشاءك فِقدانُه   وكنت فيـه عاليَ الصوت
وكنت لا تـنزل عن ظهره   ولو من الحُشّ الى البيت[2]
مـا مات من حتف[3] ولكنه   مات من الشوق الى الموت

تعلقه بإحدى الجواري :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن علي بن أمية قال حدثني حسين بن الضحاك قال :

دخلت أنا ومحمد بن أمية منزل نخّاس بالرّقة أيام الرشيد وعنـده جاريةٌ تغنّي فوقعت عينها على محمد ، ووقعت عينه عليها ، فقال لها : يا جارية ، أتغنّين هذا الصوت :

خبّريني مَن الرسول اليكِ   وأجعليـه من لا ينمّ عليكِ
وأشيري إليّ من هو بالله   ـظ ليخفى عـلى الذين لديك
وأقلّي المُزاح في المجلس اليو   م فإن المزاح بين يديـك

فقالت له : ما أعرفه ، وأشارت الى خادمٍ كان عـلى رأسها واقفاً . فـكنا زماناً والخادم[4] الرسول بينهما . قال : والشعر لمحمد بن أمية .

حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني بعض من كان يختلط بالبرامـكة قال :

---

(١) الليت : أراد به التمنى .

(٢) الحش : يكنى به عن بيت الخلاء .

(٣) الحتف : الهلاك ، تقول العرب : مات فلان حتف أنفه ، أي بلا ضرب ولا قتل .

(٤) «الخادم الاسود» .

كنت عند ابراهيم بن المهدي، وقد اصطبحنا[1] وعنده عمرو بن بانة، وعبيد الله ابن أبي غسان، ومحمد بن عمرو الرومي، وعمرو الغزّال، ونحن في أطيب ما كنا عليه إذ غنّى عمرو الغزّال، وكان ابراهيم بن المهدي يستثقله، إلا أنه كان يتخفّف بين يديه ويقصده، ويبلغه عنه تقديمٌ له وعصبيّة، فكان يحتمل ذاك منه، فاندفع عمرٌو الغزال، فتغنّى في شعر محمد بن أمية:

ما تمّ لي يوم سرورٍ بمن ... أهواه مُذ كنتُ الى الليلِ
أغبط ما كنت بما نلته ... منه أتتني الرسل بالويل
لا والذي يعلم كل الذي ... أقول ذي العزّة والطَّول
مارُمتُ مذ كنت لكم سخطة ... بالغيب في فعل ولا قَول

قال: فتطيّر ابراهيم، ووضع القدح من يده، وقال: أعوذ بالله من شر ما قلت. فوالله ما سكت — وأخذنا نتلافى ابراهيم — إذ أتى حاجبه يعدو فقال: ما لك[2]؟ فقال: خرج الساعة مسرورٌ من دار أمير المؤمنين حتى دخل الى جعفر بن يحيى، فلم يلبث أن خرج ورأسه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته. فقال ابراهيم: (إنّا لله وإنّا اليه راجعون) ارفع يا غلام ارفع. فرفع ما كان بين أيدينا، وتفرقنا فما رأيت عمراً بعدها في داره.

كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى بن بُسخنّر قال:

---

(١) اصطبحنا: شربنا الصبوح.

(٢) «ما الخبر».

كنت عند ابراهيم بن المهدي بالرَّقة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أمية في يوم من حزيران ، فلما هممنا بذلك هبّت الجنوب ، وتلطّخت السماء بغيم ، وتكدّر ذلك اليوم ، فترك ابراهيم بن المهدي الشُّربَ ولحقه صُداع ، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب ، فافترقنا ؛ فقال لي محمد بن أمية : ما أَحبَّ إليّ ما كرِهتموه من الجنوب ! فإن أنشدُتك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم ؟ قلت : نعم . فأنشدني :

إنّ الجنوب اذا هبّت وجدت لها   طيباً يذكّرني الفردوس إن نفحا
لمّا أتتْ بنسيم منكِ أعرفه   شوقاً تنفّستُ واستقبلتها فرحا

فانصرفت معه الى منزله ، وغنّيت في هذين البيتين وشربنا عليهما بقيّة يومنا .

ما قاله في تفاحة أهدتها اليه خداع :

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسنادٍ : أهدَتْ جاريةٌ يقال لها خداع الى محمد بن أمية — وكان يهواها — تفاحةً مُفَلَّجةً[١] منقوشةً مطيّبةً حسنةً ، فكتب اليها محمد :

خِداع أهديتِ لنا خُدعةً   تُفّاحةً طيّبة النَّشرِ
ما زلتُ أرجوك وأخشى الهوى   مُعتصماً بالله والصبر
حتى أتتني منك في ساعةٍ   زحزحتِ الأحزان عن صدري
حشوتِها مِسكاً ونقّشتها   ونَقشُ كفيكِ من السِّحر
سَقياً لها تفاحةً أهدَيت   لو لم تكن من خُدَع الدهر

(١) مفلّجة : مقسمة.

التقى بجارية يهواها :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله ابن جعفر اليقطيني قال حدثني أبي جعفر بن علي بن يقطين قال :

كنت أسير أنا ومحمد بن أمية في شارع المَيدان ، فاستقبلتنا جاريةٌ – كان محمدٌ يهواها ثم بيعتْ – وهي راكبةٌ ، فكلّمها، فأجابته بجواب أخفَته فلم يفهمه، فأقبل عليّ وقد تغيّر لونه فقال :

يا جعفر بن علي وابن يقطينِ   أليس دون الذي لاقيت يكفيني
هذا الذي لم تزل نفسي تخوّفني   منها فأين الذي كانت تُمنّيني
خاطرتُ إذ أقبلتْ نحوي وقلت لها   تفديكِ نفسي فداءً غير ممنون
فخاطبتني بما أخفته فانصرفت   نفسي بظنّين مخشيٍّ ومأمون

حدثني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلّبي قال حدثني أبي قال :

كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءته رُقعة لا أعلم ممن هي ، فقرأها وتبسّم ثم إنه أقبل عليّ وأنشد :

لطافةُ كاتبٍ وخشوعُ صبٍّ   وفِطنةُ شاعرٍ عند الجواب

ثم أقبل عليّ فقال : من يقول هذا يا يزيد ؟ فقلت : محمد بن أمية يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : كأنه والله يصفُ ما في هذه الرُّقعة .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال :

كنت أنا وابن قنبر عند محمد بن أميّة بعقِب بَيع جاريةٍ كان يحبُّها وقد لحقه

عليها وله كالجنون ، فجعل ابن قنبر وأخوه عليّ بن أمية يعاتبانه على ما يظهر منه ، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال:

لو كنتَ جرَّبت الهوى يابن قَنبرٍ كوصفك إياه لألهاك عن عذلي
أنا وأخي الأدنى وأنت لها الفدا وإن لم تكونا في مودّتها مثلي
ألأن حُجبتْ عني أجود لغيرها بودّي وهل يُغري المحبَّ سوى البخل
أَسرّ بأن قالوا تضنّ بودّها عليك ومن ذا سُرّ بالبخل من قبلي

قال : فضحك ابن قنبر ، وقال : اذا كان الأمر هكذا فكن أنت الفداء لها ، وإن ساعدك أخوك فاتّفقا على ذلك ، وأما أنا فلست أنشط لأن أساعدك على هذا . وافترقنا .

قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحرَوْن لمحمد ابن أمية في جارية كان يهواها ، وقطع الصوم بينهما ، فقال يخاطب محمد بن عثمان ابن خُرَيم المرّيّ :

قفا فابكيا إن كنتما تجدانِ كوجدي وإن لم تبكيا فدَعاني
ففي الدّمع ما تُضمر النفس راحةٌ اذا لم أُطق إظهاره بلساني
أَعَضّ بأسراري اذا ما لقيتها فأُبهَتُ مشدوهاً أعضّ بناني
فيابن خُرَيم يا أخي دون إخوتي ومن هو لي مثلي بكل مكان
تأمل أحظِي من خداع وحُبّها سوى خُدَع تُذكي الهوى وأماني
وأصبح شهر الصوم قد حال بيننا فيا ليت شوّالا أتى بزمان

شعر له فيها استحسنه ابن المعتز :

أنشدني جعفر بن قُدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتز قال أنشدني أبو عبد الله الهشاميُّ لمحمد بن أمية ، وفيه غناء لمتيّم ، قال واستحسنه عبد الله :

صوت

عجباً عجبتُ لمذنبٍ متغضّبٍ   لولا قبيحُ فَعاله لم أعجبِ
أخداعُ ، طال على الفراش تقلّبي   واليكِ طول تشوّقي وتطرّبي
لهفي عليكِ وما يردّ تلهفي   قصرت يداي وعزّ وجه المطلب

الغناء لمتيّم ، فيه لحنان : رملٌ عن ابن المعتز ، وخفيف رمل عن الهشامي . وهذا من شِعر محمد فيها بعد أن بيعت . قال : وغنتنا هَزارُ هذا الصوت يومئذ .

حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني شيبة بن هشام قال :

دعانا محمد بن أمية يوماً ووجّه الى جارية كان يحبها فدعاها ، وبعث الى مولاها يُحدِرها[1] مع رسوله ، فأبطأ الرسول حتى انتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال : أخذوا مني الدراهم ثم ردوها عليّ ، ورأيتهم مُختلطين ، ولهم قصة لم يعرّفونيها ، وقالوا : ليست ها هنا فإن عادت بعثنا بها اليكم . فتنغّص عليه يومه وتغيّر وجهه وتجمّل لنا ؛ ثم بكرنا من غد بأجمعنا الى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت ، فوجم طويلاً ، وسار حتى اذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً . فما أنسى حُرقة بكائه وهو ينشدني :

(١) يحدرها : يريد يرسلها :

تخطّى إليّ الدهر من بين من أرى وسوءُ مقادير لهنّ شئونُ
فشتّت شملي دون كلّ أخي هوًى وأقصدني[١] بل كلّهم سيَبين
ومهما تكن من ضحكة بعد فقدها فإني وإن أظهرتُها لحزين
سلامٌ على أيامنا قبل هذه إذِ الدار دارٌ والسرور فنون

قال: ومضتْ على ذلك مدّةٌ. ثم أخبرني أنه اجتاز بها، وهي تنظر من وراء شبّاك، فسلّم عليها فأومأت بالسلام اليه ودخلت، فقال:

تُطالعني على وجل بخداعُ من الشّبّاك التي عُملت حديدا
مطالعتي، قِفي بالله حتى أزوّد مقلتي نظراً جديدا
فقالتْ إن سَها الواشون عنّا رَجونا أن تَعود وأن نعودا

وأنشدني أيضاً في ذلك:

صوت

يا صاحبَ الشّبّاكِ الذي استخفى، مكانك غير خافِ
أفما رأيتَ تلدّدي[٢] بفِناء قصرك واختلافي[٢]
أو ما رحمتَ تخشّعي[٣] وتلفّتي بعد انصرافي

صوت

إنّ الرجال لهم اليك وسيلةٌ إن يأخذوكِ تكحّلي وتخضّبي

(١) أقصدني: طعني ولم يخطئني.

(٢) تلددي: مكثي ووقوفي. واختلافي: ترددي.

(٣) تخشعي: تضرعي.

وأنا امرؤٌ إن يأخذوني عَنوةً أُقرن الى سَير الركاب وأُجنبِ
ويكون مركبكِ القعودُ وحِدجَه[1] وابن النعامة يوم ذلك مركبي

عروضه من الكامل. قال ابن الأعرابي في تفسير قوله :

وابن النعامة يوم ذلك مركبي

ابن النعامة : ظِلّ الإنسان أو الفرس أو غيره. قال جرير :

إذ ظَلّ يحسبُ كلَّ شيءٍ فارساً ويرى نعامة ظِلّه فيحولُ

يعني بنعامة ظلّه جسده. وقال أبو عمرو الشيباني : النعامة ما يلي الأصابع في مقدمِ الرِّجل. يقول : مركبي يومئذٍ رِجلي. وقال الجاحظ : ذكر علماؤنا البصريون : أنّ النعامة اسمُ فرسه. يقول : إني أُشدُّ على ركابي السرج فإذا صار للفرس – وهو الذي يُسمّى النعامة – ظلٌّ وأنا مقرونٌ اليه صار ظله تحتي فكنت راكباً له. وجعل ظلها ها هنا ابنها.

الشعر للحارث بن لوذان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبة. وقال ابن سلّام : لحرز بن لوذان. ومن الناس من ينسب هذا الشعر الى عنترة، وذلك خطأ. وأحد من نسبه اليه اسحاق الموصلي. والغناء لعزة المَيلاء. وأوّل لحنها :

لمن الديار عرفتها بالشُّربُبِ[2] ذهب الذين بها ولمّا تذهبِ

وبعده « إن الرجال ».

---

(١) الحدج : مركب من مراكب النساء نحو الهودج.

(٢) الشربب : واد في ديار بني ربيعة.

وطريقته من خفيف الثقيل الأول بالبنصر من روايتي حمّادٍ وأبن المكي. وفيه للهذيل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي. وفيه لعريب خفيف رمل. وفيه لعزّة المرزوقيّة لحن. وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات. هذا اللحن لريق، سلخت لحن «ومخنث شهد الزفاف وقبله» فجعلته لهذا، وهو لحنٌ محرَّك يشبه صنعة أبن سُرَيج وصنعة حكم في محركاتها، فمن هنا يغلط فيه ويظن أنه قديم الصنعة.

ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء:

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه قال حدّثت عن صالح بن حسان قال:

كان ابن أبي عتيق معجباً بغناء عزة الميلاء كثير الزيارة لها، وكان يختار عليها قوله:

لمن الديار عرفتها بالشُّربُبِ

فسألها يوماً زيارته فأجابته الى ذلك ومضت نحوه، فقال لها بعد أن أستقرّ بها المجلس: يا عزة، أحبُّ أن تغنيني صوتي الذي أنا له عاشق. فغنته هذا الصوت، فطرب كل الطرب وسر غاية السرور.

وكانت له جارية، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعبث بها؛ فأعلمت ابن أبي عتيق بذلك؛ فقال لها: قولي له: وأنا أُحبُّكَ؛ فإذا قال لك: وكيف لي بك؟ فقولي له: مولاي يخرج غداً الى مال له، فإذا خرج أدخلتك المنزل. وجمع أبن أبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته ومعهم عزة الميلاء، وأدخلت الجارية الرجل. وقال لعزة: غني فأعادت الصوت. وخرجت الجارية فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة، فقال لها: تعاليْ. فقالت: الآن آتيك. ثم عادت فدعاها فأعتلّت[1]، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة[2]، فوثب أبن أبي

(١) اعتلت: اعتذرت.

(٢) الحجلة بالتحريك: بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار، وحجلة العروس: بيت يزين بالثياب والأسرّة والستور.

عتيق عليه هو وأصحابُه ، فقال لهم وهو غير مكترث : يا فسأق ما يُجلسكم ها هنا مع هذه المغنية !

فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له : آستر علينا ستر الله تعالى عليك . فقالت له عزّة : يابن الصدّيق[١] ، ما أظرف هذا لولا فسقه ! فاستحيا الرجل فخرج ، وبلغه أن ابن أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به الى السلطان . فأقبل يعبث بها كلما خرجت ، فشكت ذلك الى مولاها ، فقال لها : أو لم يرتدع من العبث بك ! قالت : لا . قال : فهيّئي الرحى وهيئي من الطعام طحين ليلةٍ الى الغداة . فقالت : أفعلُ يا مولاي . فهيّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها : عِديه الليلة فإذا جاء فقولي له : إن وظيفتي الليلة طحن هذا البر كلّه ثم أخرجي من البيت واتركيه . ففعلت ، فلما دخل طحنت الجارية قليلاً ، ثم قالت له : إن كفّتْ الرحى فإن مولاي جاء إليّ أو بعض من وكله بي ، فاطحن حتى تأمن أن يجيئنا أحدٌ ، ثم أصير الى قضاء حاجتك .

ففعل الفتى ومضتْ الجارية الى مولاها وتركته . وقد أمر ابن أبي عتيق عِدّة من مولياته أن يتراوحن[٢] على سهر ليلتهنّ ويتفقّدن أمر الطحين ويحثثن الفتى عليه كلما أمسك ؛ ففعلن وجعلن ينادينه كلما كفّ : يا فلانة إن مولاك مستيقظ ؛ والساعة يعلم أنك كففتِ عن الطحن ، فيقوم اليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفّت عن الطحن . فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك الكلام يجتهد في العمل والجارية تتعهد وتقول : قد استيقظ مولاي . والساعة ينام فأصير الى ما تحب . فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح . فلما فرغ وعلمت الجارية أتته فقالت : قد أصبحت فانج بنفسك . فقال : أوقد فعلتها يا عدوّة

---

(١) تريد ابن أبي عتيق وهو عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر .

(٢) يتراوحن : يتناوبن .

الله ! فخرج تعباً نصباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألا يعود الى كلامها ، فلم تر منه بعد ذلك شيئاً يُنكر .

صوت

أَجِدَّ اليوم جيرتُك احتمالا وحثَّ حُداتُهم بهم عِجالا
وفي الأظعان آنسة لعوب ترى قتلي بغيرِ دمٍ حلالا [١]

عروضه من الوافر . الشعر للمتوكل الليثي ، والغناء لابن مُحرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن اسحاق . وفيه لابن مِسجح ثاني ثقيل آخرُ بالخنصر في مجرى البنصر عنه . وذكر حبشٌ أن هذا اللحن لابن سريج ، وفيه لإسحاق هزج .

(١) الأظعان : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج .

نسب المتوكل الليثي وأخباره

هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مُسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط أبن يعمر بن عَوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة: بن خُزَيمة أبن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. من شعراء الإسلام، وهو من أهل الكوفة. كان في عصر معاوية وأبنه يزيد، ومدحهما. ويكنى أبا جهمة. وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبيصة بن والق، ويقال عند عكرمة بن رِبعي الذي يقال له الفيّاض، فقدمه الأخطل.

وهذه القصيدة التي أولها الغناء قصيدة هجا بها عِكرمة بن رِبعيّ وخبره معه يذكر بعد.

أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير بن بكّار عن عمه.

تناشد هو والاخطل الشعر:

وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال أخبرني هارون بن مسلم قال حدثني حفص بن عمر العمريّ عن لقيط بن بُكَير المحاربي قال:

قدِم الأخطل الكوفة فنزل على قبيصة بن والق، فقال المتوكل بن عبد الله الليثيّ لرجل من قومه: انطلق بنا الى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره. فأتياه

فقالا : أنشدنا يا أبا مالك . فقال : إني لخاثر[1] يومي هذا . فقال له المتوكل : أنشدنا أيها الرجل ، فوالله لا تُنشدني قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا المتوكل . قال : أنشدني ويحك من شعرك ! فأنشده :

للغانياتِ بذي المجاز[2] رسومُ   فببطن مكة عهدُهن قديمُ
فبِمَنحر البُدنِ المقلّد من منًى   حِلَلٌ تلوح كأنهن نجوم[3]
لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله   عارٌ عليك اذا فعلت عظيم
والهمُّ إن لم تُمضِه لسبيله   داءٌ تضمّنه الضلوع مقيم

غنى في هذه الأبيات سائبُ خاثرٍ من رواية حمادٍ عن أبيه ولم يجنسه .

قال وأنشده أيضاً :

الشعر لبُّ المرء يعرضه   والقولُ مثل مواقع النَّبلِ
منها المقصِّرُ عن رميّته   ونوافذٌ يذهبن بالخَصل[4]

قال وأنشده أيضاً :

إنّا معشرٌ خُلقنا صُدورا   من يسوّي الصدور بالأذنابِ

ما قاله في زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق :

فقال له الأخطل : ويحك يا متوكل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر

---

(١) يقال خثرت نفسه بالفتح : غثت وخبثت وثقلت واختلطت .

(٢) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة ، وماء لهذيل بعرفة .

(٣) الحلل : جمع حلة ، وهي جماعة بيوت القوم . كأنهن نجوم ، أي تبدو بدواً ضئيلاً كما يبدو النجم ، أو هي متفرقة تفرق النجم .

(٤) الخصل : الخطر ، وهو السبق الذي يتراهن عليه .

الناس . قال الطوسي قال الأصمعي : كانت للمتوكل بن عبد الله الكناني امرأة يقال لها رُهيمة – ويقال أميمة – وتُكنى أمّ بكر ، فأقعدت ، فسألته الطلاق ، فقال : ليس هذا حين طلاق . فأبت عليه ، فطلقها ، ثم إنها برئت بعد الطلاق ، فقال في ذلك :

طربتُ وشاقني يا أمّ بكرٍ ... دعاءُ حمامةٍ تدعو حماما
فبتُّ وبات همي لي نجيّاً ... أُعزّي عنكِ قلباً مُستهاما
إذا ذُكِرتْ لقلبك أمُّ بكرٍ ... يبيت كأنما اغتبق المُداما
خَدَلّجة ترِفُّ غُروب فيها ... وتكسو المتن ذا خُصَلٍ سُخاما [1]
أبى قلبي فما يهوى سِواها ... وإن كانت مودّتها غراما [2]
ينام الليلَ كلُّ خليّ همٍّ ... وتأبى العين مني أن تناما
أُراعي التاليات من الثريّا ... ودمعُ العين منحدِرٌ سِجاما
على حين ارعويت وكان رأسي ... كأنّ على مفارقه ثَغاما [3]
سعى الواشون حتى أزعجوها ... ورثّ الحبل فانجذم انجذاما
فلستُ بزائلٍ ما دمت حيّاً ... مُسِرّاً من تذكُّرها هُياما
ترّجيها وقد شحطت نواها ... ومنّتك المُنى عاماً فعاما
خدلّجة لها كفلٌ وثير ... ينوء بها اذا قامت قِياما
مخصّرةٌ ترى في الكشح منها ... على تثقيل أسفلها انهضاما
اذا ابتسمت تلألأ ضوء برق ... تهلّل في الدُّجنّة ثم داما
وإن قامت تأمّل رائياها ... غمامة صيّفٍ [4] ولجت غماما

---

(١) الخدلجة : الممتلئة الذراعين والساقين . وترف : تبرق . وغروب الفم : ماؤه . والخصل : جمع خصلة ، وهي اللفيفة من الشعر . والسخام : اللين الحسن والأسود .

(٢) الغرام : العذاب .

(٣) الثغام كسحاب : نبت ، ويقال أثغم الرأس اذا صار كالثغامة بياضاً .

(٤) الصيّف : المطر الذي يجيء صيفاً .

إذا تمشي تقـول دبيبُ أيمٍ[١] تعرّج ساعـةً ثم أستقاما
وإن جلست فدُميةُ بيتِ عيدٍ تُصان ولا تُرى إلا لمـاما
فلو أشكو الذي أشكو اليها الى حجرٍ لراجعني الكـلاما
أحبُّ دنوّهـا وتحبُّ نأيي وتعتام[٢] التنائيَ لي أعتيـاما
كأني من تذكُّر أم بكرٍ جريح أسنَّـةٍ يشكو كلاما
تساقطُ أنفساً نفسي عليهـا اذا شحطت[٣] وتغتمّ أغتمامـا
غشيتُ لهـا منازل مقفراتٍ عفَتْ إلا الأيْاصِرَ والثمـا[٤]
ونؤياً[٥] قد تهدّم جـانباه ومبناهـا بذي سلم خِياما
صِليـني وأعلمي أني كريمٌ وأنّ حلاوتي خُلطت عُراما[٦]
وأني ذو مُجاحـةٍ صَليبٌ خُلقت لمن يماكسني[٧] لجـاما
فلا وأبيكِ لا أنساكِ حتى تُجاوبَ هامتي في القبر هاما[٨]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أوّل خبر المتوكل يقولها أيضاً في أمرأته هذه ويمدح فيها حَوشبا الشيباني ، ويقول فيها :

إذا وعدتْك معروفاً لوَتْـه وعجّلت التَجرّمَ[٩] والمِطـالاَ

---

(١) الايم : الحية .

(٢) تعتام : تختار .

(٣) شحطت : بعدت .

(٤) الاياصر : جمع أيصر ، وهو وتد الطنب ، أو حبل صغير يشد به أسفل الخباء . والثاما : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حشي وسد به خصاص البيوت .

(٥) النؤي : الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل .

(٦) عراما : شراسة وأذى .

(٧) يماكسني : يشاكسني .

(٨) الهامة : الرأس . والهام : جمع هامة ، وهي طائر يزعمون أنه يخرج من رأس القتيـل فيظل يصيح : اسقوني اسقوني ، حتى يؤخذ بثأره .

(٩) تجرّم عليه : ادعى عليه الجرم .

لهـا بشر نقيّ اللون صافٍ ومتن مُخطٌ[١] فاعتدل اعتدالا
إذا تمشي تأوّد جانباهـا وكاد الخصر ينخزل انخزالا[٢]
تنوء بهـا روادفها اذا ما وِشاحاها[٣] عـلى المتنين جالا
فإن تصبح أميمة قد تولّت وعاد الوصل صرماً واعتلالا
فقد تدنو النوى بعد اغتراب بها وتفرّقُ الحيّ الحِـلالا[٤]
تُعبّسُ لي أميمة بعد أنس فـما أدري أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فرب أخ مصافٍ[٥] رزئتُ وما أحِبُّ به بِدالا
أصرمٌ منكِ هـذا أم دلال فقـد عنّى[٦] الدلال إذاً وطالا
أم استبدلت بي ومللت وصلي فبوحي لي به ودعي المِحالا[٧]
فلا وأبيكِ ما أهوى خليلاً أقاتله عـلى وصلي قتالا
وكم من كاشح يا أمّ بكرٍ من البغضاء يأتكل ائتكالا
لبستُ عـلى قناعٍ من أذاه ولولا الله كنت له نَكالا

ومما يغني به من القصيدة قوله :

صوت

أنا الصقر الذي حُدّثتَ عنـه عِتاق الطير[٨] تندخـل اندخالا

---

(١) يقال : جارية مخطوطة المتن ؛ أي ممدودة .
(٢) تأود : انعطف . وينخزل : ينقطع .
(٣) الوشاح ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها .
(٤) النوى : البعد ، وهي مؤنثة . الحلال : القوم الذين يحلون موضعاً وفيهم كثرة .
(٥) المصافي : المخلص .
(٦) عنّى ، من العناء : وهو التعب والنصب.
(٧) المحال : الكيد والمكر .
(٨) عتاق الطير : جوارحها !

رأيت الغانيات صدفن لما رأين الشيب قد شمل القذالا
فلم يُلووا اذا رحلوا ولكن تولّت بِعيرُهم بهم عِجالا

غنّى فيه عمر الواديُّ خفيف رمل عن الهشامي . وذكر حبش أنّ فيه لابن مُحرز ثاني ثقيل بالوسطى ، وأحسبه مضافاً الى لحنه الذي في أول القصيدة .

وقال الطوسي قال أبو عمرو الشيباني :

هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر :

هجا معن بن حمل بن جعونة بن وهب ، أحد بني لقيط بن يَعمر المتوكل بن عبد الله الليثي ؛ وبلغ ذلك المتوكل ، فترفع عن أن يجيبه ، ومكث معن سنين يهجوه والمتوكل معرض عنه . ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الديل هجاء قَذِعاً استحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية :

خليليَّ عُوجا اليوم وانتظراني فإن الهوى والهمَّ أمُّ أبانِ
هي الشمس يدنو لي قريباً بعيدُها أرى الشمس ما أستطيعها وتراني
نأت بعد قربٍ دارها وتبدّلت بنا بدلا والدهر ذو حدَثان
فهاج الهوى والشوق لي ذكرُ حرّةٍ من المرجحنّات الثقال حَصان [١]

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحرز من كتاب يونس ولم يجنّسه :

سيعلم قومي أنني كنتُ سُورةً من المجد إن داعي المنون دعاني
ألا ربّ مسرورٍ بموتيَ لو أتى وآخرَ لو أنعى له لبكاني
خليليّ ما لام امرأً مثل نفسه اذا هي لامت فاَربعا [٢] ودعاني

(١) مرجحنات : جمع مرجحنة ، وهي المرأة السمينة . حصان : عفيفة .

(٢) اربعا : توقفا وكفا وارفقا .

ندمتُ على شتمي العشيرة بعد ما … تغنّى بها غوري وحنّ يماني
قلبت لهم ظهر المجنّ وليتني … رجعتُ بفضلٍ من يدي ولساني
على أنني لم أرمِ في الشعر مسلماً … ولم أهجُ إلا من روى وهجاني
هُمُ بَطِروا[1] الحلم الذي من سجيّتي … فبدّلت قومي شدّةً بليانِ
ولو شئتمُ أولاد وهبٍ نزعتمُ … ونحن جميعٌ شملنا أخوان
نهيتم أخاكم عن هجائي وقد مضى … له بعد حول كاملٍ سنتان
فلجّ ومنّاه رجالٌ رأيتهم … اذا قارنوني يكرهون قِراني
وكنتُ امرأً يأبى ليَ الضيمَ أنني … صَرومٌ اذا الأمر المهمُّ عناني
وَصولٌ صَرومٌ لا أقول لمدبر … هلمّ اذا ما اغتشّني وَعصاني
خليليّ لو كنت امرأً بيَ سقطةٌ … تضعضعت أو زلّت بيَ القدمان
أعيش على بغي العداة ورغمهم … وآتي الذي أهوى على الشنآن
ولكنني ثَبتُ المريرة حازمٌ … اذا صاح طُلّابي ملأت عِناني
خليليّ كم من كاشح قد رميته … بقافيةٍ مشهورةٍ ورماني
فكان كذات الحيض لم تُبق ماءها … ولم تُنقِ عنها غُسلها لأوان

ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية :

أبا خالدٍ حنّت اليك مطيّتي … على بعد مُنتاب وَهَول جَنان
أبا خالد في الأرض نأيٌ ومَفسح … لذي مِرّة يُرمى به الرّجوان[2]
فكيف ينام الليل حرٌّ عطاؤه … ثلاثٌ لرأس الحول أو مائتان
تناهتْ قَلوصي بعد إسآدي السُّرى … الى ملكٍ جزلِ العطاء هِجان[3]

(١) بطروا : كرهوا .

(٢) الرجا : ناحية كل شيء ، وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها الى أسفلها ، ويرمى به الرجوان ؛ أي استهين به ؛ فكأنه يرمى به هنالك ويطرح في المهالك .

(٣) الإساد : الاسراع في السير . والسرى : السير آخر الليل . والهجان : الرجل الحسيب .

ترى النـاس أفواجاً ينوبون بابه لبكرٍ من الحاجـات أو لعوانِ

فأجابه معن بن حملٍ فقال :

ندِمتَ كذاك العبد يندم بعد ما غُلِبتَ وسار الشعر كلَّ مكانِ
ولاقيت قَرماً[١] في أرومة ماجـدٍ كريماً عـزيزاً دائمَ الخطرانِ
أنا الشاعر المعروف وجهي ونسبتي أعفُّ وتحميني يـدي ولساني
وأغلبُ من هاجيت عفواً وأنتمي الى معشرٍ بيضِ الوجوه حِسانِ
فهات إذاً يابن الأتان كصاحب الـسلوك أبي ، أسيِّـد كمُهانِ !
فهات كزيدٍ أو كسحبان لا تجد لهم كفواً أو يُبعثَ الثقـلانِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا العتبي عن العبـاس بن هشامٍ عن أبيه عن عوانة قال :

أتى المتوكل الليثي عِكرمةَ بن ربعي الذي يقال له الفياض ، فامتدحه فحرمه ، فقيل له : جاءك شاعر العرب فحرمته ! فقال : ما عرفته . فأرسل اليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليَّ سراً .

فبينا المتوكل بالحيرة وقـد رمِد رَمداً شديداً ، فمرّ به قسٌّ منهم فقال : ما لك ؟ قال : رمِدت . قال : أنا أعالجك . قال: فافعل . فذرّه[٢] ، فبينا القس عنده وهو مذرور العين مستلقٍ على ظهره ، يفكر في هجاء عِكرمة – وذلك غير مطَّردٍ له ولا القول في معناه – إذ أتاه غلام له فقال : بالبـاب امرأة تدعوك . فمسح عينيه وخرج اليها ، فسفرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةً حسناً ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت أمية . قال : فمن أنت ؟ فلم تخبره . قال : فما حاجتك ؟ قالت : بلغني أنك شاعر فأحببت أن تنسب بي في شعرك . فقال : أسفري . ففعلت فكرّ

---

(١) القرم من الرجال : السيد المعظم .

(٢) الذرّ : طرح الذرور في العين، وهو الكحل ونحوه .

طرفه في وجهها مُصعِداً ومصوّباً، ثم تلثّمت وولّت عنه، فاطّرد له القول الذي كان استصعب عليه في هجاء عكرمة وافتتحه بالنسيب فقال:

أجِدَّ اليوم جيرتُك احتمالا وحثَّ حُداتُهم بهم الجِمالا
وفي الأظعان آنسةٌ لعوبٌ ترى قتلي بغير دمٍ حلالا
أُميّةُ يوم دَيرِ القسِّ ضنّت علينا أن تنوّلنا نَوالا
أبيني لي فربَّ أخٍ مصافٍ رُزِئت وما أحبّ به بدالا

وقال فيها يهجو عكرمة:

أقلني يابن رِبعيٍّ ثنائي وهبها مدحة ذهبت ضلالا
وهبها مدحة لم تغن شيئاً وقولاً عاد أكثره وَبالا
وجدنا العزّ من أولاد بكرٍ الى الذُّهليْن يرجع والفعالا
أعكرمَ كنتُ كالمبتاع داراً رأى بيع الندامة فاستقالا
بنو شيبان أكرمُ آل بكرٍ وأمتنهم اذا عقدوا حِبالا
رجال أعطيتْ أحلامَ عادٍ اذا نطقوا وأيديَها الطوالا
وتيمُ الله حيٌّ حيُّ صِدقٍ ولكنّ الرحى تعلو الثِّفالا (١)

صوت

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلا بحقلٍ لكم يا عزّ قد رابني حقلا
فيا عزّ إن واشٍ وشى بيَ عندكم فلا تُكرميه أن تقولي له مهلا
كما نحن لو واشٍ وشى بكِ عندنا لقلنا تزحزحْ لا قريباً ولا سهلا
ألم يأن لي يا قلب أن أترك الجهلا وأن يُحدث الشيب الملمُّ ليَ العقلا

(١) الثفال: ما وقيت به الرحى من الارض.

على حين صار الرأس مني كأنما علت فوقه ندّافة العطب الغزلا

عروضه من الطويل . الدّمن : آثار الديار ، واحدتها دمنة . والحقل : الأرض التي يزرع فيها . والعطب هو القطن .

الشعر لكثيّر كلّه إلا البيت الأول فإنه انتحله ، وهو للأفوه الأوديّ . والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي في الثلاثة الأبيات الأول متوالية . وذكر حبش أنه لمعبد . وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق ، وفيه ثقيل أول بالبنصر ؛ ذكر ابن المكي أنه لمعبد ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكيّ .

نسب الافوه الاودى وشىء من أخباره

الأفوه لقب، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف ابن منبِّه بن أود بن الصعب بن سعد العشيرة. وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء؛ وفي ذلك يقول الأفوه:

أبي فارسُ الشوهاء[1] عمرو بن مالكٍ ... غداة الوغى إذ مال بالجد عاثِر

كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصباح عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال:

كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدُرون عن رأيه. والعرب تعدّه من حكمائها. وتعدّ داليّته:

معاشر ما بنوا مجداً لقومهمُ ... وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها. فأمّا البيت الذي أخذه كثيّر من شعر الأفوه وأضافه الى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنفاً فإنه من قصيدة يقول فيها:

نُقاتل أقواماً فنسبي نساءهم ... ولم يرَ ذو عزٍ لنسوتنا حِجلا[2]

نقود ونأبى أن نُقاد ولا نرى ... لقومٍ علينا في مُكارمةٍ فضلا

وإنّا بطاء المشي عند نسائنا ... كما قيِّدت بالصيف نجديّةٌ بُزلا

---

(١) الشوهاء: اسم فرس. والشوهاء: من الخيل الطويلة الرائعة.

(٢) الحجل، بالكسر: الخلخال.

نظل غيارى عند كل ستيرة ٍ نُقلِّب جيداً واضحاً وشوًى عبلا [١]
وإنا لنعطي المال دون دمائنا ونأبى فما نستام دون دم ٍ عقلا [٢]

قال أبو عمرو الشيباني : قال الأفوه الأوديّ هذه الأبيات يفخر بها على قوم ٍ من بني عامر ، كانت بينه وبينهم دماء ، فأدرك بثأره وزاد ، وأعطاهم دِيات مَن قتِل فضلاً على قتلى قومه ، فقبلوه وصالحوه .

وقال أبو عمرو : أغارت بنو أود – وقد جمعها الأفوه – على بني عامر ، فمرض الأفوه مرضاً شديداً ، فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه ، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضارع [٣] ، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب . فلما التقوا عرف بعضهم بعضاً ، فقال لهم بنو عامر : ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم . فقالت بنو أود – وقد أصابوا منهم رجلين – : لا والله حتى نأخذ بطائلتنا [٤] . فقام أخو المقتول ، وهو رجل من بني كعب بن أود فقال : يا بني أود ، والله لتأخذنّ بطائلتي أو لأنتحينّ على سيفي . فاقتتلت أودو بنو عامر ، فظفرت أود وأصابت مغنماً كثيراً . فقال الأفوه في ذلك :

صوت

ألا يا لهف لو شهدتْ قناتي قبائل عامر ٍ يوم الصبيب ِ
غداة تجمعت كعبٌ الينا حلائبَ بين أفناء الحروب [٥]

(١) الستيرة : المرأة المستورة . الشوى : اليدان . العبل : الممتلىء التام الخلق .
(٢) العقل : الدية .
(٣) تضارع : موضع بالحجاز .
(٤) الطائلة : الثأر والوتر .
(٥) الحلائب : الجماعات ، والافناء : الاخلاط .

فلمّا أن رأونا في وَغاها ... كآساد الغريفة والحجيبِ[1]
تداعوا ثم مالوا عن ذراها ... كفعل الخامعات[2] من الوجيب
وطاروا كالنعام ببطن قَوٍّ ... مُواءلة[3] على حذر الرقيب

صوت

كأن لم تريْ قبلي أسيراً مكبَّلاً ... ولا رجلاً يرمى به الرَّجوانِ
كأني جوادٌ ضمه القيد بعدما ... جرى سابقاً في حلبةٍ ورهان

الشعر لرجل من لصوص بني تميم يعرف بأبي النَّشناش، والغناء لاَبن جامع ثاني ثقيلٍ بالبنصر من روايتَي علي بن يحيى والهشامي.

* * *

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد ابن حبيب قال:

كان أبو النشناش من ملاص[4] بني تميم، وكان يعترض القوافل في شُذَّاذٍ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة، ثم أمكنه الهربُ في وقت غِرّة فهرب، فمر بغرابٍ على بانةٍ ينتف ريشه وينعب، فجزع من ذلك. ثم مر بحيّ من لِهبٍ فقال لهم: رجل كان في بلاء

---

(١) الغريفة: الاجمة. والحجيب: موضع.

(٢) الخامعات: الضباع؛ سميت بذلك لانها تعرج بمشيها، وهي موصوفة بالحمق والجبن. والوجيب: الخوف.

(٣) بطن قوّ: موضع. المواءلة: طلب النجاة.

(٤) ملاص: جمع ملصة وهو اسم جمع لص.

وشرّ وحبس وضيق فنجا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بانٍ ينتف ريشه وينعب . فقال له اللهبيّ : إن صدقت الطير يُعاد الى حبسه وقيده ، ويطول ذلك به ، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

وسائلةٍ أين ٱرتحالي وسائلٍ ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبُهْ !
مذاهبه أنّ الفجاج عريضةٌ ... اذا ضنّ عنه بالنوال أقاربه
إذا المرء لم يسرح سَواما ولم يُرح ... سَواما ولم يبسط له الوجه صاحبه
فللموت خيرٌ للفتى من قعوده ... عديماً ومن مولًى تُعاف مشاربه
ودَوّيّةٍ[1] قفرٍ يحارُ بها القطا ... سرَت بأبي النشناش فيها ركائبه
ليدرك ثأراً أو ليكسب مغنماً ... ألا إنّ هذا الدهر تترى عجائبه
فلم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فعش مُعذِراً[2] أو مت كريماً فإنني ... أرى الموت لا يبقي على من يطالبه

صوت

أصادرةٌ حُجّاج كعبٍ ومالكٍ ... على كل فتلاء الذراعين محنقِ
أقام قناة الودّ بيني وبينه ... وفارقني عن شيمة لم تُرَنّق

عروضه من الطويل . الصادر : المنصرف ، وهو ضدّ الوارد ، وأصله من ورود الماء والصَّدَر عنه ، ثم يقال لكل مقبلٍ الى موضع ومنصرفٍ عنه . وكعب : من خزاعة . ومالك : يعني مالك بن النضر بن كنانة . وكان كثير ينتمي وينمي

(١) الدوية : المفازة .

(٢) المعذر : الذي له عذر .

خزاعة اليهم . ومحنق : ضامرة . والشيمة : الخلق والطبيعة . وترنّق : تكدر . والرَنق : الكدر .

الشعر لكثيّر عزّة يرثي خندقاً الأسديّ ، والغناء للهذليّ ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر من رواية اسحاق ، وفي الثاني من البيتين ثم الأوّل لسياط رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشامي وعمرو . وفيهما لمعبد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنسه . وفي رواية حماد عن أبيه أنّ لحن الهذلي من الثقيل الأول ، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثاني لمعبد . وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه ثقيل أوّل أو ثاني ثقيل .

خبر كثير وخندق الاسدى

الذي من أجله قال هذا الشعر

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن حبيب . وأخبرني وكيع قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن ابن داحة ، قالوا :

كان خندق بن مرة الأسدي – هكذا قال النوفلي. وغيره يقول : خندق ابن بدر – صديقاً لكثيّر ، وكانا يقولان بالرجعة، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع . فقال خندق : لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وظلم الناس لهم وغصبهم إياهم على حقهم ، ودعوت اليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر . فضمن كثيّر عياله ، فقام ففعل ذلك وسبّ أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما .

قال عمر بن شبة في خبره فقال : أيها الناس إنكم على غير حق ، قد تركتم أهل بيت نبيكم ، والحقّ لهم وهم الأئمة – ولم يقل إنه سب أحداً – فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه . ودفن خندق بقَنَونى[1] . فقال إذ ذاك كثيّر يرثيه :

أصادرة حُجَّاج كعبٍ ومالكٍ على كل عجلى[2] ضامر البطن مُحنِقِ

(١) قنونى : واد من أودية السراة يصب الى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة .

(٢) عجلى : مسرعة .

بمرثيةٍ فيها ثناء مُحبَّرُ لأزهر من أولاد مرة مُعرقِ
كأنَّ أخاه في النوائب مُلجأ الى علمٍ من ركن قُدسَ المنطَّق[١]
ينال رجالًا نفعه وهو منهم بعيدٌ كعيُّوق[٢] الثرّيا المعلّق
تقول أبنة الضَّمري مالك شاحباً ولونك مصفرٌ وإن لم تخلّق[٣]
فقلت لها لا تعجبي ، من يمتْ له أخٌ كأبي بدرٍ وَجدِك يُشفق[٤]
وأمرٍ يُهِمُّ الناس غِبٌّ نِتاجه كفَيتَ وكربٍ بالدواهي مطرّق[٥]
كشفت أبا بدرٍ إذا القوم أحجموا وعضت ملاقي أمرهم بالمخنّق[٦]
وخصمٍ أبا بدر ألدَّ أبتَّه[٧] على مثل طعم الحنظل المتفلق
جزى الله خيراً خندقاً من مكافئٍ وصاحب صدقٍ ذي حفاظٍ ومَصدق
أقام قناة الودّ بيني وبينه وفارقني عن شيمةٍ لم تُرنّق
حلفت—على أن قد أجنّتك حفرةٌ ببطن قنونى — لو نعيش فنلتقي
لألفيتني بالوُدّ بعدك دائماً على عهدنا إذ نحن لم نتفرّق
إذا ما غدا يهتز للمجد والندى أشمَّ كغصن البانة المتورّق
وإني لجازٍ بالذي كان بيننا بني أسدٍ رهط أبن مرّة خندق

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبَّة :

إن كثيّر لما أنتمى الى قريش وجرى بينه وبين الحزين الدّيلي من المواثبة

---

(١) قدس : جبل عظيم بنجد . والمنطق المرتفع .

(٢) العيوق : نجم أحمر مضيء في أطراف المجرة الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

(٣) تخلّق: تطيب بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لان أكثر أجزائه من الزعفران .

(٤) يشفق : يجزع .

(٥) مطرق : من قولهم طرقت القطاة : حان خروج بيضها .

(٦) المخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

(٧) أبته : الفعل أصله أبات ثم أسند إلى تاء المخاطب ، يقال : أباتك الله إباتة حسنة .

والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطُّفَيل بن عامر بن واثلة وهو بالكوفة ، فأنكر أمر كثيّر وانتسابه الى كنانة وتصييره خُزاعة منهم ، وما فعله الحزين . فحلف لئن رأى كثيّراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح ، فكلمه فيه خندق الأسدي — وكان صديقاً له ولكثيّر — فوهبه له ، واجتمعا بمكة فجلسا مع ابن الحنفية . فقال طفيل : لولا خندق لوفيت لك بيميني . فقال يرثيه ، وعنه كان أخذ مقالته :

وناَل رجالاً نفعه وهو منهم بعيدٌ كعيُّوق الثريا المعلقِ

وذكر باقي الأبيات .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل قال حدثني حُميد بن عبد الرحمن أحد بني عِتوارة بن جُديّ قال :

كان كثيّر قد سلّطه الله يَنسب بعزّة بنت عبد الله ، أحدِ بني حاجب بن عبد الله بن غِفار . قال : وكان نسوانهم قد لقينها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء ، في عام أصابت أهل تهامة فيه حطمةٌ شديدةٌ ، وكانت عزّة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قطُّ ، إلا أنه استهيم بها قلبه لِما ذُكر له عنها . فلقيه رجال من الحي لما بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : إنك قد شهرت نفسك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال : فإني لا أذكرها بما تكرهون .

فخرجوا جالين الى مصر في أعوام الجلاء . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى إلّا أن يلحقهم بنفسه ، فجلس له فتيةٌ من جُديّ ، قال : وكان بنو ضَمرة كلهم يهون عليهم نسيبه لما يعرفون من براءتها ، إلا ما كان من بني جُديّ فإنهم كانوا صُمماً غُيُراً[١] . فقعد له عون ، أحد بني جدي في تسعة نفر على محالج[٢] ، فلما جاز بهم

(١) صمم : ذو حزم . غير : جمع غيور .

(٢) المحالج : جمع محلج كمنبر ، وهو الخفيف من الحمر .

تحت الليــل أخذوه، ثم عدلوا به عن الطريق الى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار، فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه، ثم أوثقوا بطن الحمار، فجعل يضطرب فيه ويستغيث، ومضوا عنه، فاجتاز به خندق الأسدي، فسمع استغاثته – وهو خندق بن بدر – فعدل الى الصوت حين سمعه، فوجد في الجيفة إنساناً، فسأله مَن هو وما خبره؟ فأخبره. فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده. فقال كثيّر في ذلــك – قال الزبير أنشدنيها عُمر بن أبي بكر المؤمّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة معمر بن المثنى –

أصادرةٌ حُجّاج كعبٍ ومالكٍ ... على كل فتلاء الذراعين مُحنقِ

وذكر القصيدة كلّها على ما مضتْ.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن أبي عبيدة قال :

خندقُ الأسدي هو الذي أدخل كثيّراً في مذهب الخشبيّة[1].

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن حبيب قال :

لما قتل خندقُ الأسدي بعرفة رثاه كثيّر فقال :

شجا أظعانُ غاضرة الغوادي ... بغير مَشورةٍ عَرَضاً فؤادي
أغاضِر لو شهدتِ غداة بنتم ... جنوء العائداتِ على وِسادي
أويتِ لعــاشقٍ لم تشكُميه ... نوافــذه[2] تَلَذّع بالزّناد
ويوم الخيل قد سفرت وكفّت ... رِداءَ العصب عن رَتل بُراد[3]

---

(١) الخشبية : قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم، وإن القرآن مخلوق.

(٢) أويت : رثيت وأشفقت . ولم تشكميه : لم تجازيه . النوافذ : الفم وثقبا الاذنين والانف .

(٣) البراد : البارد . وفي ف : «رداء العضب» .

– الرَتِل : الثغر المستوي النبت –

وعن نجلاء تدمع في بياضٍ اذا دمعت وتنظر في سوادِ
وعن متكاوسٍ في العقص جثلٍ أثيثِ النبتِ ذي غُدَرٍ جعاد[1]
وغاضرة الغداة وإن نأتنا وأصبح دونها قُطر البلاد
أحبُّ ظعينةٍ وبناتُ نفسي اليها لو بللن بها صوادي
ومن دون الذي أملت وُدّاً ولو طالبتُها خَرْطُ القتاد
وقال الناصحون تحلَّ منها ببذل قبل شيمتها الجماد

– تحلّ : أصِب . يقال : ما حليت من فلان بشيء ولا تحلّيت منه بشيء ، ومنه حُلوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك –

فقد وعدَتك لو أقبلتَ وُدّاً فلجَّ بك التدلُّل في تعادِ[2]
فأسررتَ الندامة يوم نادى بردّ جمال غاضرة المُنادي
تمادى البعدُ دونهم فأمستْ دموعُ العين لجَّ بها التمادي
لقد مُنع الرقاد فبتُّ ليلي تجافيني الهمومُ عن الوساد
عداني أن أزورك غيرَ بغضٍ مُقامُك بين مُصفحةٍ[3] شداد
وإني قائل إن لم أزره سقت ديمُ السواري والغوادي
محلَّ أخي بني أسدٍ قنونى فما والى الى برك الغماد[4]

---

(١) المتكاوس : المتراكب . والجثل : الشعر الكثير . والاثيث : الكثير العظيم . والغدرة : الناصية ؛ وقيل : الخصلة من الشعر .

(٢) التعادي : التباعد .

(٣) المصفحة : العريضة ، ويريد حجارة القبر .

(٤) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر .

مقيم بالمجازة(١) من قنونى وأهلك بالأُجيفر والثاد(٢)
فلا تبعَد فكل فتىً سيأتي عليه الموتُ يطرق أو يغادي
وكلُّ ذخيرةٍ لا بدّ يوماً ولو بقيتْ تصير الى نَفاد
يعزُّ عليّ أن نغدو جميعاً وتصبح ثاوياً رَهناً بواد
فلو فُوديتَ من حدَث المنايا وقيتُك بالطَّريف وبالتِّلاد

في هذه القصيدة عدّة أصوات هذه نِسبتها قد جُمعت .

صوت

أغاضرَ لو شهدتِ غداةَ بنتم حُنوَّ العائدات على وِسادي
رثيتِ لعاشقٍ لم تشكُميه نوافذه تلذَّع بالزِّناد
عداني أن أزورك غير بغضٍ مقامك بين مُصفحةٍ شِداد
فلا تبعَد فكل فتىً سيأتي عليه الموتُ يطرق أو يُغادي

لمعبد في البيتين الأولين لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ . وفيها لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي وأحمد ابن عبيد . وفيها للغريض ثاني ثقيل عن ابن المكيّ . ومن الناس من ينسب لحن مالكٍ الى معبد أيضاً . وفي الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن اسحاق وعمرو وغيرهما . ويقال : إن لابن سريج وابن محرزٍ وابن جامعٍ فيها ألحاناً .

غاضرة هذه التي ذكرها كثيّر مولاة لآل مروان بن الحكم ، وقد رُوي في ذكره إياها غير خبرٍ مختلف .

(١) المجازة : منزل من منازل طريق البصرة .

(٢) الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس . والثاد : موضع في ديار بني تميم .

فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال :

حجّت أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لكثيّر ووضّاح : أنسبا بي. فأمّا وضّاح فنسب بها ، وأما كثيّر فنسب بجاريتها غاضرة حيث يقول :

شجا أظعـان غاضرة الغوادي بغـير مشورة عرضاً فؤادي

قال : وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتل وضّاحاً ولم يجد على كثيّر سبيلاً

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهريّ عن مُحرز بن جعفر عن أبيه عن بُديح قال :

قدمتْ أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان — وهي عند الوليد بن عبد الملك — حاجّة ، والوليد إذ ذاك خليفة . فأرسلت الى كثيّر ووضّاح أن أنسبا بي . فنسب وضّاح بها ونسب كثيّر بجاريتها غاضرة في شعره الذي يقول فيه :

شجا أظعان غاضرة الغوادي

قال : وكان معها جوارٍ قد فتنّ الناس بالوضاءة .

قال بُديح : فلقيت عُبيد الله بن قيس الرقيّات فقلت له : بمن نسبتَ من هذا القطين[1] ؟ فقال لي :

ما تصنـع بالشرّ اذا لم تـك مجنونا
إذا قاسيت ثِقل الشـرّ حسأك الأمرّينا[2]
وقد هجتَ بما قد قلـت أمراً كان مدفونا

(١) القطين : الحشم والإماء .

(٢) الامرين ؛ بكسر الراء مشدّدة : الشر والأمر العظيم . حساه سقاه إياه .

قال بديح : ثم أخذ بيدي فخلا بي وقال لي : يا بديح ، احفظ عني ما أقول لك فإنك موضع أمانة ؛ وأنشدني :

أصحوتَ عن أمّ البنيــن وذِكرها وعنائها
وهجرتها هجر امرئٍ لم يَقلِ حمل إخائها
من خيفة الأعداء أن يُوهوا أديم صفائها
قرشيّة كالشمس أشـرق نورها ببهائها
زادت على البيض الحسا ن بحسنها ونقائها
لما اسبكرّت[1] للشبا ب وقُنِّعت بردائها
لم تلتفت للداتها ومضت على غُلوائها

غنّى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأُوَل لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي عن يحيى المكي . وفي الرابع وما بعده لحنين لحنان : أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر ، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن ابنه وغيره . وغنى ابراهيم الموصلي في الأربعة الأُوَل لحناً آخر من الثقيل الاول وهو اللحن الذي فيه استهلال . وذكر الهشامي أن الثقيل الثاني لابن مُحرز .

قال : فقتل الوليد وضّاحاً ولم يجد على كثيّر سبيلاً . قال : وحجّت بعد ذلك وقد تقدّم الوليد اليها والى من معها في الحجاب ؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجت ولم تكلّم أحداً ولم يرها ، فقال لي : يا بديح :

صوت

بان الخليطُ الذي بـه نثِقُ وأشتد دون المليحـة القلقُ

(١) اسبكرّت : استقامت واعتدلت .

من دون صفراء في مفاصلها لينٌ وفي بعض بطشها خُرُقُ
إن ختمت جاز طين خاتمها كما تجوز العبدّية العتُق (١)

غنّى في هذه الأبيات مالك بن أبي السَّمح لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، عن عمرو ويونس. وفيها لابن مسجح - ويقال لابن محرز، وهو مما يشبه غناءهما جميعاً وينسب اليهما - خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر. والصحيح أنه لابن مسجح. وفيها ثاني ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكي. وذكر حبش أن لسياطٍ فيها لحناً ماخورياً بالوسطى. وفي هذه الأبيات زيادة يُغنّى فيها ولم يذكرها الزبير في خبره، وهي :

إني لأخلي لها الفراش اذا قَصَّع (٢) في حضن زوجه الحمقُ
عن غير بغضٍ لها لديّ ولكن تلك مِنّي سجيّة خُلق

قال الزبير : أراد بقوله في هذه الأبيات :

إن ختمت جاز طينُ خاتمها

أنها كانت عند سلطان جائز الأمر. والعبدية هي الدنانير، نسبها الى عبد الملك. ثم وصل ابن قيس الرقيات هذه الأبيات - يعني الهائية - بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال :

صوت

اسمع أمير المؤمنين لمدحتي وثَنائها
أنت ابن عائشة التي فضلت أرُومَ (٣) نسائها

---

(١) العتق : جمع عتيق، وهي كل نفيس قديم.
(٢) قصّع : لزم البيت ولم يبرحه.
(٣) الاروم : جمع أرومة، وهي الاصل

متعطّف الأعياص[1] حو ل سريرها وفنائها
ولدت أغرّ مُباركاً كالبدر وسط سمائها

غنّاه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنّسه . وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيّات في عبد الملك لا الوليد .

أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن المدائني : أن عبد الملك لما وهب لابن جعفر جُرمَ عبيد الله بن قيس الرقيات وآمنه ، ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه ، قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول :

اسمع أمير المؤمنين لمدحتي وثنائها
أنتَ ابن مُعتلج البطا ح كُدَيِّها وكدائها[2]
ولبَطن عائشة التي فضلت أروم نسائها

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك : قل « ولنسل عائشة » . قال : لا بل « ولبطن عائشة » . حتى ردّ ذلك عليه ثلاث مرّات وهو يأبى إلّا « ولبطن عائشة » . فقال له عبد الملك : استحنفر[3] الآن . قال : وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس . هذه رواية الزبير ابن بكّار .

وقد حدثنا به في خبر كثيّر مع غاضرة هذه بغير هذا محمد بن العبّاس اليزيديّ . قال : حدثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي .

(١) الاعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر ، وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص .

(٢) كدي وكداء : موضعان بمكة . وقيل : جبلان .

(٣) استحنفر : الرجل في منطقه : مضى فيه ولم يتمكث .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبي عبد الرحمن الأنصاري عن السائب بن حكيم السدوسيّ راوية كثيّر قال :

والله إني لأسير يوماً مع كثيّر ، حتى اذا كنا ببطن جِدار (جبل من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رحالةٍ[1] متنقّبة ، معها عبيد لها يسعون معها ، فمرّت جنابي فسلّمت ثم قالت : ممن الرجل؟ قلت : من أهل الحجاز . قالت : فهل تروي لكثيّر شيئاً؟ قلت : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إليّ من أن أرى كثيّراً وأسمع شعره ، فهل تروي قصيدته :

أهاجك برقٌ آخِرَ الليل واصِبُ

قلت : نعم : فأنشدتها إياها الى آخرها . قالت : فهل تروي قوله :

كأنك لم تسمع ولم ترَ قبلها تَفرّقَ أُلاف لهـنّ حنينُ

قلت : نعم وأنشدتها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً :

لعزة من أيام ذي الغصن شاقني

قلت : نعم وأنشدتها الى آخرها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً :

أأطلالَ سُعدى باللوى تتعهّدُ

قلت : نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله :

فلم أرَ مثل العين ضَنّت بمائها عليّ ولا مثلي على الدمع يحسدُ

قالت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثيّر أحــدٌ على الأرض . والله لأن أكون رأيت كثيّراً ، أو سمعت منه شعره أحبّ إليّ من مائة ألف درهم . قال :

(١) الرحالة : مركب من جلود لا خشب فيه .

فقلت : هو ذاك الراكبُ أمامك ، وأنا السائب راويته . قالت : حياك الله تعالى . ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت : أنت كثيّر ؟ قال : مالكِ ويلك ! فقالت : أنت الذي تقول :

إذا حُسِرتْ عنه العمامة راعها جميل المحيَّا أغفلتـه الدواهن

والله ما رأيت عربياً قطّ أقبح ولا أحقر ولا ألأم منك . قال : أنتِ والله أقبح مني وألأم . قالت له : أوَلست القائل :

تراهنّ إلا أن يؤدّين نظرةً بمؤخر عـينٍ أو يُقلّبن معصما
كواظم ما ينطقن إلا مَحورةً[1] رجيعةَ قولٍ بعد أن يُتفَهّما
يحاذرن مني غَيرةً قد عرفنها قديماً فما يضحكن إلا تبسُّما

لعن الله من يفرق[2] منك . قال : بل لعنك الله . قالت : أوَلست الذي تقول :

إذا ضَمريّةٌ عطست فنِكها فإنّ عُطاسها طرَف الوِداقِ[3]

قال : من أنتِ ؟ قالت : لا يضرّك أن لم تعرفني ولا من أنا . قال : والله إني لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرة . قالت : حيّاك الله يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إليّ وجهاً ولا لقاء منك . قال : لا حياكِ الله ، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منكِ . قالت : أتعرفني ؟ قال : أعرف أنك لئيمة من اللئام . فتعرّفت اليه فإذا هي غاضرة أمّ ولدٍ لبشر بن مروان . قال : وسايرها

(١) المحورة : الجواب ، يريد أنهن لا ينطقن إلا بعد أن يسألن .

(٢) يفرق : يخاف .

(٣) الوداق في كل ذات حافر : الغلمة .

حتى سندنا[١] في الجبل من قِبَل زرود[٢] . فقالت له يا أبا صخر ، أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدِمتَ عليه . قال : أفي سبِّك إياي أو سبّي إياكِ تضمنين لي هذا ؟ والله لا أخرج الى العراق على هذه الحال ! فلما قامت تودّعه سفرت ، فإذا هي أحسن من رأيتُ من أهل الدنيا وجهاً . فأمرت له بعشرة آلاف درهم ، فبعد شدّ ما قبلها وأمرت لي بخمسة آلاف درهم . فلمّا ولّوا قال : يا سائب أين نُعنّي أنفسنا الى عِكرمة ، انطلق بنا نأكل هذه حتى يأتينا الموت . قال : وذلك قوله لمّا فارقتنا :

شجا أظعــان غاضرة الغوادي بغــير مشيئةٍ عرضاً فؤادي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا ، وخالف المعاني .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدثني سليمان ابن عيّاشٍ السعدي قال :

كان كثيّر يلقى حاجّ المدينة من قريش بقُديد[٣] في كل سنة ، فغفل عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قُدَيداً حتى ارتفع النهار ، ثم ركب جملاً ثقالاً[٤] واستقبل الشمس في يوم صائف ، فجاء قديداً وقد كلّ وتعب ، فوجدهم قد راحوا . وتخلّف فتى من قريش معه راحلته حتى يُبرِد[٥] . قال الفتى القرشي : فجلس كثيّر الى جنبي ولم يسلّم عليّ ، فجاءت امرأة وسيمة جميلة ، فجلست الى خيمة من

---

(١) سندنا : علونا .

(٢) زرود : اسم جبل .

(٣) قديد : اسم موضع قرب مكة .

(٤) ثقالا : بطيئاً .

(٥) أبرد : دخل في آخر النهار .

خيام قُديد وٱستقبلت كثيّراً فقالت : أأنت كثيّر ؟ قال : نعم : قالت ابن أبي جمعة ؟ قال : نعم . قالت : الذي يقول :

لعزّة أطلالٌ أبت أن تكلّما

قال : نعم . قالت : وأنت الذي تقول فيها :

وكنتُ اذا ما جئتُ أجللن مجلسي　　وأظهرن منّي هَيبةً لا تجهّما

فقال : نعم . قالت : أعلى هذا الوجه هيبة ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكه والناس أجمعين . فضجر وقال : من أنت ؟ فلم تجبه بشيء ، فسأل المولَيات اللواتي في الخباء بقديد عنها ، فلم يخبرنه شيئاً ، فضجر وٱختلط . فلما سكن من شأوه[١] قالت : أأنت الذي تقول :

متى تحسروا عني العمامة تُبصروا　　جميل المحيّا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جميل المحيّا ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فٱختلط وقال : والله ما عرفتكِ ، ولو عرفتك لفعلتُ وفعلت . فسكتت ، فلما سكنِ من شأوه قالت : أأنت الذي تقول :

يروق العيون الناظرات كأنه　　هِرقليُّ وزنٍ أحمر التبر راجحُ[٢]

أهذا الوجه يروق العيون الناظرات ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين . فٱزداد ضجراً وغيظاً وٱختلاطاً وقال لها : قد عرفتك والله لأقطعنَّك وقومك بالهجاء . ثم قام فٱلتفتُّ في أثره ، ثم رجعت طرفي نحو

---

(١) الشأو : الحزن ؛ يقال : شأه ؛ أي حزنه .

(٢) الهرقلي : الدينار ؛ نسبة الى هرقل ملك الروم ، وهو أوّل من ضرب الدنانير . والراجح : الموزون .

المرأة فإذا هي قد ذهبت ، فقلت لمولاة من مولياتها بقديد : لكِ الله عليّ إن أخبرتني مَن هذه المرأة لأطوينّ لكِ ثوبيّ هذين اذا قضيتُ حجّي ثم أعطيكِها : فقالت : والله لو أعطيتني زِنَتها ذهباً ما أخبرتك مَن هي ؛ هـذا كثيّر وهو مولاي قد سألني عنها فلم أخبره . قال الفتى القرشي : فرُحت والله وبي أشدّ مما بكثيّر .

قال سليمان : وكان كثيّر دميماً قليلاً[1] أحمر أقيشر[2] عظيم الهامة قبيحاً .

نسبة ما في هذه الاخبار من الشعر الذي يغنى به

صوت

منها :

أشاقك برقٌ آخرَ الليل واصِبُ   تضمّنه فرْش الَجبا[3] فالمساربُ
كما أومضتْ بالعين ثم تبسّمت   خريع[4] بدا منها جبينٌ وحاجب
وَهبتُ لليلى ماءه ونباتـه   كما كلُّ ذي وُدّ لمن ودّ واهب

عروضه من الطويل . الواصب : الدائم ، يقال وصب يصب وصوباً أي دام . قال الله سبحانه : (وله الدين واصباً) أي دائماً .

(١) القليل من الرجال : القصير الدقيق الجثة .

(٢) الاقيشر : مصغر الاقشر ، وهو الشديد الحمرة .

(٣) فرش الجبا : موضع بالحجاز .

(٤) الخريع : المرأة الحسناء .

ومنها :

صوت

لعزّة من أيّام ذي الغصن شاقني بضاحي قَرار الرّوضتين رسومُ
هي الدار وحشاً غير أن قد يحلّها ويَغنى بها شخصٌ عليّ كريم
فما برسوم الدّار لو كنتَ عالماً ولا بالتِّلاع المُقويات أهيم
سألت حكيماً أين شطّت بها النوى فخبّرني ما لا أحبُّ حكيم
أجدّوا فأمّا آلُ عزّة غُدوة فبانوا وأمّا واسط[1] فمقيم
لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقماً إنّي إذاً لسقيم

حكيمٌ هذا هو أبو السائب بن حكيم راوية كثير . ذكر ذلك لنا اليزيدي عن ابن حبيب .

في هذه الأبيات لمعبد لحنان ، أحدهما في الثلاثة الأول خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي وابن المكي وحبش . وفي الثلاثة الأخر التي أولها :

سألت حكيماً أين شطّت بها النوى

له أيضاً ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس وحبش . وذكر حبشٌ خاصةً أن فيها لكردم خفيف ثقيل آخر ، وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رمل عن الهشامي . وقال أحمد بن عبيد : فيه ثلاثة ألحان : ثقيل أوّل وخفيفه ، وخفيف رمل .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني المؤمّلي أن ابن أبي عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثيّر :

---

(١) واسط : موضع أسفل من جمرة العقبة .

لعزّة من أيام ذي الغصن شاقني بضاحي قَرار الروضتين رسومُ

يتحازن حتى تقول: إنّه يبكي.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عمي عن الضحّاك بن عثمان قال: قال عروة بن أذينة: كان الحزين الكناني الشاعر صديقاً لأبي، وكان عشيراً له على النبيذ، فكان كثيراً ما يأتيه، وكانت بالمدينة قينةٌ يهواها الحزين ويُكثر غِشيانها، فبيعت وأخرجت عن المدينة، فأتى الحزين أبي: وهو كئيب حزين كاسمه، فقال له أبي: يا أبا حكيمٍ ما لك؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيّر:

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بَغى سقماً إني إذاً لسقيمُ
سألت حكيماً أين شطَّت بها النوى فخبّرني ما لا أحبُّ حكيم

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا.

قصيدة كثير في عزة لما أخرجت الى مصر:

وهذه القصيدة يقولها كثيّر في عزّة لما أُخرجت الى مصر، وذلك قوله فيها:

ولست براء نحو مصرَ سحابةً وإن بعدَت إلّا قعدتُ أشيمُ[١]
فقد يوجد النكس الدنيّ عن الهوى عَزوفاً ويصبو المرء وهو كريم
وقال خليلي ما لها إذ لقيتها غداة الشّبا[٢] فيها عليك وجوم
فقلت له إن المودّة بيننا على غير فُحشٍ والصفاء قديم
وإني وان أعرضتُ عنها تجلُّداً على العهد فيما بيننا لمقيم

(١) أشيم: أنظر اليها.

(٢) الشبا: واد بالاثيل من أعراض المدينة.

وإن زماناً فرّق الدهر بيننا وبينكم في صرفه لمشومُ
أفي الحقّ هذا أنّ قلبكِ سالمٌ صحيحٌ وقلبي في هواكِ سقيم
وأنّ بجسمي منكِ داءً مخامراً وجسمك موفورٌ عليك سليم
لعمركِ ما أنصفتني في مودّتي ولكنني يا عزّ عنك حليم
فإمّا تريني اليوم أبدي جلادةً فإني لعمري تحت ذاك كليم
ولستُ ابنة الضَّمريِّ منك بناقمٍ ذُنوبَ العدا إني اذا لظلوم
وإني لذو وجدٍ اذا عاد وصلها وإني على ربي اذا لكريم

ومنها :

صوت

لعزّة أطلالٌ أبت أن تكلّما تهيج مغانيها الفؤاد المتيّما
وكنت اذا ما جئتُ أجللنَ مجلسي وأظهرن منّي هيبةً لا تجهُّما
يُحاذرن منّي غَيرةً قد عرفنها قديماً فما يضحكن إلّا تبسُّما

عروضه من الطويل . غنّى فيه مالك بن أبي السمح لحنين عن يونس ، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن اسحاق ، وغيره ينسبه الى معبد . والآخر ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبشٍ ، وفيه لابن مُحرز خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي . وغيره يقول : إنه لحن مالك . وفيه لابن سُريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشامي وعلي بن يحيى .

وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني من أثق به عن مسرور الخادم :

أن الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى لم يُطلع عليه أحداً بتّةً . ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له : اذهب فتشاغل اليوم بمن تأنس

به واصطبح فإني مصطبح مع الحُرَم. فمضى جعفر، وفعل الرشيد ذلك. ولم يزل برّ الرشيد وألطافه[1] وتحفه وتحياته تتابع اليه لئلا يستوحش. فلما كان في الليل دعاني فقال لي: اذهب فجئني الساعة برأس جعفر بن يحيى، وضمّ إليّ جماعةً من الغلمان، فمضيت حتى هجمتُ عليه منزله. وإذا أبو زكّار الأعمى يغنّيه بقوله:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي ... عليه الموت يطرقُ أو يغادي

فقلت له: في هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجب. فوثب وقال: ما الخبر يا أبا هاشم جعلني الله فداءك! قلت: قد أُمرتُ بأخذ رأسك. فأكبّ على رجلي فقبّلها وقال: الله الله، راجع أمير المؤمنين فيّ. فقلت: ما لي الى ذلك سبيل. قال: فأعهد؟ قلت: ذاك لك. فذهب يدخل الى النساء فمنعته، وقلت: اعهد في موضعك. فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دَهَش، ثم قال لي: يا أبا هاشم بقيت واحدة. قلت: هاتها. قال: خذني معك الى أمير المؤمنين حتى أخاطبه. قلت: ما لي الى ذلك سبيل. قال: ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ. فقلت: هيهات ما شرب اليوم شيئاً. قال: فخذني واحبسني عندك في الدار، وعاوِده في أمري. قلت: أفعل. فأخذته، فقال لي أبو زكّار الأعمى: نشدتك الله إن قتلته إلّا ألحقتني به. قلت له: يا هذا لقد اخترت غير مختار. قال: وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه، وأغناني عمن سواه، فما أحب الحياة بعده. فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكّلت به، ودخلت الى الرشيد، فلما رآني قال: أين رأسه ويلك؟ فأخبرته بالخبر. فقال: يابن الفاعلة، والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذنّ رأسك! فمضيت اليه، فأخذت رأسه ووضعته بين يديه. ثم أخبرته

---

(١) اللطف، بالتحريك: واحد الالطاف، وهو الهدية.

خبره، وذكرت له خبر أبي زكّار الأعمى، فلما كان بعد مدة أمرني باحضاره، فأحضرته، فوصله وبرّه وأمر بالجراية عليه.

* * *

صوت

شعر في خولة غنى فيه :

قِفا في دار خولة فاسألاها   تَقادم عهدُها وهجرتُماها
بمحلالٍ يفوح المسك منه   اذا هبّت بأبطحه صَباها[1]
أترعى حيث شاءت من حمانا   وتمنعنا فلا نرعى حِماها

عروضه من الوافر. الشعر لرجل من فزارة. والغناء ذكر حمادٌ عن أبيه أنه لمعبد، وذكر عنه في موضع آخر أنه لابن مِسجح. وطريقته من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى.

نسب منظور بن زبان :

وهذا الشعر يقوله الفزاري في خولة بنت منظور بن زبان بن سيّار بن عمرو ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُميّ بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وكان منظور بن زبّان سيّد قومه غير مدافع، أمه قِهطم بنت هاشم بن حَرمَلة — وقد ولدت أيضاً زهير بن جذيمة — فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه. وهو أحد من طال حملُ أمه به.

(١) المحلال. الارض السهلة المخصبة. والابطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

سبب تسميته منظوراً :

قال الزبير بن بكار فيا أجاز لنا الحرميّ بن أبي العلاء والطوسي روايته عنهما مما حدّثا به عنه حدثتني مُغيرة بنتُ أبي عديّ . قال الزبير وقد حدثني هذا الحديث أيضاً ابراهيم بن زيادٍ عن محمد بن طلحة ، وحدثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة عن يحيي بن الحسن العلويّ عن الزبير قالا جميعاً :

حملت قِهطم بنت هاشمٍ بمنظور بن زبّان أربع سنين ، فولدته وقد جمع فاه فسماه أبوه منظوراً لذلك – يعني لطول ما انتظره – وقال فيه على ما رواه محمد ابن طلحة :

ما جئتَ حتى قيل ليس بواردٍ فسميتَ منظوراً وجئتَ على قدرِ
وإني لأرجو أن تكون كهاشمٍ وإني لأرجو أن تسود بني بدر

تزوج مليكة زوج أبيه :

ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن الكلبي وابن عيّاشٍ ، وذكر بعضه الزبير بن بكّار عن عمه عن مجالد :

أن منظور بن زبان تزوّج امرأة أبيه – وهي مُليكة بنت سِنان بن أبي حارثة المرّي – فولدت له هاشماً وعبد الجبّار وخولة ، ولم تزل معه الى خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . وكان يشرب الخمر أيضاً ، فرُفع أمره الى عمر ، فأحضره وسأله عما قيل ، فاعترف به وقال : ما علمت أنها حرام . فحبسه الى وقت صلاة العصر ، ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله جلّ وعزّ حرّم ما فعله . فحلف – فيا ذكر – أربعين يميناً . فخلى سبيله ، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنك حلفتَ لضربت عنقك .

قال ابن الكلبي في خبره : إن عمر قال له أتنكحُ امرأة أبيك وهي أمك ؟ أوَ ما علمتَ أن هذا نكاح المقتِ[1] ! وفرّق بينهما . فتزوّجها محمد بن طلحة .

قال ابن الكلبي في خبره :

فلما طلّقها أسف عليها وقال فيها :

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر — إذا مُنعتْ مني مُليكة والخمرُ
فإن تكُ قد أمستْ بعيداً مَزارُها — فحيّ ٱبنة المرّيّ ما طلع الفجر
لعمريَ ما كانت مُليكة سَوءةً — ولا ضُمَّ في بيتٍ على مِثلها سِتر

وقال أيضاً :

لعمرُ أبي ، دِينٌ يفرّق بيننا — وبينـك قسراً إنه لعظيمُ

وقال حُجرُ بن معاوية بن عُيَينة بن حِصن بن حُذيفة لمنظور :

لبئس ما خلف الآباء بعـدهمُ — في الأمهات عجانُ[2] الكلب منظورُ
قد كنتَ تغمزها والشيخ حاضرُها — فالآن أنت بطول الغمز معذور

قال أبو الفرج الأصفهاني : أخطأ ابن الكلبي في هذا . وإنما طلحة بن عبيد الله الذي تزوّجها ؛ فأما محمد فإنه تزوج خولة بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرج ، ثم قُتل عنها يوم الجمل ، فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام . وكان ابراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحُسين بن علي بعض ما كان بينهم وبين بني الحسن من مال علي عليه السلام ، فقال الحُسيني لأمير المدينة : هذا الظالم الضالع الظالع[3] — يعني ابراهيم —

(١) نكاح المقت : هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده .

(٢) العجان : الاست .

(٣) الضالع : الجائر ، والظالع : المتهم .

فقال له ابراهيم : والله إني لأبغضك . فقال له الحسيني : صادق ، والله يحب الصادقين ، وما يمنعك من ذلك وقد قتل أبي أباك وجدّك ، وناك عمي أمك ؟ – لا يَكني – فأمر بهما فأُقيما من بين يدي الأمير .

لقي مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها .

رجع الخبر الى رواية ابن الكلبي قال : فلمّا فرّق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوّجت رآها منظورٌ يوماً وهي تمشي في الطريق – وكانت جميلة رائعة الحسن – فقال : يا مُليكة ، لعن الله ديناً فرّق بيني وبينك ! فلم تكلمه وجازت ، وجاز بعدها زوجها ، فقال له منظور : كيف رأيت أثر أيري في حِرِ مُليكة ؟ قال : كما رأيتَ أثر أيرِ أبيك فيه ، فأفحمه . وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه، فهرب منه .

وقال الزبير في حديثه : فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولة بنت منظور فولدت له ابراهيم وداود وأم القاسم بني محمد بن طلحة ، ثم قتل عنها يوم الجمل ، فخلف عليها الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما .

قال الزبير : وقال محمد بن الضحاك الحزاميّ عن أبيه :

تزوج الحسن عليه السلام خولة بنت منظور ، زوّجه إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختها تحته .

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيي بن الحسن قال حدثني موسى ابن عبيد الله بن الحسن قال :

جعلت خولة أمرَها الى الحسن عليه السلام فتزوجها ، فبلغ ذلك منظور بن زبّان فقال : أمثلي يُفتات عليه في ابنته ! فقدم المدينة ، فركز راية سوداء في

مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فلم يبق قيسي بالمدينة إلا دخل تحتها ، فقيل لمنظور بن زبّان : أين يُذهَب بك ! تزوّجها الحسن بن علي عليه السلام وليس مثله أحد . فلم يقبل . وبلغ الحسن عليه السلام ما فعل ، فقال له : ها ، شأنك بها . فأخذها وخرج بها . فلما كان بقباء جعلت خولة تندّمه وتقول : الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة . فقال : تلبّثي ها هنا ، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا ها هنا . قال : فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عبّاس ، فتزوّجها الحسن ، ورجع بها . قال الزبير : في ذلك يقول جبير العبسي :

إن الندى من بني ذبيان قد علموا ... والجود في آل منظور بن سيّار
الماطرين بأيديهم ندى ديماً ... وكلّ غيثٍ من الوسميّ[1] مدرار
تزور جاراتهم وهناً[2] فواضلهم ... وما فتاهم لها سرّاً بزوّار
ترضى قريشٌ بهم صهراً لأنفسهم ... وهمْ رضاً لبني أختٍ وأصهار

أخبرني اسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثني ابن أبي أيوب عن ابن عائشة المغنّي عن معبد :

أن خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن علي عليهما السلام ، فلما أسنّت مات عنها أو طلّقها ، فكشفت قناعها وبرزت للرجال . قال معبد : فأتيتها ذات يوم أطالبها بحاجةٍ ، فغنّيتها لحني في شعرٍ قاله فيها بعض بني فزارة ، وكان خطبها فلم يُنكحها أبوها :

قفا في دار خولة فاسألاها ... تقادم عهدها وهجرتُماها
بمحلالٍ كأن المسك فيه ... اذا فاحت بأبطحه صَباها
كأنك مُزنةٌ برقت بليلٍ ... لحرّانٍ يُضيء له سَناها

(١) الوسميّ : مطر الربيع الاول.

(٢) الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه ، والفواضل : الايدي الجسيمة .

فلم تُمطر عليه وجاوزته | وقد أشفى عليها أو رجاها
وما يملا فؤادي فاعلميه | سلوُ النفس عنكِ ولا غِناها
وترعى حيث شاءت من حِمانا | وتمنعنا فلا نرعى حِماها

قال : فطربت العجوز لذلك ، وقالت : يا عبد بن قطن ، أنا والله يومئذٍ أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة(١) .

صوت

لله در عِصابةٍ صاحبتُهم | يومَ الرُّصافة مثلهم لم يوجدِ
متقلّدين صَفائحاً هِندية | يتركن مَن ضربوا كأن لم يولد
وغدا الرجال الثائرون كأنما | أبصارهم قِطَع الحديد الموقَد

عروضه من الكامل . الشعر للجحّاف السُّلمي الموقع ببني تغلب في يوم البشر . والغناء للأبجر ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها عن اسحاق .

(١) القرة : الباردة .

خبر الجحاف ونسبه وقصته يوم البشر

هو الجحّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خُزاعي بن مُحاربي بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بُهثة بن سُليم بن منصور .

وكان السبب في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعليّ بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيبٍ عن ابن الأعرابي ، وأخبرنا ابراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيبُ بنُ نصرٍ المهلّبي قالا حدثنا عمر بن شبَّة ، وقد جمعتُ رواياتهم . وأكثر اللفظ في الخبر لابن حبيب :

أن عُميرَ بن الُحباب لما قتلته بنو تغلب بالحشَّاك – وهو الى جانب الثرثار ، وهو قريبٌ من تكريت – أتى تميم بن الُحباب أخوه زُفَر بن الحارث فأخبره بمقتل عمير ، وسأله الطلب له بثأره ، فكره ذلك زُفر ، فسار تميم بن الُحباب بمن تبعه من قيس ، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العقيلي . فلما توجهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم ؛ فقال : أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ؛ فقال : أمهلوني ألقَ الشيخ . فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفَر ؛ فقال : ما صنعت ! والله لئن ظُفر بهذه العصابة إنه لعارٌ عليك ، ولئن ظفروا إنه لأشدّ ؛ قال زفَر : فأحبس عليّ القوم ؛ وقام زفر في أصحابه ، فحرّضهم ، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوساً ، وسار حتى انتهى الى الثرثار فدفنوا أصحابهم ، ثم وجّه زفر بن الحرث يزيد بن حُمران في خيل ، فأساء الى بني فَدَوكس من تغلب ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق في ذلك الجوّ غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها . وبعث الهذيل الى بني كعب بن زهير

فقتل فيهم قتلاً ذريعاً . وبعث مُسلم بن ربيعة الى ناحية أخرى فأسرع في القتل .

وبلغ ذلك بني تغلب واليمن ، فارتحلوا يريدون عبور دجلة ، فلحقهم زفَر بالكَحيل – وهو نهرٌ أسفل الموصل مع المغرب – فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وترجّل أصحاب زفَر أجمعون ، وبقي زفر على بغل له ، فقتلوهم من ليلتهم ، وبقروا ما وجدوا من النساء . وذكر أن من غرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف ، وأنّ الدم كان في دجلة قريباً من رمية سهم . فلم يزالوا يقتلون مَن وجدوا حتى أصبحوا ؛ فذكر أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بُحّةٌ ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتل ، فتذامروا(١) وقالوا : لئن قتل شيخنا لما صنعنا شيئاً ، فأتبعوه فإذا هو في دجلة يصيح بالناس – وتغلب قد رمت بأنفسها تعبر في الماء – فخرج من الماء وأقام في موضعه . فهذه الوقعةُ الحرجيَّة لأنهم أحرِجوا فألقوا أنفسهم في الماء .

ثم وجّه يزيد بن حُمران وتميم بن الحباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه ، وأمرهم ألّا يلقوا أحداً إلا قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم ، وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبل الشمال في جماعة من أصحابه ، حتى أتى رأس الأثيل ، ولم يُخلِ بالكَحيل أحداً – والكحيل على عشرة فراسخ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب – فصعد قبل رأس الأثيل ، فوجد به عسكراً من اليمن وتغلب ، فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلب وصبرت اليمن . وهذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهرير . في ذلك يقول زفَر بنُ الحارث ، وقد ذكر أنها لغيره :

ولمّا أن نعى الناعي عُميراً حسبتُ سماءهم دهيت بليلِ

(١) تذامروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .

دهيت بليل ، أي أظلمت نهاراً كأن ليلاً دهاها

وكان النجمُ يطلع في قَتامٍ[١] وخاف الذلَّ من يمن سُهيل
وكنت قبيلَها يا أمَّ عمرٍو أرَجل لِمَّتي[٢] وأجرُّ ذيلي
فلو نُبش المقابر عن عمير فيخبرَ من بلاء أبي الهذيل
غداةَ يقارعُ الأبطال حتى جرى منهم دماً مَرجَ[٣] الكُحَيل
قبيلٌ ينهدون[٤] الى قبيلٍ تساقى الموت كيلاً بعد كيل

وفي ذلك يقول جرير يعيّر الأخطل :

أنسيتَ يومك بالجزيرة بعدما كانت عواقبه عليك وبالا !
حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلها شُعثاً عوابسَ تحمل الأبطالا
مازلت تحسبُ كلَّ شيء بعدهم خيلاً تكرُّ عليكم ورجالا
زفرُ الرئيس أبو الهذيل أبادكم فسبى النساء وأحرز الأموالا

فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين ، وقتل عبد الله بن الزبير هدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ، وتكافأت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة ، وظنّ كلُّ واحد من الفريقين أنّ عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يحكم الصلح فيه ؛ فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله :

(١) القتام : الغبار . وفي البيت إقواء .

(٢) اللمّة : الشعر المجاوز شحمة الاذن .

(٣) المرج : الفضاء أو أرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب .

(٤) ينهدون : ينهضون .

ألا سائــل الجحّاف هل هو ثائرٌ بقتلى أصيبت مِن سُلَيم وعامرِ !
أجحافُ إن نهبطْ عليــك فتلتقي عليك بحورٌ طاميــات الزواخر
تـكن مثل أبداء الحباب الذي جرى به البحر تزهاهُ(١) رياح الصراصر

فوثب الجحاف يجرّ مُطرفه وما يعلم من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلّا قد كسبتَ قومكَ شرّاً . فافتعل الجحاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلب ، وصحبه من قومه نحوٌ من ألف فارسٍ ، فثار بهم حتى بلغ الرُّصافة — قال : وبينها وبين شط الفرات ليلةٌ ، وهي في قبلة الفرات — ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شعر الأخطل ، وقال لهم : إنما هي النار أو العار ، فمن صبر فليقدِم ومن كره فليرجع ، قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبةٌ ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحن معك فيما كنت فيه من خيرٍ وشرٍّ .

فارتحلوا فطرقوا صُهَينَ بعد روْبة(٢) من الليل — وهي في قبلة الرصافة وبينهما ميل — ثم صبّحوا عاجنــة الرّحوب في قبلة صُهَين والبشر — وهو وادٍ لبني تغلب — فأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوهم ، وبقروا من النساء من كانت حاملاً ، ومن كانت غير حامل قتلوها . فقال عمرو بن شبّة في خبره : سمعت أبي يقول : صعد الجحاف الجبل — فهو يوم البشر ، ويقال له أيضاً يوم عاجنة الرّحوب ، ويومُ مُخاشن ، وهو جبلٌ الى جنب البشر ، وهو مرج السَّلوَطح لأنه بالرحوب — وقتل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أبو غِياثٍ ، ففي ذلك يقول جرير له :

شربتَ الخمر بعد أبي غِياثٍ فلا نعمت لك النّشوات بالَا

قال عمرو بن شبّة في خبره خاصّةً :

---

(١) زهت الريح الشجر تزهاه : هزته وحركته .

(٢) روْبة : قطعة ، وأصلها القطعة تسد بها ثلمة الاناء .

ووقع الأخطل في أيديهم ، وعليه عباءة دنسة ، فسألوه فذكر أنه عبدٌ من عبيدهم ، فأطلقوه ؛ فقال ابن صفّار في ذلك :

لم تنج إلا بالتعبُّد نفسه لمّا تيقن أنهم قومٌ عِدا

وتشابهت بُرق(١) العباء عليهمُ فنجا ولو عرفوا عباءته هوى

وجعل ينادي : من كانت حاملًا فإليّ ، فصعدن اليه ، فجعل يبقر بطونهنّ . ثم إن الجحاف هرب بعد فعله ، وفرّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحق الجحاف عبيدة بن همامٍ التغلبيّ دون الدّرب ، فكرّ عليه الجحاف فهزمه ، وهزم أصحابه وقتلهم ، ومكث زمناً في الروم ، وقال في ذلك :

فإن تطردوني تطردوني وقد مضى من الوِرد يومٌ في دماء الأراقمِ(٢)

لدن ذرّ قرن الشمس حتى تلبَّستْ ظلاماً بركض المُقربات الصلادم(٣)

حتى سكن غضب عبد الملك ، وكلّمته القيسية في أن يؤمنه ، فلانَ وتلكأ ، فقيل له : إنا والله لا نأمنه على المسلمين إن طال مُقامُه بالروم ؛ فأمّنه ، فأقبل فلما قدِم على عبد الملك لقيه الأخطل فقال له الجحاف :

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتني على القتل(٤) أم هل لامني لك لائمي

أبا مالكٍ إني أطعتك في التي حضضتَ عليها فعلَ حرّان حازم

---

(١) الأبرق : كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض ، وهي برقاء والجمع برق .

(٢) الأراقم : حي من تغلب وهم جشم ، أو هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية ، سموا كذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات .

(٣) المقربات من الخيل : التي ضمرت للركوب فهي قريبة معدّة . والصلادم : جمع صلدم ، كزبرج وهو الفرس الصلب الشديد .

(٤) في معجم البلدان «على الثأر» .

فإن تدعُني أخرى أجبك بمثلها وإني لطبٌّ[١] بالوغى جِدُّ عالمِ

قال ابن حبيب :

فزعموا أن الأخطل قال له : أراك والله شيخ سوء . وقال فيه جرير :

فإنك والجحاف يوم تحضُّه أردتَ بذاك المُكثَ والوِردُ أعجلُ
بكى دَوبلٌ لا يُرقِئُ الله دمعه ألا إنما يبكي من الذُّلِّ دوبل[٢]
وما زالت القتلى تمورُ دماؤهم بدجلة حتى ماء دجلة أشكل[٣]

فقال الأخطل : ما لجرير لعنه الله ! والله ما سمَّتني أمي دَوبلاً إلّا وأنا صبيٌّ صغير ثم ذهب ذلك عني لما كبرت. وقال الأخطل :

لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والمُعوَّلُ
فسائل بني مروان ما بالُ ذمّةٍ وحبلٍ ضعيفٍ لا يزال يُوَصَّل
فإلّا تغيّرها قريش بملكها يكن عن قريشٍ مستمادٌ ومَزحَل[٤]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا : فإلى أين يابن النصرانية ؟ قال : إلى النار قال : أولى لك لو قلت غيرها ! قال : ورأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمر ، فأمر الوليد بن عبد الملك ، تحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمن الجحّاف قتلى البشر ، وألزمه إياها عقوبةً له ، فأدّى الوليد الحمالات ، ولم يكن عند الجحاف ما حُمِّل ، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حُمِّل

---

(١) الطب : الخبير الحاذق .

(٢) الدوبل : الخنزير او ولده ، ورقأ الدمع : جف وسكن .

(٣) مار الدم : جرى ، والاشكل : ما فيه بياض يضرب الى الحمرة والكدرة .

(٤) بملكها ، أي بقدرتها ، والمستراد في الاصل : المرعى ، من استرادت الدابة : رعت ، ومزحل : مبعد، من زحل عن مكانه زال وتنحّى .

لأنه من هوازن، فسأل الإذن على الحجاج، فمنعه، فلقي أسماء بن خارجة، فعصب حاجته به فقال: إني لا أقدرُ لك على منفعةٍ، قد علم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك؛ فقال: لا والله لا ألزمها غيرك أنجحت أو أكدت[1].

فلما بلغ ذلك الحجاج قال: ما له عندي شيء، فأبلغه ذلك؛ قال: وما عليك أن تكون أنت الذي تؤنسه فإنه قد أبى، فأذن له فلما رآه قال: أعهدتني خائناً لا أبا لك! قال: أنت سيد هوازن، وقد بدأنا بك، وأنت أمير العراقين[2]، وابن عظيم القريتين[3]، وعمالتك في كل سنة خمسمائة ألف درهم، وما بك بعدها حاجة الى خيانةٍ؛ فقال: أشهد أن الله تعالى وفّقك، وأنك نظرت بنور الله، فإذا صدقت فلك نصفها العام، فأعطاه وأدّوا البقية. قال: ثم تألّه[4] الجحاف بعد ذلك، واستأذن فى الحج، فأذن له، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه، قد لبسوا الصوف وأحرموا، وأبرَوا أنوفهم، أي خزموها وجعلوا فيها البرى[5]، ومشوا الى مكة فلما قدِموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون اليهم ويعجبون منهم.

قال: وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أراك تفعل! فقال له ابن عمر: يا هذا، لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول؛ قال: فأنا الجحاف، فسكت. وسمعه محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقول ذلك؛ فقال: يا عبد الله، قنوطُك من عفو الله أعظم من ذنبك!

---

(١) أكدى: أصله من أكدى الحافر: اذا حفر فبلغ الكدية وهي الصخرة فانقطع عن الحفر.

(٢) العراقان: الكوفة والبصرة.

(٣) القريتان: مكة والطائف.

(٤) تأله: تعبد وتنسك.

(٥) البرى: جمع برة، وهي الحلقة في أنف البعير.

قال عمر بن شبّة في خبره : كان مولد الجحاف بالبصرة .

قال عبد الله بن اسحاق النحويُّ : كان الجحاف معي في الكتّاب ، قال أبو زيد في خبره أيضاً : ولمّا آمنه عبد الملك دخل عليه في جُبّـة صوف ، فلبث قائماً ، فقال له عبد الملك : أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وخِبْرتك ، فأنشده قوله :

صبرتْ سليمٌ للطعان وعامرٌ   وإذا جزعنا لم نجد من يصبرُ

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبت ، ما أكثر من يصبر ! ثم أنشده :

نحن الذين إذا علوْا لم يفخروا   يوم اللقا وإذا عُلوا لم يضجروا

فقال عبد الملك : صدقت ، حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة .

حُدِّثتُ عن الدمشقي عن الزبير بن بكار ، وأخبرني وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكارٍ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز بن مروان :

أنه حضر الجحاف عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطـل حاضرٌ في مجلسه ينشد :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائرٌ   بقتلى أصيبت من سليم وعامرِ

قال : فتقبّض وجهه في وجه الأخطل . ثم إن الأخطل لمّا قال له ذلك قال له :

نعم سوف نبكيهم بكل مُهنّدٍ   ونبكي عميراً بالرماح الخواطرِ [١]

---

(١) خطر الرمح : اهتز فهو خاطر والجمع خواطر .

ثم قال : ظننتُ أنك يابن النصرانية لم تكن تجترئ عليّ ولو رأيتني لك مأسوراً، وأوعده ، فما برح الأخطل حتى حُمَّ ، فقال له عبد الملك : أنا جارك منه ؛ قال : هذا أجرتني منه يقظان ، فمن يجيرني منه نائماً ؟ قال : فجعل عبد الملك يضحك . قال : فأما قول الأخطل :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائرٌ   بقتلى أصيبت من سُلَيم وعامرِ

فإنه يعني اليوم الذي قتلت فيه بنو تغلب عمير بن الحُباب السلمي .

وكان السببُ في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضل :

أن قيساً وتغلب تحاشدوا لِما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهطٍ ، فكانوا يتغاورون[1] . وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتوباذ وما حوله، وجلبت اليها طوائف تغلب وجميع بطونها ، إلا أن بكر بن جُشَم لم تجتمع أحلافهم من النَّمر بن قاسط . فحشدت بكر فلم يأت الجمع منهم على قدر عددهم . وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيسٍ وقضاعة وأخلاط مضر ، ففارقتهم قضاعة قبل حرب تغلب ، وأرسلت تغلب الى مهاجريها وهم بأذربيجان، فأتاهم شعيبُ بن مُلَيل في ألفي فارس . واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد ؛ فقال :

أيا أخوَينا من تميم هديتما   ومن أسدٍ هل تسمعان المناديا
ألم تعلما مُذ جاء بكر بن وائل   وتغلب ألفافاً تهزّ العواليا
الى قومكم قد تعلمون مكانهم   وهم قرب أدنى حاضرين وباديا

وكان من حضر ذلك من وجوه بكر بن وائلٍ المجشّر بن الحارث بن عامر بن

(١) يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .

مرّة بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان من سادات شيبان بالجزيرة فأتاهم في جمع كثيرٍ من بني أبي ربيعة . وفي ذلك يقول تميم بن الحباب بعد يوم الحشاك .

فإن تحتجز بالماء بكر بن وائلٍ بني عمنا فالدهر ذو متغيّرِ
فسوف نخيض(١) الماء أو سوف نلتقي فنقتصّ من أبناء عم المجشّر

وأتاهم زمام بن مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مرّة في جمع كبيرٍ فشهدوا يوم الثرثار ، فقتل . وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيد الله بن زياد بن ظَبيان ، ورهصة بن النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد ابن همّام ، فلذلك تحامل المصعب بن الزبير على أبان بن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله . وفي هذا السبب كانت فُرقة عبيد الله لمصعبٍ ، وجمعت تغلب فأكثرت ، فلما أتى عميراً كثرة من أتى من بني تغلب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم :

أناديهم وقد خذلت كلاب وحولي من ربيعة كالجبالِ
أقاتلهم بحيّ بني سُليمٍ ويعصر كالمصاعيب النهال(٢)
فدًى لفوارس الثرثار قومي وما جَمَعْتُ من أهلي ومالي
فإمّا أمسِ قد حانت وفاتي فقد فارقت أعصر غير قال
أبعدَ فوارس الثرثار أرجو ثَراء المال أو عدد الرجال!

ثم زحف العسكران ، فأتت قيسٌ وتغلب الثرثار ، بين رأس الأثيل والكحيل ، فشاهدوا القتال يوم الخميس . وكان شعيب بن مُليلٍ وثعلبة بن نياطٍ التغلبيان

---

(١) أخاضه في الماء : جعله يخوضه .

(٢) يعصر أو أعصر : قبيلة من قيس عيلان . وجمال مصاعب ومصاعيب : جمع مصعب (كمكرم) : وهو الفحل الذي يترك من الركوب والعمل للفحلة ، ونهل البعير كفرح : شرب حتى روي ، وعطش : ضدّ ، فهو ناهل وجمعه نهال ، كنائم ونيام ، ونهلان جمع نهال أيضاً كعطشان وعطاش .

قدما في ألفي فارس في الحديد ، فعبروا على قرية يقال لها لبّى على شاطئ دجلة بين تكريت وبين الموصل ، ثم توجهوا الى الثرثار ، فنظر شعيبٌ الى دواخن[١] قيس ، فقال لثعلبة بن نياط : سِر بنا اليهم ، فقال له : الرأي أن نسير الى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحداً ، فقال شعيبٌ : والله لا تحدَّث تغلب أني نظرت الى دواخنهم ثم انصرفت عنهم ، فأرسل ناساً من أصحابه قُدّامــه وعميرٌ يقاتل بني تغلب . وذلــك يوم الحَشيس ، وعلى تغلب حنظلة بن هَوبر ، أحد بني كنانة ابن تيم .

فجاء رجلٌ من أصحاب عمير اليه فأخبره أن طلائع شعيب قد أتته ، وأنه قد عدل اليه ، فقال عميرٌ لأصحابه : اكفوني قتال ابن هوبر ، ومضى هو في جماعة من أصحابه ، فأخذ الذين قدمهم شعيبٌ ، فقتلهم كلهم غير رجل من بني كعب بن زهير يقال له : قتبُ بن عبيد ، فقال عميرٌ : يا قتب ، أخبرني ما وراءك ؟ قال : قد أتاك شعيب بن مليل في أصحابه . وفارق ثعلبة بن نياط شعيباً ، فمضى الى حنظلة بن هوبر ، فقاتل معه القيسيَّة ، فقتل ، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فما صُلّيت العصر حتى قتل شعيب وأصحابه أجمعون ، وقطعت رجل شعيب يومئذٍ ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول :

قد علمت قيسٌ ونحن نعلم أن الفتى يفتك وهو أجذمُ[٢]

فلما قتل شعيب نزل أصحابه ، فعقروا دوابّهم ، ثم قاتلوا حتى قتلوا ، فلما رآه عمير قتيلًا قال : من سرّه أن ينظر الى الأسد عقيراً فها هو ذا . وجعلت تغلب يومئذ ترتجز وتقاتل وهي تقول :

---

(١) الدواخن : جمع داخنة ، وهي المدخنة .

(٢) أجذم : أقطع .

إنعوا إياساً واندبوا مُجاشعاً كلاهما كان كَرِيّاً فاجعا
وَيهِ بني تغلب ضرباً ناقعاً[1]

وانصرف عميرٌ الى عسكره، وأبلغ بني تغلب مقتل شعيبٍ، فحميتْ على القتال وتذامرت على الصبر، فقال محصنُ بن حصين بن جنجور أحد الأبناء: مضيت أنا ومن أفلتَ من أصحاب شعيب بعد العصر، فأتينا راهباً في صومعته، فسألنا عن حالنا، فأخبرناه، فأمر تلميذاً له، فجاءه بخِرَق فداوى جراحنا، وذلك غداة يوم الجمعة. فلما كان آخر ذلك اليوم أتانا خبر مقتل عمير وأصحابه، وهرب من أفلت منهم.

صوت

إنَّ جنبي على الفراش لنابٍ كتجافي الأَسرِّ فوق الظِّرابِ
من حديثٍ نمى إليَّ فما أطـعم غُمضاً ولا أسيغ شرابي
لشُرَحبيـل إذ تعاوره الأر ماح في حـال شدَّة وشباب
فارس يطعن الكماة جريء تحته قارحٌ[2] كلون الغراب

عروضه من الخفيف. الأَسرّ: البعير الذي يكون به السَّرَر، وهي قرحةٌ تخرج في كِرْكِرته، لا يقـدر أن يَبرك إلا على موضع مُستوٍ من الأرض، والظراب: النشوزُ والجبال الصغار، واحدها ظربٌ. والشعر لغلفاء، وهو معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرار الكنديّ يرثي أخاه شُرَحبيل قتيل يوم الكلاب الأول، والغناء للغريض ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق ويونس وعمرو.

---

(١) كلمة ويه: إغراء وتحريض كما يقال: دونك يا فلان. ضرباً ناقعا: بالغاً قاتلا.

(٢) القارح: الفرس اذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة.

* * *

وكان السبب في مقتله وقصة يوم الكلاب فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ وعليُّ بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكريُّ قال أخبرنا محمد ابن حبيبٍ عن أبي عبيدة قال أخبرني ابراهيم بن سَعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دماذ عن أبي عبيدة قال :

كان من حديث الكلاب الأول أن قُباذ ملك فارس لمَّا ملك كان ضعيف المُلك ، فوثبت ربيعة على المنذر الأكبر بن ماء السماء – وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشَّقِيقة – فأخرجوه ؛ وإنما سُمي ذا القرنين لأنه كانت له ذُؤابتان ، فخرج هارباً منهم حتى مات في إيادٍ ، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم – وكان أذكى ولده – فانطلقت ربيعة الى كندة ، فجاءوا بالحارث بن عمر بن حُجر آكل المرار ، فملَّكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، فقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق ، وأبى قباذ أن يُمدَّ المنذر بجيشٍ . فلمَّا رأى ذلك المنذر كتب الى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي ، وأنت أحقُّ من ضمني ، وأنا متحوّلٌ اليك ؛ فحوله اليه وزوّجه ابنته هنداً . ففرّق الحارث بنيه في قبائل العرب ، فصار شرحبيل بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أسيد[1] ، وطوائف من بني عمرو بن تميمٍ والرّباب ، وصار معد يكرب ابن الحارث – وهو غلفاء – في قيس ، وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنَّمِر ابن قاسطٍ وسعد بن زيد مَناة .

فلما هلك الحارث تشتَّت أمر بنيه ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم الأمر حتى جمع كلّ واحد منهم

---

(١) حنظلة بن الحارث في بني أسد .

لصاحبه الجموع ؛ فسار شرحبيل ومَن معه من بني تميم والقبائل ، فنزلوا الكلاب — وهو فيا بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة — وأقبل سلمة بن الحارث في تغلب والنمر ومن معه ، وفي الصنائع — وهم الذين يقال لهم بنو رقيّة، وهي أمٌّ لهم ينتسبون اليها ، وكانوا يكونون مع الملوك — يريدون الكلاب . وكان نصحاء شرحبيل وسلمة قد نهوهما عن الحرب والفساد والتحاسد ، وحذّروهما عثرات الحرب وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ولم يبرحا ، وأبيا إلّا التتايُع واللجاجة في أمرهم ، فقال أمرؤ القيس بن حُجر في ذلك :

أنّى عليّ أستتبُّ لومُكما ولم تلوما عَمراً ولا عُصُما
كلّا يمين الإله يجمعنا شيء وأخوالنا بني جُشَما
حتى تزور السباع ملحمةً كأنها من ثمود أو إرَما

وكان أول من ورد الكلاب من جمع سلمة سفيان بن مُجاشع بن دارم ، وكان نازلًا في بني تغلب مع إخوته لأمه ، فقتلت بكر بن وائلٍ بنين له ، فيهم مُرّة ابن سفيان ، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ؛ فقال سفيان وهو يرتجز :

الشيخ شيخٌ ثكلانْ والجوف جوفٌ حرّانْ
والورد وِردٌ عجلان أنعى مُرّةَ بن سُفيان

وفي ذلك يقول الفرزدق :

شيوخٌ منهمُ عُدُسُ بن زيد وسفيانُ الذي ورد الكلابا

وأوّل من ورد الماء من بني تغلب رجلٌ من بني عبد بن جشم يقال له النعمان بن قُرَيع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم ، وعبد يغوث بن دَوس ، وهو عم الأخطل — دوسٌ والفدَوكس أخوان — على فرس له يقال له الحرون ، وبه كان يعرف ثم ورد سلمة ، بني تغلب وسعد وجماعة الناس ، وعلى بني تغلب يومئذ

السفاح – واسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب – وهو يقول :

إن الكلاب ماؤنا نخلّوه   وساجراً[١] والله لن تحلّوهُ

فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، وثبت بعضهم لبعض ؛ حتى اذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرّباب بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب ، وصبر ابنا وائل : بكرٌ وتغلب ليس معهم غيرُهم ، حتى اذا غشيهم الليل نادى مُنادي سلمة : مَن أتى برأس شرحبيل فله مائة من الإبل ، وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم ، ففرّوا عنه ، وعرف مكانه أبو حنش – وهو عُصمُ بن النعمان بن مالك بن غياث بن سعد ابن زهير بن جُشم بن بكر بن حبيبٍ – فصمد نحوه ، فلما انتهى اليه رآه جالساً وطوائف الناس يقاتلون حوله ، فطعنه بالرمح ، ثم نزل اليه فاحتز رأسه وألقاه اليه .

ويقال إن بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرّباب لمّا انهزموا خرج معهم شرحبيل ، فلحقه ذو السنينة – واسمه حبيب بن عُتيبة بن حبيب بن بعج بن عتبة ابن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سنٌّ زائدة – فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على ركبته ، فأطنّ[٢] رجله ، وكان ذو السنينة أخا أبي حنشٍ لأمه ، أمُّهما سلمى بنت عديّ بن ربيعة بنت أخي كليبٍ ومهلهلٍ ، فقال ذو السنينة : قتلني الرجل ! فقال أبو حنش : قتلني الله إن لم أقتله ، فحمل عليه ، فلما غشيه قال : يا أبا حنش ، أملكاً بسوقة ؟ قال : إنه قد كان ملكي ، فطعنه أبو حنش ، فأصاب رادفة[٣] السرج ، فورّعت[٤] عنه ، ثم تناوله فألقاه عن فرسه ، ونزل

---

(١) ساجر : موضع بين ديار غطفان وديار بني تميم .

(٢) أطنّ رجله : قطعها .

(٣) رادفة السرج : مؤخرته .

(٤) ورّعت عنه : منعت .

اليه فاحتز رأسه ، فبعث به الى سلمة مع ابن عم له يقال له أبو أجأ بن كعب بن مالك بن غياث ، فألقاه بين يديه ؛ فقال له سلمة : لو كنت أبقيته إلقاء رفيقاً ! فقال : ما صنع بي وهو حي أشدُّ من هذا ، وعرف أبو أجأ الندامة في وجهه والجزع على أخيه ، فهرب وهرب أبو حنش فتنحى عنه ، فقال معد يكربُ أخو شرحبيل ، وكان صاحب سلامةٍ معتزلاً عن جميع هذه الحروب :

ألا أبلغْ أبا حنشٍ رسولاً فما لك لا تجيء الى الثوابِ !
تعلّم أن خير الناس طُراً قتيلٌ بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جُشمُ بن بكر وأسلمه جعاسيس[1] الرِّباب
قتيلٌ ما قتيلك يابن سلمى تضرُّ به صديقك أو تحابي

فقال أبو حنش مجيباً له :

أحاذر أن أجيئكم فتحبو حِباء أبيك يوم صُنَيعاتٍ[2]
فكانت غدرةً شنعاء تهفو تقلّدها أبوك الى الممات

ويقال : إن الشعر الأول لسلمة بن الحارث .

وقال معد يكرب المعروف بغلفاء يرثي أخاه شرحبيل بن الحارث :

إن جنبي عن الفراش لنابي كتجافي الأسرّ فوق الظِّرابِ
من حديثٍ نمى إليّ فلا تر قأ عيني ولا أسيغُ شرابي
مُرةٌ كالذُّعاف أكتمها النا سَ على حرّ مَلّةٍ[3] كالشهابِ
من شرحبيل إذ تعاوره الأ رماح في حال لذة وشباب

---

(١) جعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم .

(٢) صنيعات : موضع .

(٣) الملة : الرماد الحار .

يابن أمي ولو شهدتُك إذ تد ... عو تميماً، وأنت غير مجابِ
لتركت الحسام تجري ظُباه(١) ... من دماء الأعداء يوم الكلاب
ثم طاعنتُ من ورائك حتى ... تبلغ الرَّحب أو تُبز(٢) ثيابي
يوم ثارت بنو تميم وولَّت ... خيلهم يتَّقين بالأذناب
ويحكم يا بني أسيِّد إني ... وَيحكم رُّبكم وربُّ الرِّباب
أين معطيكم الجزيل وحابيـ ... ـكم على الفقر بالمئين الكباب(٣)
فارس يضرب الكتيبة بالسيـ ... ـف على نحره كنضح الملاب(٤)
فارسٌ يطعنُ الكماة جريء ... تحتـه قارحٌ كلون الغراب

قال: ولما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم دون عياله، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم. ولِيَ ذلك منهم عوف بن شجنة بن الحارس بن عُطارد بن عوف بن سعد بن كعبٍ، وحشد له فيه رهطه ونهضوا معه، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حُجرٍ، ومدحهم به في شعره فقال:

ألا إن قوماً كنتم أمس دونهم ... هم استنقذوا جاراتكم آل غُدرانِ
عُوَيرٌ ومَن مثل العوير ورهطه ... وأسعد في يوم الهزاهز صَفوان(٥)

وهي قصيدة معروفة طويلة:

---

(١) الظبا: جمع ظبة، حدّ السيف.

(٢) أي تنزع عني بموتي.

(٣) الكباب: الكثير من الابل.

(٤) الملاب: ضرب من الطيب، أو الزعفران.

(٥) أسعد: أعان. الهزاهز: الفتن يهتز فيها الناس. عوير وصفوان: رجلان من القوم الذين ذكر أنهم منعوه وتحرّم بهم. وفي البيت إقواء.

صوت

وعينُ الرّضا عن كل عيب كليلةٌ ولكنّ عين السخط تُبدي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنتُ أن لا أخا ليا

الشعر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفري، يقوله للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس؛ هكذا ذكر مصعب الزبيري. وذكر مؤرّج فيما أخبرنا به اليزيدي عن عمه أبي جعفر عن مؤرّج — وهو الصحيح — أنّ عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديق له يقال له قُصَيّ بن ذكوان، وكان قد عتب عليه. وأوّل الشعر:

رأيت قُصَيّاً كان شيئاً مُلفّفاً فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما بلوتُك في الحاجات إلّا تنائيا

والغناء لبنان بن عمرو رملٌ بالوسطى. وفيه الثقيل الأوّل لعريب من رواية أبي العنبس وغيره.

خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

نسبه :

هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأمُّ عبد الله بن جعفر وسائر بني جعفر أسماء بنتُ عُمَيس بن معد بن تيم بن مالك بن قُحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شَهران بن عِفرس بن أفتل ، وهو خُثاعـة بن خثعم بن أنمار . وأُمها هند بنت عوفٍ ، امرأةٌ من جُرَش . هذه الجرشية أكرم الناس أحماء ؛ أحماؤها : رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليٌّ وجعفرٌ وحمزة والعباس وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم . وإنما صار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أحمائها أنه كان لها أربع بناتٍ : ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمُّ الفضل زوجة العباس وأمّ بنته ، وسلمى زوجة حمزة بن عبد المطلب ؛ بنات الحارث ، وأسماء بنت عميسٍ أختهنّ لأُمهنّ ؛ كانت عند جعفر بن أبي طالب ، ثم خلف عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام . وولدت من جميعهم . وهنّ اللواتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهنّ : « إنهنّ مؤمناتٌ » .

حدثني بذلك أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن العلويُّ قال حدثنا هارون بن محمد بن موسى الفرويُّ قال : حدثنا داود بن عبد الله قال : حدثني عبد العزيز الدّراوَردي عن ابراهيم بن عُقبة عن كُرَيبٍ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأخوات المؤمنات : ميمونة ، وأمّ الفضل ، وسلمى ، وأسماء بنت عميسٍ أختهنّ لأُمهنّ » .

حدثني أحمد قال حدثني يحيى قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثني عبد الرزاق قال أخبرني يحيى بن العلاء البجليّ عن عمه شعيب بن خالدٍ عن حنظلة بن سمرة بن المسيَّب عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس قال :

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على فاطمة وعليّ، عليهما السلام – ليلة بنى بها – فأبصر خيالاً من وراء الستر؛ فقال : « من هذا؟ » فقالت : أسماء؛ قال : « بنت عميس »؟ قالت : نعم، أنا التي أحرس بنتك يا رسول الله؛ فإنّ الفتاة ليلة بنائها لا بدّ لها من امرأة تكون قريباً منها، إن عرضت لها حاجةٌ أفضت بذلك اليها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك مِن الشيطان ».

طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر :

وقد أدرك عبد الله بن جعفرٍ رحمه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه.

أدرك رسول الله وروى عنه :

فما روى عنه ما حدّثنيه حامد بن محمد بن شعيب البلخيّ وأحمد بن محمد بن الجعد قالا حدثنا محمد بن بكّار قال حدثني ابراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله ابن جعفر قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرُّطب.

رآه النبي يلعب فداعبه :

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن قال حدثنا سلمة ابن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني ابن يحيى وعثمان بن أبي سليمان قالا :

مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن جعفر وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال : « ما تصنع بهذا » ؟ قال : أبيعه ، قال : « ما تصنع بثمنه » ؟ قال : أشتري به رُطباً فآكله ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارك له في صفقة يمينه » . فكان يقال : ما اشترى شيئاً إلا ربح فيه .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عمي مصعب عن جدّي عبد الله بن مصعب :

أنّ الحزين قُمِر[1] في العقيق في غداة باردة ثيابه ، فمرّ به عبد الله بن جعفر وعليه مقطّعات خزّ ؛ فاستعار الحزين من رجل ثوباً ، ثم قام اليه فقال :

أقول له حين واجهته عليك السلام أبا جعفر

فقال : وعليك السلام ؛ فقال :

فأنت المهذّب من غالبٍ وفي البيت منها الذي تذكرُ

فقال : كذبت يا عدوّ الله ، ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

فهذي ثيابيَ قد أخلقت وقد عضّني زمنٌ منكرُ

قال : هاك ثيابي ، فأعطاه ثيابه .

قال الزبير قال عمي : أما البيت الثاني فحدّثنيه عمي عن الفضل بن الربيع عن أبي ، وما بقي فأنا سمعته من أبي .

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال :

بلغني أن أعرابياً وقف على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله ،

---

(١) قمر : غلب في القمار .

فقال : يا اعرابيُّ ، ما عندنا ما نصلك ؛ ولكن عليك بأبن جعفر . فأتى الأعرابيُّ باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقله[١] قد سار نحو مكة ، وراحلته بالباب عليها متاعها وسيفٌ معلّق ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابي يقول :

أبو جعفرٍ من أهل بيت نبوّة صلاتهم للمسلمين طَهورُ
أبا جعفر إن الحجيج ترحّلوا وليس لرحلي فاعلمنّ بعيرُ
أبا جعفر ضنّ الأمير بماله وأنت على ما في يديك أميرُ
وأنت امرؤٌ من هاشم في صميمها اليك يصير المجد حيث تصيرُ

فقال : يا أعرابي ، سار الثَّقل فدونك الراحلة بما عليها ، وإياك أن تُخدَع عن السيف فإني أخذته بألف دينار . فأنشأ الأعرابي يقول :

حباني عبد الله ، نفسي فداؤهُ بأعيسَ مَوّارٍ سباطٍ مَشافرُهْ[٢]
وأبيض من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليل داجٍ عساكرُه[٣]
وكل أمرئٍ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليمن والبشر طائرُهُ
فيا خيرَ خلق الله نفساً ووالداً وأكرمه للجار حين يجاوره
سأثني بما أوليتني يابن جعفر وما شاكرٌ عرفاً كمن هو كافره

وحدثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال :

جاء شاعرٌ الى عبد الله بن جعفر فأنشده :

---

(١) الثقل : المتاع والحشم .

(٢) أعيس : واحد العيس وهي الابل البيض يخالط بياضها شقرة . الموار : النشيط في سيره المفتول العضل يمور عضداه إذا ترددا في عرض جنبيه . المشافر ، جمع مشفر كمنبر : ما يقابل الشفة في الانسان . وسباط ، يريد أنها لينة .

(٣) عسكر الليل : ظلمته .

رأيت أبا جعفر في المنام   كساني من الخزّ دُرّاعه[1]
شكوتُ الى صاحبي أمرها   فقال ستؤتى بها الساعه
سيكسوكها الماجد الجعفريّ   ومَن كفّه الدهر نفّاعه
ومن قال للجود لا تعدني   فقال لك السمع والطاعه

فقال عبد الله لغلامه : ادفع اليه دُرّاعتي الخزّ ثم قال له : كيف لو ترى جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلثمائة دينار ! فقال له الشاعر : بأبي دعني أغفي إغفاءةً أخرى فلعلي أرى هذه الجبة في المنام ، فضحك منه وقال : يا غلام أدفع اليه جبتي الوشي .

حدثنا أحمد قال قال يحيي قال ابن دأب : وسمع قول الشماخ بن ضِرار الثعلبي في عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رحمه الله :

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى   ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى
وجار ضيفٍ طرق الحيّ سُرى   صادف زاداً وحديثاً يُشتهى
إن الحديث طرَفٌ من القرى

فقال ابن دأب : العجب للشمّاخ يقول مثل هذا القول لأبن جعفر ويقول لعرابة الأوسيّ .

اذا ما رايةٌ رفعت لمجد   تلقّاها عَرابةُ باليمين

عبد الله بن جعفر كان أحقّ بهذا من عرابة .

قال يحيي بن الحسن وكان عبد الله بن الحسن يقول كان أهل المدينة يدّانون بعضهم من بعض الى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر .

---

(١) الدرّاعة : جبة مشقوقة المقدّم .

أخبرني أحمد قال حدثني يحيى قال : حدثني أبو عبيد قال حدثني يزيد بن هارون عن هشام عن ابن سيرين قال :

جلبَ رجلٌ الى المدينة سُكَّراً فكسد عليه فقيل له : لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن ، فأتى ابن جعفرٍ فأخبره ، فأمره بإحضاره وبُسِط له ، ثم أمر به فنثر ، فقال : للناس انتهبوا ، فلما رأى الناس ينتهبون قال : جعلت فداءك ! آخذ معهم ؟ قال : نعم ، فجعل الرجل يَهيل في غرائره ، ثم قال لعبد الله أعطني الثمن فقال : وكم ثمن سكَّرك ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها .

أخبرنا أحمد قال حدثني يحيى بن علي ، وحدثني ابن عبد العزيز قال حدثنا أبو محمد الباهليُّ حسن بن سعيد عن الأصمعي نحوه وزاد فيه ، قال :

فقال الرجل : ما يدري هذا وما يعقل أخذ أم أعطى ! لأطلبنَّه بالثمن ثانية ، فغدا عليه فقال : ثمن سكَّري ، فأطرق عبد الله ملياً ثم قال : يا غلام ، أعطه أربعة آلاف درهم ؛ فأعطاه إياها ، فقال الرجل : قد قلت لكم : إن هذا الرجل لا يعقل : أخذ أم أعطى ! لأطلبنَّه بالثمن . فغدا عليه فقال : أصلحك الله ! ثمن سكَّري ، فأطرق عبد الله ملياً ، ثم رفع رأسه الى رجل ، فقال : ادفع اليه أربعة آلاف درهم . فلما ولّى ليقبضها قال له ابن جعفر : يا أعرابي ، هذه تمام اثني عشر ألف درهم ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

وأخبرني أبو الحسن الأسديّ عن دماذ عن أبي عبيدة :

أن أعرابياً باع راحلةً من عبد الله بن جعفر ، ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها ، فأمر له به ، ثم عاوده ثلاثاً ، وذكر في الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه : فقال فيه :

لا خير في المجتدى[1] في الحين تسأله فاستمطروا من قريش خير مُختدَعِ

(١) المجتدى : الذي تطلب جدواه أي عطيته .

تخال فيــه اذا حاورته بلهاً   من جوده وهو وافي العقل والورعِ

وهذا الشعر يروى لابن قيس الرُّقيّات .

وفاته عام الجحاف :

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء، والطوسيُّ قالا حدثنا الزبير قال حدثني مصعب ابن عثمان قال :

لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبد الله بن جعفر ، فراح يوما الى الجمعة وهو يقول : اللهمَّ إنك عوّدتني عادةً جريت عليها ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبِضني اليك ، فتوفي في الجمعة الأُخرى . قال يحيى : توفي عبد الله وهو ابن سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عام الجحاف لسيلٍ كان بمكة جحف الحاجَّ فذهب الإبل عليهــا الحمولة ، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبان بن عثمان في خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو الذي صلى عليه .

وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه :

حدثني أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين بن محمد قال أخبرني محمد بن مُكرمٍ قال أخبرني أحمد بن ابراهيم بن اسماعيــل بن داود قال أخبرني الأصمعي عن الجعفري قال :

لما مات عبد الله بن جعفر شهده أهل المدينة كلُّهم ، وإنما كان عبد الله بن جعفر مأوى المساكين وملجأ الضعفاء ، فما تنظر الى ذي حجاً إلّا رأيته مستعبراً قد أظهر الهلع والجزع ، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال : رحمك الله يابن جعفر ! إن كنت لرحمك لواصلاً ، ولأهل الشر لمبغضاً ، ولأهل الريبة لقاليا ، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى :

رعيتَ الذي كان بيني وبينكم   من الودّ حتى غيّبتك المقابرُ

فرحمك الله! يوم ولدتَ ويوم كنت رجلاً ويوم متّ ويوم تُبعثُ حيّاً؛ والله لئن كانت هاشمٌ أصيبت بك لقد عمّ قريشاً كلّها هُلكك، فما أظنّ أن يُرى بعدك مثلك.

ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه:

فقام عمرو بن سعيد بن العاص الأشدقُ فقال: لا إله إلّا الله الذي يرث الأرض ومَن عليها واليه تُرجعون، ما كان أحلى العيش بك يابن جعفر! وما أسمج ما أصبح بعدك! والله لو كانت عيني دامعةً على أحد لدمعت عليك، كان والله حديثك غير مشوبٍ بكذبٍ، ووُدُّك غير ممزوج بكدرٍ.

فوثب ابنٌ للمغيرة بن نوفل – ولم يُثبت الأصمعي اسمه – فقال: يا عمرو، بمن تُعرّض بمزج الودّ وشوب الحديث؟ أفبابنَيْ فاطمة؟ فهما والله خيرٌ منك ومنه، فقال: على رِسلك يالُكَع[1]! أردت أن أدخلك معهم؟ هيهات لستَ هناك، والله لو متّ أنت ومات أبوك ما مُدِحتَ ولا ذُممتَ، فتكلّم بما شئتَ فلن تجد لك مجيباً؛ فما هو إلّا أن سمعهما الناس يتكلمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا. قال يحيي: وقال عبد الله بن قيس الرُّقيّات في علة عبد الله بن جعفر التي مات فيها:

بات قلبي تَشفُّهُ[2] الأوجاع من هموم تُجنُّها[3] الأضلاعُ
من حديث سمعته منعَ النو م فقلبي مما سمعتُ يُراعُ
إذ أتانا بما كرهنا أبو اللّسلاس، كانت بنفسه الأوجاع

---

(١) اللكع: اللئيم والاحمق.
(٢) شفه الحزن: لذعه وأحرقه.
(٣) أجنه: ستره.

قال ما قال ثم راح سريعاً أدركت نفسه المنايا السِّراع
قال يشكو الصُّداع وهو ثقيلٌ بك لا بالذي عنيتَ الصُّداع
ابنَ أسماء لا أبا لك تنعى أنه غيرِ هالكٍ نفّاع
هاشمياً بكفّه من سِجال الـمجد سَجلٌ يهون فيه القُباع [1]
نشر الناس كلَّ ذلك منه شيمة المجد ليس فيه خِداع
لم أجد بعدك الأخلّاء إلّا كثِمادٍ به قذًى أو نِقاع [2]
بيته من بيوت عبد منافٍ مدّ أطنابه المكان اليفاع [3]
منتهى الحمد والنبوة والمجد اذا قصّر اللئام الوضاع [4]
فستأتيك مِدحةٌ من كريم ناله من ندى سِجالك باع

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيسٍ في عبد الله بن جعفر بيتان يغنّي فيهما، وهما:

صوت

قد أتانا بما كرهنا أبو اللّـلاس كانت بنفسه الأوجاعُ
قال يشكو الصداع وهو ثقيل بك لا بالذي ذكرت الصُّداع

غنّاه عمرو بن بانة خفيف ثقيل، الأول بالوسطى على مذهب إسحق. ويقال إن عمرو بن بانة صاغ هذا اللحن في هذا الشعر وغنّى به الواثق بعقب علّة نالته وصُداعٍ تشكّاه؛ قال: فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم. وأمّ معاوية

(١) السجل: الدلو العظيمة مملوءة. والقباع: مكيال ضخم واسع.

(٢) الثماد: الماء القليل لا مادّ له. النقاع جمع نقع: وهو الغبار.

(٣) اليفاع: ما ارتفع من الارض.

(٤) الوضاع: جمع وضيع.

ابن عبد الله بن جعفر أمُّ ولد . وكان من رجـالات قريش ، ولم يكن في ولد عبد الله مثله .

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أبي عبد الرحمن القرشيّ .

أنّ معاوية بن عبد الله بن جعفر وُلدَ وأبوه عبد الله عند معاوية ، فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال : سمِّه معاوية ولك مائة ألف درهم ، ففعل ، فأعطاه المال ، وأعطاه عبد الله للذي بشّره به . قال المدائني : وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدّب ولده ، ويقول : إن يُرِدِ الله جلّ وعزّ بهم خيراً يتأدّبوا ، فلم يُنجب فيهم غير معاوية .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيّات قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال هارون وحدثني محمد بن عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوّام قال حدثني عمرو بن الحكم السعيديّ وإبراهيم ابن محمد ومحمد بن معن بن عنبسة قالوا :

كان معاوية بن عبد الله بن جعفر قد عوّد ابن هرمة البرّ ، فجاءه يوماً وقد ضاقت يده وأخذ خمسين ديناراً بدَيْنٍ ، فرفع اليه مع جاريته رقعةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أيضاً برّاً ، فقال للجارية : قولي له : أيدينا ضيّقةٌ ، وما عندنا شيء إلا شيء أخذناه بكلفةٍ ، فرجعتْ جاريته بذلك ، فأخذ الرقعة فكتب فيها :

فإني ومدحك غير المصيب كالكلب ينبح ضوء القمرْ
مدحتك أرجو لديك الثوابَ فكنت كعاصر جنب الحجر

وبعث بالرّقعة مع الجارية ، فدفعتها الى معاوية ، فقال لها : ويحك قد علم بها أحدٌ ! قالت : لا والله إنما دفعها من يده الى يدي ؛ قال : فخذي هذه الدنانير فادفعيها اليه ، فخرجت بها اليه ، فقال : كلّا ، أليس زعم أنه لا يدفع إليّ شيئاً ؟

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال :

سمى عبد الله بن جعفر ابنه معاوية بمعاوية بن أبي سفيان . قال : وكان معاوية بنُ عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة ، فسمى ابنه بيزيد ابن معاوية .

وصيته لابنه معاوية عند وفاته :

قال الزبير : وحدثني محمد بن اسحاق بن جعفر عن عمه محمد :

أن عبد الله بن جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شنفاً[1] كان في أذنه وأوصى اليه – وفي ولده مَن هو أسنّ منه – وقال له : إني لم أزل أؤمّلك لها . فلما توفي احتال بدَين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه ، وقسم أموال أبيه بين ولده ، ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

وأمّ عبد الله بن معاوية أمّ عون بنت عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب . ويقال : بنت عياش بن ربيعة . وقد روى عباسٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان معه يوم حُنَين ، وهو أحد من ثبت معه يومئذٍ .

بعض صفات عبد الله بن معاوية :

وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم ، ولم يكن محمود المذهب في دينه ، وكان يُرمى بالزندقة ويستولي عليه من يُعرف ويُشهر أمره فيها ، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها الى نواحي الجبل ثم الى خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

---

(١) الشنف : الذي يلبس في أعلى الاذن .

ويُكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية، وله يقول ابن هرمة :

أحبُّ مدحاً أبا معاوية الما جد لا تلقه حَصوراً[١] عَيّيا
بل كريماً يرتاح للمجد بساً ما اذا هزّه السؤال حييا
إنّ لي عنده وإن رغم الأعداء حظاً من نفسه وقَفيّا

– قفيا: أثرة، يقول: إن لي عنده لأثرة على غيري، وقال قوم آخرون: القفيّ: الكرامة :

إن أمت تبقَ مِدحتي وإخائي وثنائي من الحياة مليّاً
يأخذ السبق بالتقدم في الجر ي اذا ما الندى انتحاه عليا
ذو وفاء عند العدات وأوصا ه أبوه ألّا يزال وفيّاً
فرعى عقدة الوصاة فأكرم بها مُوصياً وهذا وصيّاً
يابن أسماء فاسقِ دلوي فقد أو ردتها مَنهلاً يثجُّ رويّا

يعني أمه أسماء، وهي أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. وأوّل هذه القصيدة :

عاتبَ النفسَ والفؤادَ الغويّاً في طلاب الصِّبا فلستَ صبيّاً

قال يحيى بن علي فيما أجازه لنا :

أخبرني أبو أيوب المدينيُّ وأخبرَناه وكيعٌ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن اسحاق عن أبيه قالا: مدح ابن هرمة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأتاه، فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه. قال ابن هرمة: ورآني بعض خدمه فعرفني، فسألته عن الذين رأيتهم ببابه فقال: عامّتهم غُرماء له،

(١) الحصور: الممسك البخيل الضيق، والضيق الصدر.

فقلت : ذاك شرٌّ . وٱستؤذن لي عليه فقلت : لم أعلم والله بهؤلاء الغرماء ببابك ، قال : لا عليك أنشدني . قلت : أعيذك بالله . وٱستحييت أن أنشد ، فأبى إلا أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها :

حللتَ محلَّ القلب من آل هاشم ... فعُشُّك مأوى بيضها المتفلِّقِ
ولم تك بالمُعزى اليها نصابه ... لصاقاً ولا ذا المركب المتعلِّق
فمن مثل عبد الله أو مثل جعفر ... ومثل أبيك الأريحيِّ المرَهَّق ¹

فقال : مَن ها هنا من الغرماء ؟ فقيل : فلانٌ وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارَّهما وخرجا ، وقال لي : اتبعهما . قال : فأعطياني مالًا كثيراً . قال يحيى : ومن مختار مدحه فيه منها قوله :

فإلّا تُواتِ اليوم سلمى فربما ... شربنا بحوض اللهو غير المرنَّقِ
فدعها فقد أعذرتَ في ذكر وصلها ... وأجريت فيها شأوَ غربٍ ومَشرق ²
ولكن لعبد الله فأنطق بمدحة ... تُجيرك من عُسر الزمان المطبِّق ³
أخ قلت للأدْنَينَ لمّا مدحته ... هلموا وساري الليل م الآن فاطرق
شديد التأني في الأمور مجرَّب ... متى يَعرُ أمرُ القوم يَفرِ ويخلق ⁴
ترى الخير يجري في أسرَّة وجهه ... كما لألأت في السيف جريةُ رَونق ⁵
كريم اذا ما شاء عدَّ له أباً ... له نسبٌ فوق السِّماك المحلِّق

---

(١) المرهّق : الكريم الجواد الذي يغشاه الناس .

(٢) أعذر : بلغ أقصى الغاية في العذر ، والشأو : الغاية .

(٣) طبّق الشيء : عمّ .

(٤) يفري : يشق ويقطع . ويخلق : يقدّر ، من خلق الاديم : قدّره لما يريد قبل القطع .

(٥) أسرة الوجه : خطوطه ، جمع سرار كسنان . لألأ البرق والنجم : أضاء ولمع ، أو اضطرب بريقه ، والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه .

وأمّاً لها فضلٌ على كلّ حرّة متى ما تسابق بأبنها القومَ تسبقِ

ومما يغني فيه من قصيدة أبن هرمة اليائية التي مدح بها أبن معاوية قوله :

صوت

عجبتْ جارتي لشيبٍ علاني عمركِ الله هل رأيتِ بَديّا[1]
إنما يُعذر الوليد ولا يُعذر من عاش في الزمان عتياً[2]

غنّى فيها فُليحٌ رملًا بالبنصر من رواية عمرو بن بانة ومن رواية حبشٍ فيها لأبن محرزٍ خفيف ثقيل بالبنصر .

خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية :

حدثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ قال حدثنا عليٌّ بن محمد النوفليُّ عن أبيه وعمه عيسى ، قال أبن عمار وأخبرنا أيضاً ببعض خبره أحمد بن أبي خيثمة عن مصعبٍ الزبيريّ ، قال أبن عمّار وأخبرني أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن أبي اليقظان وشهاب بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمار وحدثني به سليمان أبن أبي شيخ عمن ذكره . قال أبو الفرج الأصبهاني : ونسخت أنا أيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن علي بن حمزة عن المدائني وغيره ، فجمعت معانيَ ما ذكروه في ذلك كراهة الإطالة :

أن عبد الله بن معاوية قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمرَ بن عبد العزيز ومستميحاً[3] له ، فتزوج بالكوفة بنتَ الشرقيّ بن عبد المؤمن بن شبث بن ربعيٍ

---

(١) بدى مسهل بدىء ، والبديء : العجيب .

(٢) عتا الشيخ عتيا : أسن وكبر .

(٣) استماحه : سأله العطاء .

الرياحيّ ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهلُ الكوفة على بني أمية ، وقالوا له : اخرُج فأنت أحقُّ بهذا الأمر مِن غيرك، وأجتمعت له جماعةٌ ، فلم يشعر به عبد الله بنُ عمر إلا وقد خرج عليه . قال ابن عمار في خبره : إنه إنما خرج في أيام يزيد بنِ الوليد، ظهر بالكوفة ودعا الى الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولبس الصوف وأظهر سيمى الخير ، فاجتمع اليه وبايعه بعض أهل الكوفة ، ولم يبايعه كلُّهم وقالوا : ما فينا بقيَّةٌ ، قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقبل ذلك ، وجمع جموعاً من النواحي ، وخرج معه عبد الله ابن العباس التميميُّ .

قال محمـد بن علي بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة : إن ابن معاوية قَبل قَصده المشرق ظهر بالكوفة ودعا الى نفسه ، وعلى الكوفة يومئذ عاملٌ ليزيد الناقص يقال له عبد الله بن عمر ، فخرج الى ظهر الكوفة مما يلي الحرّة، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً . قال محمد بن علي بن حمزة عن المدائني عن عامر بن حفصٍ ، وأخبرني به ابن عمار عن أحمد بن الحارث عن المدائني : أن ابن عمر هذا دسّ الى رجل من أصحاب ابن معاوية مَن وعده عنه مواعيد على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته ، فبلغ ذلك ابن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال : إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم ، فلما التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناس معه فلم يبق غير ابن معاوية ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

تفرّقتِ الظباء على خِداشٍ ... فما يدري خِداش ما يصيدُ

ثم ولى وجهه منهزماً فنجا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي مَن أجابه ، حتى صار في عِدّة ، فغلب على ماهِ الكوفة وماهِ البصرة وهَمذان وقُمّ والرّيّ وقومَس وأصبهان وفارس ، وأقام هو بأصبهان . قال : وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بني يشكر ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء وأجتمع الناس اليه ، فأخذهم بالبيعة ؛ فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وكرهتم ، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن علي بن حمزة عن عبد الله بن محمد ابن اسماعيل الجعفري عن أبيه عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرز بن جعفر: أن عبد الله بن معاوية كتب الى الأمصار يدعو الى نفسه لا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، قال: وآستعمل أخاه الحسن على إصطخر، وأخاه يزيد على شيراز، وأخاه علياً على كرمان، وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى ابن علي. وقال ابن أبي خيثمة عن مصعب: وقصده وجوه قريش من بني أمية وغيرهم، فممن قصده من بني أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، فمن أراد منهم عملاً قلّده، ومن أراد منهم صلة وصله.

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد الذي يقال له مروان الحمار، فوجّه اليه عامر بن ضُبارة في عسكر كثيف، فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج اليه، فلم يفعلوا ولا أجابوه، فخرج على دهشٍ هو وإخوته قاصدين لخراسان — وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيّار — فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التُّنّاء[1] ذي مروءة ونعمة وجاهٍ[2]، فسأله معونته، فقال له من أنت مِن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أأنت إبراهيم الإمام الذي يُدعى له بخراسان؟ قال: لا، قال فلا حاجة لي في نصرتك.

التجأ الى أبي مسلم فحبسه:

فخرج الى أبي مسلم وطمع في نصرته، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده،

---

(١) التناء جمع تانئ: وهو الدهقان؛ زعيم فلاحي العجم، أو رئيس الاقليم.

(٢) كذا في ف، وفي سائر الاصول: «وجاه».

وجعل عليه عيناً يرفع اليه أخباره ، فرفع اليه أنه يقول : ليس في الأرض أحمق منكم يأهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم اليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله ما رضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام ، فقالت : (أتجعل فيها مَن يُفسد فيها ويسفك الدّماء) . حتى قال لهم : (إني أعلم ما لا تعلمون) .

كتابه الى أبي مسلم وهو في حبسه :

ثم كتب اليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها : الى أبي مسلم ، من الأسير في يديه ، بلا ذنب اليه[1] ولا خلاف عليه . أما بعد ، فإنك مستودع ودائع ، ومُولي صنائع ؛ وإن الودائع مرعيَّة ، وإن الصنائع عاريَّة ؛ فاذكر القصاص ، وأطلب الخلاص ؛ ونبِّه للفكر قلبك ، واتق الله ربّك ؛ وآثر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً ؛ فإنك لاقٍ ما أسلفتَ ، وغير لاقٍ ما خلّفتَ ؛ وفقك الله لما ينجيك ، وآتاك شكر ما يُبليك[2] » .

قال : فلما قرأ كتابه رمى به . ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا ، ثم أمضى تدبيره في قتله . وقال آخرون : بل دسّ اليه سمّاً فمات منه ، ووجّه برأسه الى ابن ضُبارة لحمله الى مروان . فأخبرني عمر بن عبد الله العتكي قال : حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيي أنّ عبد العزيز بن عمران حدّثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هُبيرة أنه حضر مروان يوم الزابِ وهو يقاتل عبد الله ابن علي ، فسأل عنه فقيل له : هو الشابُّ المصفرُّ الذي كان يسبُّ عبد الله بن

---

(١) كذا في ف ، وفي سائر الاصول : « بلا ذنب ولا خلاف عليه » .

(٢) الابلاء هنا : الانعام والاحسان .

معاوية يوم جيء برأسه اليك فقال : والله لقد هممت بقتله مراراً ، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه ، (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) .

كانت الزنادقة من خاصته :

حدثني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال حدثني النوفلي عن أبيه عن عمه قال :

كان عمارة بن حمزة يُرمى بالزندقة ، فاستكتبه ابن معاوية ، وكان له نديمٌ يعرف بمطيع بن إياس ، وكان زنديقاً مأبوناً ، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقلي وإنما سمي بذلك لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع ، فقتله المنصور لمّا أفضت الخلافة اليه . فكان هؤلاء الثلاثة خاصّته ، وكان له صاحب شُرطة يقال له قيسٌ ، وكان دُهريّاً[1] لا يؤمن بالله معروفاً بذلك ، فكان يعسّ بالليل فلا يلقاه أحد إلا قتله ، فدخل يوماً على ابن معاوية فلما رآه قال :

إنّ قيساً وإن تقنّع شيباً لخبيثُ الهوى على شَمَطِه[2]
ابن تسعين منظراً ومشيباً وابنُ عشرٍ يُعدّ في سقطه

وأقبل على مطيع فقال : أجز أنت ، فقال :

وله شُرطةٌ اذا جنّه الليل فعوذوا بالله من شُرَطه

قسوته :

قال ابن عمارٍ : أخبرني أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني عن أبي اليقظان

(١) رجل دهري : ملحد لا يؤمن بالآخرة ، ويقول ببقاء الدهر .

(٢) الشمط : بياض الرأس يخالط سواده .

وشباب بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمار وحدثني به سليمان بن أبي شيخ عمن ذكره :

أنّ ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمر بضربه بالسياط وهو يتحدّث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط ، وأنه فعل ذلك برجل ، فجعل يستغيث فلا يلتفت اليه ، فناداه : يا زنديق ، أنت الذي تزعم أنه يُوحَى اليك ! فلم يلتفت اليه وضربه حتى مات .

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني النوفليّ عن أبيه عن عمه عيسى قال :

كان ابن معاوية أقسى خلق الله قلباً ، فغضب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان، فأمر بأن يرمى به منها الى أسفل ، ففعل ذلك به فتعلّق بدرابزين كان على الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها ، فقطعت ومر الغلام يهوي حتى بلغ الى الأرض فمات .

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم، وهو الذي يقول :

ألا تَزَعُ[1] القلب عن جهله ... وعما تُؤَنَّبُ من أجلِه !
فأبدل بعد الصبا حِلمه ... وأقصر ذو العذل عن عدله
فلا تركبنّ الصنيع الذي ... تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبنّك قول امرئٍ ... يخالف ما قال في فعله
ولا تُتبع الطَّرف ما لا تنال ... ولكن سل الله من فضله
فكم من مقلٍّ ينال الغنى ... ويحمد في رزقه كلّه

(١) وزعه : كفه .

أنشدنا هذا الشعر له ابن عمار عن أحمد بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين. وذكر محمد بن علي العلوي عن أحمد بن أبي خيثمة أن يحيى بن معين أنشده أيضاً لعبد الله بن معاوية:

إذا افتقرت نفسي قصرتُ افتقارها ... عليها فلم يظهر لها أبداً فقري
وإن تلقني في الدهر مندوحة[1] الغنى ... يكن لأخلاني التوسّع في اليسر
فلا العسر يُزري بي إذا هو نالني ... ولا اليسر يوماً إن ظفرتُ به فخري

وهذا الشعر الذي غنى به — أعني قوله:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

يقوله ابن معاوية للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان الحسين أيضاً سيء المذهب مطعوناً في دينه.

شعره في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني إبراهيم بن يزيد الخشاب قال:

كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان حسين هذا وعبد الله بن معاوية يُرمَيان بالزندقة. فقال الناس: إنما تصافيا على ذلك؛ ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله، فقال عبد الله بن معاوية:

وإنّ حسيناً كان شيئاً ملفّفاً ... فمحّصه التكشيف حتى بدا ليا

---

(١) المندوحة: السعة.

وعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ ولكن عين السخط تبدي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

وله في الحسين أشعارٌ كلُّها معاتبات ، فمنها ما أخبرني به أحمد بن محمد بن سعيد ابن عُقدة . قال : أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية ؛ يقوله في الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب :

قل لذي الودّ والصفاء حسينٍ أقدُرِ الوُدّ بيننا قَدَرَهْ
ليس للدابغ المقرّظ بُدٌّ من عتاب الأديم ذي البشره[1]

قال وقال له أيضاً :

إنّ أبن عمك وأبن أمـك مُعلمٌ شاكي السلاحِ[2]
يَقِصُ[3] العدوّ وليس يرضى حين يبطش بالجناح
لا تحسبن أذى أبن عمك شرب ألبان اللِّقاح[4]
بل كالشجا تحت اللّهاةِ اذا يسوّغ بالقراح[5]
فانظر لنفسك من يجيبك تحت أطراف الرماح
من لا يزال يسوءهُ بالغيب أن يلحاك لاحي[6]

(١) قرظ الاديم : دبغه بالقرظ . والمعاتبة هنا : المعاودة ، وبشرة الاديم : ظاهره الذي عليه الشعر .

(٢) أعلم الفارس : جعل لنفسه علامة الشجعان . والشاكي : ذو الشوكة .

(٣) وقصه : كسره ودقه .

(٤) اللقاح : جمع لقحة ، وهي الناقة الحلوب .

(٥) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، والقراح : الماء الخالص ، ويقال : أساغ الغصة بالماء .

(٦) لحاه : لامه .

أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيي بن الحسن قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيي :

أنّ عبد الله بن معاوية مرّ بجدّه عبد الحميد في مزرعته بصرام[1] وقد عطش فاستسقاه ، فخاض[2] له سَويق لوزٍ فسقاه إياه ، فقال عبد الله بن معاوية :

شربتُ طبرزذاً[3] بغريض مُزنٍ كذوب الثلج خالطه الرُّضابُ

قال يحيي قال الزبير : الرضاب ماء المسك ، ورضاب كل شيء : ماؤه . فقال عبد الحميد بن عبيد الله يجيب عبد الله بن معاوية على قوله :

ما إن ماؤنا بغريض مُزن ولكنّ المِلاح بكم عِذابُ
وما إن بالطبرزذِ طاب لكن بَمِيك لا به طاب الشراب
وأنت إذا وطئت تراب أرضٍ يطيب إذا مشيتَ بها التراب
لأن نداك يُطفي المَحل[4] عنها وتحييها أياديك الرّطاب

تغنى إبراهيم الموصلي في شعره :

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم الموصلي قال :

بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغزال إذ قال صاحب السِّتارة لابن جامع : تغنّ في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، قال : ولم

---

(١) صرام : « هو رستاق بفارس وأصله جرام فعربوه هكذا » .

(٢) خاض : خلط ، والسويق : ما يعمل من الحنة والشعير .

(٣) الطبرزذ : السكر ، والغريض : ماء المطر .

(٤) المحل : القحط والجدب .

يكن ابن جامع يغني في شيء منه ، وفطنت لِما أراد من شعره ، وكنت قد تقدّمت فيه ، فأرتج على ابن جامع ، فلما رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت :

صوت

يهيم بُجملٍ وما إن يرى ... له من سبيلٍ الى جُملهِ
كأن لم يكن عاشق قبله ... وقد عشق الناس من قبله
فنهم مَن الحب أودى به ... ومنهم مَن أشفى(١) على قتله

فإذا يد قد رفعت الستارة ، فنظر إليّ وقال : أحسنت والله ! أعِد ، فأعدته فقال : أحسنت ! حتى فعل ذلك ثلاث مرّاتٍ ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه ، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلمه ، فمرّ الغلام يسعى فإذا بَدرةُ دنانير قد جاءت يحملها فرّاش ، فوضعت تحت فخذي اليسرى وقيل لي : أجعلها تُكأتك ، قال : فلما أنصرفنا قال لي ابن جامع : هل كنت وضعت لهذا الشعر غناء قبل هذا الوقت ؟ فقلت : ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعت له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك . فلما كان المجلس الثاني وحضرنا قال صاحب الستارة : يابن جامع ، تغنّ في شعر عبد الله بن معاوية ، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس ، قال ابراهيم : فلما رأيت ما حلّ به أندفعت فغنيت :

صوت

يا قوم كيف سِواغُ عيشٍ ليس تؤمن فاجعاتهْ
ليست تزال مطلّةً تعدو عليك منغّصاته

---

(١) أشفى : أشرف .

الموتُ هولٌ داخلٌ يوماً على كرهٍ أناتُه
لا بدَّ للحذر النفو ر من أن تقنَّصه رُماته
قد أمنح الود الخليل بغير ما شيء رزاته[1]
وله أُقيمُ قناة ودِّ ي ما أستقامت لي قناته

قال : فأومأ إليَّ صاحب الستارة أن أمسك ، ووضع يده على عينه كأنه يومئ إليَّ أنه يبكي ، قال : فأمسكت ثم أنصرفنا ، فقال لي آبن جامع : ما صبَّ أمير المؤمنين على آبن جعفر ؟ قلت : صبه الله عليه لبدرة الدنانير التي أخذتُها . قال : ثم حضر بعد ذلك ، فلما أطمأنَّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفيّ : اللهم أنسه ذكر ابن جعفر ، قال فقلت : اللهم لا تستجب ، فقال صاحب الستارة : يابن جامع تغنَّ في شعر عبد الله بن معاوية ، قال : فقال ابن جامع : لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه[2] ولم يُقبل على الشعر ، قال ابراهيم : فسمعنا ضحكة من وراء الستارة . قال إبراهيم : فاندفعت أغني في شعره :

صوت

سلا ربَّة الخدر ما شأنها ومن أيما شأننا تعجبُ ؟
فلست بأول من فاته على إربه[3] بعض ما يطلب
وكائن تعرَّض من خاطب فزُوِّج غير التي يخطب
وأنكحها[4] بعده غيرُه وكانت له قبله تحجب

---

(١) أصله رزأته فسهل ، ورزأه ماله : أصاب منه شيئاً .

(٢) يريد جده جعفر بن أبي طالب وكان يلقب بالطيار وبذي الجناحين لانه قاتل يوم مؤتة حتى قطعت يداه فقتل ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ان الله قد أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء .

(٣) الارب : العقل والدهاء .

(٤) أنكحها : تزوجها .

وكنـا حديثاً صفيّين لا نخاف الوشاة ومـا سبّبوا
فإن شطّت الدار عنّا بهـا فبانت وفي الناس مستعتب[1]
وأصبح صدعُ الذي بيننـا كصدع الزجاجة ما يُشعب[2]
وكالدّرِ[3] ليست له رجعـة الى الضَّرع من بعد ما يُحلب

غنى في البيتين الأولين إبراهيم الموصلي[4] خفيف ثقيل الأول بالوسطى من رواية أحمد ابن يحيي المكي ووجدتها في بعض الكتب خفيف رملٍ غير منسوب . قال : فقال لي صاحب الستارة : أعِد فأعدته ، فأحسب أمير المؤمنين نظر الى ابن جامع كاسف البال ، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس ، وجاءوني ببدرة دنانير فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً ، وكان ابن جامع فيه حسد ما يستتر منه ، فلما انصرفنا قال : اللهم أرِحنا من ابن جعفرٍ هذا ، فما أشدّ بُغضي له ، لقد بغّض إليّ جدّه ، فقلت : ويحك ! تدري ما تقول ! قال : فمن يدري ما يقول ؟ إذاً لوددتُ أني لم أرَ إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة ، وأني تصدّقت بها — يعني البدرة .

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

شمتت به امرأته حين خطب امرأة وتزوّجها غيره :

أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكّار عن عمه قال :

خطب عبد الله بن معاوية رُبيحة بنت محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله

(١) شطت : بعدت . مستعتب : استرضاء .

(٢) يشعب : يصلح .

(٣) الدر هنا : اللبن .

ابن جعفر ، وخطبها بكّار بن عبد الملك بن مروان ، فتزوجت بكاراً ، فشمتت بعبد الله امرأته أمّ زيد بنت زيد بن علي بن الحسين ، فقال في ذلك :

سلا ربّة الخدر ما شأنُها ومن أيّما شأننا تعجبُ

فقال ابن أبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له : والله ما شمتُّ ولكني نفست[1] عليك ، فقال لها : لا جرَمَ ! والله لا سُؤْتُكِ أبداً ما حييتُ :

صوت

طاف الخيال من أمّ شيبة فاعترى والقوم من سنةٍ نَشاوى[2] بالكرى
طافت بخوصٍ[3] كالقسيّ وفتيةٍ هجعوا قليلاً بعد ما ملّوا السُّرى

الشعر لأبي وَجزة السعدي ، والغناء لإسحاق ، ثقيل أوّل بالبنصر .

(١) نفس عليه بخير : حسد .

(٢) نشاو ، جمع نشوان ، وهو السكران .

(٣) الخوص : جمع أخوص وهو الغائر العينين .

أخبار أبي وجزة ونسبه

أسمه يزيد بنُ عُبيد فيما ذكره أصحاب الحديث . وذكر بعض النسابين أنّ اسمه يزيد بن أبي عبيد ، وأنه كان له أخٌ يقال له عبيد ، وانتسب الى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم .

دخل مع أبيه في بني سعد :

وأصله من سُليم من بني ضَبيس بن هلال بن قُدَم بن ظفر بن الحارث بن بُهثة ابن سُلَيم ؛ ولكنه لحق أباه وهو صبي بِسباء في الجاهلية ، فبيع بسوق ذي المجاز ، فابتاعه رجل من بني سعد ، وأستعبده ، فلما كبر أستعدى عمر رضي الله عنه وأعلمه قصته ، فقال له : إنه لا سِباء على عربيّ ، وهذا الرجل قد أمتنّ عليك فإن شئت فأقم عنده ، وإن شئت فالحق بقومك ، فأقام في بني سعد وأنتسب اليهم هو وولده .

وبنو سعد أظآر(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان مسترضعاً فيهم عند أمرأةٍ يقال لها حليمة ، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يفع ، ثم أخذه جدّه عبد المطلب منهم فردّه الى مكة ، وجاءته حليمة بعد الهجرة ، فأكرمها وبَرّها وبسط لها رداءه فجلست عليه . وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن ، وحقيقٌ بكل مكرمةٍ وفخرٍ من اتصل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدنى سبب أو وسيلةٍ .

(١) أظآر : جمع ظئر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

أخبرني بخبره الذي حكيتُ جملاً منه في نسبه وولائه أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال حدثنا عيسى بن اسماعيل العتكيُّ قال حدثنا محمد بن سلّام الجمحيُّ عن يونس. وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلّام عن يونس وأخبرني به عمي عن الكراني عن الرّياشيّ عن محمد بن سلّام عن يونس وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيدٍ السكريّ عن يعقوب بن السِّكّيت قالوا جميعاً سوى يعقوب.

كان عبيدٌ أبي وجزة السعديُّ عبداً بيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وُهيب بن خالد بن عامر بن عُمَير بن ملّان بن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد ابن بكر بن هوازن، فأقام عنده زماناً يرعى إبله، ثم إن عبيداً ضرب ضرع ناقةٍ لمولاه فأدماه، فلطم وجهه، فخرج عبيدٌ الى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه مستعدياً فلما قدِم عليه قال: يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ من بني سُلَيمٍ، ثم من بني ظفر أصابني سِباء في الجاهلية كما يصيب العرب بعضها من بعض، وأنا معروف النسب، وقد كان رجل من بني سعد أبتاعني، فأساء إليّ وضرب وجهي، وقد بلغني أنه لا سِباء في الإسلام، ولا رِقَّ على عربيّ في الإسلام.

فما فرغ من كلامه حتى أتى مولاه عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على أسره، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا غلامٌ أبتعته بذي المجاز، وقد كان يقوم في مالي، فأساء فضربته ضربة والله ما أعلمني ضربته غيرها قط، وإن الرجل ليضرب أبنه أشدّ منها فكيف بعبده، وأنا أشهدك أنه حرٌ لوجه الله تعالى.

فقال عمر لعبيد: قد أمتن هذا الرجل، وقطع عنك مؤنة البيّنة، فإن أحببت فأقم معه، فله عليك مِنّة، وإن أحببت فالحق بقومك، فأقام مع السعديّ وأنتسب الى بني سعد بن بكر بن هوازن، وتزوّج زينبَ بنتَ عُرفطة المُزنيّة، فولدت له أبا وجزة وأخاه، وقال يعقوب: «وأخاه عبيداً» وذكر أن أباهما كان يقال له أبو عبيدٍ، ووافق من ذكرتُ روايته في سائر الخبر، فلما بلغ أبناه طالباه بأن يلحق بأصله وينتمي الى قومه من بني سليم، فقال: لا أفعل ولا ألحق بهم

فيعيّروني كلَّ يوم ويدفعوني ، وأترك قوماً يُكرموني ويشرّفوني ، فوالله لئن ذهبتُ الى بني ظفرٍ لا أرعى طُمَّة ، ولا أرِد جَمَّة ، إلا قالوا لي : يا عبد بني سعدٍ قال : وطُمَّة : جبل لهم . فقال أبو وجزة في ذلك :

أنمى فأعقلُ في ضبيسٍ مَعقلاً ضخماً مناكبه تميم الهادي[1]
والعقد في مَلأن غير مزلّج[2] بقوى متينات الحبال شداد

وكان أبو وجزة من التابعين ، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأى عمرَ بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، ولم يسند اليه حديثاً ؛ ولكنه حدّث عن أبيه بحديث الاستسقاء ، ونقل عنه جماعة من الرواة .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ وعمي قالا حدثنا عبد الله بن شبيبٍ قال حدثني إبراهيم بن حمزة قال حدثني موسى بن شَيبة قال :

سمعت أبا وجزة السعديَّ يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس شعرُ حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعراً ، ولكنه حكمةٌ » .

فأمّا خبر الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمر فإن الحسن بن عليّ أخبرنا به قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني عبد الله بن عمرو عن علي بن الصباح عن هشام بن محمدٍ عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال :

شهدت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقيَ عام الرَّمادة ؛ فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفر الله رافعاً صوته لا يزيد على ذلك؛

(١) نماه ينميه : نسبه ، وعقل : لجأ الى معقل ، والهادي : العنق ، والتميم : التام الشديد .

(٢) المزلج : كل ما لم تبالغ فيه ولم تحكمه .

فقلت في نفسي : ما له لا يأخذ فيما جاء له ؛ ولم أعلم أن الاستغفار هو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأت[١] سحابة وأظلّتنا ، فسقي الناس ، وقلدتنا[٢] السماء قلداً ، كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرينة[٣] تأكلها صِغار الإبل من وراء حِقاق[٤] العرفُط .

مات سنة ثلاثين ومائة :

وأخبرني أبو الحسن الأسدي وهاشم بن محمد الخزاعي جميعاً عن الرياشي عن الأصمعي عن عبد الله بن عمر العمري عن أبي وجزة السعدي عن أبيه ، وذكر الحديث مثله . وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، واللفظ متقارب وزاد الرياشي في خبره : فقلت لأبي وجزة : ما حِقاق العرفُط ؟ قال : نبات سنتين وثلاث . وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال : ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة .

هو أحد من شبب بعجوز :

وهو أحد من شبَّب بعجوزٍ حيث يقول :

يأيّها الرجل الموكّل بالصبا ... فيم ابنُ سبعين المعمَّر من دَدٍ[٥] ؟
حتّام أنت موكّلٌ بقديمةٍ ... أمست تجدَّدُ كاليماني الجيّد

---

(١) نشأ السحاب : ارتفع وبدا ، وذلك في أول ما يبدأ .

(٢) قلدتنا : مطرتنا ، والقلد (بالكسر) : الحظ من الماء ، و (بالفتح) المصدر .

(٣) الأرينة : نبت عريض الورق .

(٤) العرفط : شجر العضاه ، وحقاق العرفط : صغارها وشوابها ؛ تشبيهاً بحقاق الابل ، والحق (بالكسر) : البعير اذا استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة ، والانثى حقة .

(٥) الدد : اللهو واللعب .

زان الجلال كمالها ورسا بها عقلٌ وفاضلة وشيمة سيّدِ
ضنّت بنائلها عليك وأنتما غِرّان في طلب الشباب الأغيد
فالآن ترجو أن تثيبك نائلا هيهات! نائلها مكان الفرقد

وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي جميعاً قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال:

استسقى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فلما وقف على المنبر أخذ في الاستغفار، فقلت: ما أراه يعمل في حاجته! ثم قال في آخر كلامه: اللهم إني قد عجزت وما عندك أوسع لهم. ثم أخذ بيد العباس رضي الله تعال عنه، ثم قال: وهذا عمّ نبيّك، ونحن نتوسل اليك به. فلما أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزل قلب رداءه، ثم نزل فتراءى الناس طُرّة[1] في مغرب الشمس، فقالوا: ما هذا! وما رأينا قبل ذلك قَزَعة[2] سحاب أربع سنين؟ قال: ثم سمعنا الرعد، ثم انتشر، ثم اضطرب، فكان المطر يَقلدنا قَلداً في كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرينة خارجة من حقاق العُرفُط تأكلها صغار الإبل.

مدح بني الزبير وأكرموه:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عمي عن جدّي قال:

خرج أبو وجزة السعدي وأبو زيد الأسلمي يريدان المدينة، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزومي، فقال له أبو وجزة:

(١) الطرة: الطريقة من السحاب.

(٢) القزعة: القطعة من السحاب.

هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم؟ فقال: كلا والله، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير. فقدما المدينة، فأتى أبو زيد دار إبراهيم، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب، فقال إبراهيم لبعض أصحابه: اخرج الى هذا الأعرابي الجلف فاضربه وأخرجه، فأخرج وضرب، وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم، فكتبوا له الى مال لهم بالفُرع[1] أن يعطى منه ستين وَسقاً[2] من التمر، فقال أبو وجزة يمدحهم:

راحت قَلوصي رواحاً وهي حامدة آلَ الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وَسقاً في حقيبتها ما حُمِّلت حِملها الأدنى ولا السَّددا[3]
ذاك القرى لا كأقوامٍ عهدتهم يَقرون ضيفهم الملويّة الجُددا

يعني السياط.

قال أبو الفرج الأصفهاني: قول أبي وجزة:

راحت بستين وسقاً في حقيبتها

أنها حملت ستين وسقاً ولا تحمل ناقة ذلك ولا تُطيقه ولا نصفه، وإنما عَنى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين وسقاً فركب ناقته والكتاب معه بذلك قد حملته في حقيبتها، فكأنها حاملة بالكتاب ستين وسقاً، لا أنها أطاقت حَمل ذلك. وهذا بيت معنى يُسأل عنه.

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكري في شعر أبي وجزة وأخباره:

---

(١) الفرع: قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة.

(٢) الوسق: حمل بعير.

(٣) السدد: الوفق.

أحسن عمرو بن زناد جواره فمدحه :

كان أبو وجزة قد جاور مُزَينة، وانتجع بلادهم لصهره فيهم ، فنزل على عمرو ابن زياد بن سُهَيل بن مُكدَّم بن عُقَيل بن وهب بن عمرو بن مُرة بن مازن بن عوف بن ثور بن هُذمة بن لاطم بن عثمان ، فأحسن عمرو جواره وأكرم مثواه ، فقال أبو وجزة يمدحه :

لمن دمنةٌ بالنَّعفِ عافٍ صَعيدُها ... تغيَّر باقيها ومحّ جديدُها[1]
لسعدة من عام الهزيمة إذ بنا ... تصافٍ وإذ لمّا يَرُعنا صُدودها
وإذ هي إمّا نفسها فأربية[2] ... للهوِ ، وأمّا عن صِباً فتذودها
تصيَّد ألباب الرجال بدَلّها ... وشيمتها وَحشيةٌ لا نصيدها
كباسقة الوسميّ ساعة أسبلت[3] ... تلألأ فيها البرق وابيضّ جيدُها

— الباسقة : التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه ، قال الله تبارك وتعالى : (والنخل باسقاتٍ) —

كبِكرٍ تُراني فَرقَدين بقفرة ... من الرمل أو فَيحان لم يَعسُ عودها[4]
لعمرو الندى عمرو بن آل مُكدَّم ... كثير عليَّات الأمور جليدها
فتًى بين مَسروحٍ وآل مُكدَّمٍ ... وعمرٌو فتى عثمان طُراًّ وسِيدها[5]

---

(١) النعف : موضع ، وأصله : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي . عاف : دارس ممحو . محّ : بلي .

(٢) كذا في جميع الاصول ما عدا ج ففيها «فأبية» .

(٣) الوسمي : مطر الربيع الاول . أسبلت : أمطرت .

(٤) بقرة بكر : فتية . تراني : من الرنو ، وهو إدامة النظر مع سكون الطرف . الفرقد : ولد البقرة . فيحان : اسم أرض . عسا : يبس وصلب .

(٥) السيد : الاسد .

حليم اذا ما الجهل أفرط ذا النهى على أمره ، حامي الحصاة شديدُها [١]
وما زال ينحو فعل مَن كان قبله مِنَ آبائه يجني العــلا ويفيدها
فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ وقرّبتَ مِن أدماء وارٍ قصيدها [٢]
وذي كُربةٍ فرّجتَ كُربةَ همّــه وقد ظلّ مُستَدًّا عليــه وصيدها [٣]

أخبرني عمي قال حدثني العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلّام ابن عبد الله بن أبي مسروح قال :

تزوّج أبو وجزة السعديّ زينب بنت عُرفطة بن سهل بن مكدّم المزنيّـة فولدت له عُبيداً وكانت قد عنّست [٤] ، وكان أبو وجزة يبغضها ، وإنما أقام عليها لشرفها ، فقال لها ذات يوم :

أعطى عُبيداً وعبيدٌ مقنــعُ من عِرمسٍ مَحزِمُها جَلَنفعُ [٥]
ذاتِ عساسٍ ما تكاد تشبع تجتلد الصحن وما إن تبضــع [٦]
تمرّ في الدار ولا تورّع كأنها فيهم شجــاعٌ أقرع [٧]

فقالت زينب أم أبي وجزة تجيبه :

---

(١) أفرطه : أعجله ، والحصاة العقل .

(٢) ناقة أدماء : بيضاء سوداء المقلتين . وار : سمين . القصيد : سنام البعير اذا سمن .

(٣) الوصيد : فناء الدار .

(٤) عنّست : طال مكثها في منزل أهلها بعد إدراكها .

(٥) العرمس : الناقة الصلبة الشديدة . المحزم : ما وضع عليه الحزام ، يعني البطن . جلنفع : واسعة البطن .

(٦) عساس : جمع عس (بالضم) ، وهو القدح الضخم . اجتلد الاناء : شرب كل ما فيــه . والصحن : العس العظيم . بضع من الماء وبه : روي وامتلأ .

(٧) تورّع : تتحرّج . الشجاع : ضرب من الحيات دقيق ، وشجاع أقرع : قد تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره .

أعطى عُبيداً من شُيَيْخ ذي عجرْ لا حسن الوجه ولا سمح يَسَرْ [١]
يشرب عُسَّ المَذق في اليوم الخَصِرْ كأنما يقذف في ذات السُّعُرْ [٢]
تقاذف السيل من الشِّعب المُضِرْ [٣]

قال : وقال أبو وجزة لابنه عُبيد :

يا راكب العنس كمرداة العَلَمْ أصاحك الله وأدنى ورحِمْ [٤]
إن أنت أبلغتَ وأدّيتَ الكَلِمْ عنى عبيد بن يزيد لو علِم
قد علم الأقوام أن سينتقم منك ومن أمّ تلقَّتك وعم
ربٌ يجازي السيئات مَن ظَلم أنذرتُك الشدّة مِن ليثٍ أضِمْ [٥]
عادٍ أبي شِبلين فَرفارٍ لحِم فارجع الى أمك تُفرشك ونَمْ [٦]
الى عجوز رأسها مثل الإرَمْ [٧] واطعم فإنّ الله رزّاق الطُعَمْ

فقال عبيد لأبيه :

دعها أبا وجزة واقعد في الغنمْ فسوف يكفيك غلامٌ كالزَّلَمْ [٨]
مشمّر يُرقل في نعلٍ خَذِمْ [٩] وفي قَفا لقمة من اللقم

---

(١) العجر (بالتحريك) : عظم البطن .

(٢) المذق : اللبن المخلوط . الخصر : البارد . السعر حرّ النار .

(٣) الشعب : مسيل الماء في بطن الارض . المضرّ : الداني القريب يقال : سحاب مضر : مسف ، وأضر السيل من الحائط : دنا منه .

(٤) العنس : الناقة الصلبة . والمرداة : الحجر الثقيل . العلم : الجبل .

(٥) الشدّة : الحملة . أضم : غضوب .

(٦) فرفار : يفرفر كل شيء ، أي يكسره . لحم : كثير لحم الجسد . وأفرشه : فرش له .

(٧) الارم : الحجارة .

(٨) الزلم : القدح (بالكسر) الذي لا ريش عليه .

(٩) أرقل : أسرع في سيره ، خذم : مقطع .

قد وَلّهتْ أَلاّفها غيرَ لَمٍ حتى تناهت في قَفَا جَعدٍ أَحَمّ[١]

قال يعقوب: وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيّره بنسبه:

دَعتك سُليمٌ عبدها فأجبتها وسعدٌ وما ندري لأيهما العبدُ؟

فأجابه أبو وجزة فقال:

أعيّرتموني أن دعتني أخاهم سليمٌ وأعطتني بأيمانها سعدُ
فكنت وسيطاً في سُليم معاقداً لسعد، وسعدٌ ما يحلّ لها عَقدُ[٢]

أخبرني أبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر الضُّبَعيّ إجازةً قال حدثنا محمد بن مسعود الزُّرَقي عن مسعود بن المفضّل مولى آل حسن بن حسن قال:

قدم أبو وجزة السعدي على عبد الله بن الحسن وإخوته سُوَيقة[٣]، وقد أصابت قومه سنة مجدبة، فأنشده قوله يمدحه:

أُثني على ابنيْ رسول الله أفضل ما أثنى به أحدٌ يوماً على أحدِ
السيدين الكريميْ كلِّ مُنصرفٍ من والدَين ومن صِهر ومن ولد
ذرّيّةٌ بعضها من بعضها عُمِرَت في أصل مجد رفيع السَّمك والعمد
ماذا بنى لهمُ من صالحٍ حسنٌ وحسنٌ وعليٌّ وابنَنُوا لغد
فكرّم الله ذاك البيتَ تكرمةً تبقى وتخلد فيه آخر الأبد
همُ السَّدى[٤] والندى، ما في قناتهم اذا تعوّجت العيدان من أَوَد

---

(١) ولهت: أحزنت وحيّرت. واللم: الجنون. الجعد: البخيل اللئيم. الاحم: الاسود.

(٢) الوسيط: الحسيب في قومه.

(٣) سويقة: موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) السدى: المعروف، يقال: أسدى اليه سدى. والاود. الاعوجاج.

مهذَّبون هِجانٌ آمهاتهم   اذا نُسِبن زُلال البارق البَرِدِ[1]
بين الفواطمِ ماذا ثَمَّ من كرم   الى العواتك مجد غير مُنتقد[2]
ما ينتهي المجد إلا في بني حسن   وما لهم دونه من دار مُلتحد[3]

قال : فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيم بمائةٍ وخمسين ديناراً وأوقروا[4] له رواحله بُرّاً وتمراً ، وكسوه ثوبين .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثني أبو غسّان والمدائني جميعاً :

أن عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعدي كان قد نُدِب لقتال أبي حمزة الأزدي الشاري لما جاء الى المدينة فغلب عليها ، قال : وبعث اليه مروان بن محمد بمال ، ففرّقه فيمن خف معه من قومه ، فكان فيمن فُرِضَ[5] له منهم أبو وجزة وابناه ، فخرج معترضاً للعسكر على فرس ، وهو يرتجز ويقول :

قل لأبي حمزة هِيدِ هيدِ[6]   جئناك بالعادية الصِّنديدِ
بالبطل القرم أبي الوليد   فارس قيسٍ نجلها المعدود[7]

---

(١) هجان : كرام . البارق : السحاب ذو البرق . البرد : ذو البرد .

(٢) يقال للحسن والحسين رضي الله عنهما ابنا الفواطم : أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدّتها فاطمة بنت أسد بن هاشم أمّ أبيهما علي بن أبي طالب وكانت أسلمت .

(٣) الملتحد : الملجأ .

(٤) أوقر الدابة : حملها وقراً (بالكسر) ؛ وهو الحمل الثقيل .

(٥) فرض له في العطاء : جعل له فريضة ونصيباً .

(٦) هيد هيد : النجا النجا .

(٧) القرم : السيد المعظم . النجل : الشجاع الشديد البأس الماضي فيما يعجز عنه غيره .

في خيل قيسٍ والكماة الصِيد[1] كالسيف قد سُلَّ من الغمود
محضٍ هجانٍ ماجدِ الجدود في الفرع من قيسٍ وفي العمود[2]
فِدًى لعبد الملك الحميد ما لي من الطارف والتليد
يوم تنادى الخيل بالصعيد كأنه في جُنَنِ[3] الحديد
سِيدٌ مُدِلٌّ عزَّ كلَّ سِيدِ[4]

قال : وسار ابن عطية في قومه ، ولحقت به جيوش أهل الشام ، فلقي أبا حمزة في اثني عشر ألفاً ، فقاتله يوماً الى الليل حتى أصاب صناديد عسكره ، فنادوه : يابن عطية ، إن الله جلّ وعزّ قد جعل الليل سكناً ، فاسكنوا حتى نسكن ، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .

قال : وكان أبو وجزة منقطعاً الى ابن عطية ، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفضل عليه ، وكان أبو وجزة مداحاً له ، وفيه يقول :

حَنَّ الفؤاد الى سُعدى ولم تُثبِ فيم الكثير من التَحنان والطربِ
قالت سعادُ أرى من شيبه عجباً مهلاً سعاد فما في الشيب من عجب

غنّى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من كتابه :

إمّا تريني كساني الدهر شيبته فإن ما مرّ منه عنكِ لم يغبِ
سَقياً لسعدى على شيب ألمّ بنا وقبل ذلك حين الرأس لم يشب

---

(١) الصيد : جمع أصيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً .

(٢) محض : خالص . رجل هجان : كريم الحسب نقيه . فرع كل شيء أعلاه .

(٣) جنن جمع جنة ، وهي : كل ما وقي .

(٤) السيد : الاسد . عز : فاق وغلب .

كأنّ ريقتها بعد الكرى اغتبقت   صوب[1] الثريا بماء الكرم من حلب

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

أهدي قِلاصاً عناجيجاً أضرّ بها   نَصُّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ[2]
يقصدن سيّد قيسٍ وابن سيّدها   والفارس العدّ[3] منها غير ذي الكذب
محمد وأبوه وابنه صنعوا   له صنائع من مجد ومن حسب
إني مدحتهم لمّا رأيت لهم   فضلاً على غيرهم من سائر العرب
إلّا تُثبني به لا يَجزني أحد   ومَن يُثيبُ اذا ما أنت لم تُثب !

والأبيات التي ذكرتُ فيها الغناء المذكور معه أمرُ أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبد الملك بن عطية هذا . ومما يختار منها قوله :

حتى اذا هَجدوا ألمّ خيالها   سرًّا ، ألا بلمامه كان المنى
طرَقت بريّاً روضةٍ من عالجٍ   وَسميّةٍ عذُبت وبيّتها الندى[4]
يا أمّ شيبة أيّ ساعة مطرقٍ   نبّهتنا ، أين المدينة مِن بَدا[5] ؟
إني متى أقض اللُّبانة أجتهد   عنقَ العتاق الناجيات على الوجى[6]
حتى أزورك إن تيسّر طائري   وسلمتُ من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول :

---

(١) اغتبق : شرب الغبوق وهو ما يشرب بالعشي . والصوب : المطر .

(٢) العناجيج هنا : الابل ، واحده عنجوج كعصفور . نص ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير . والوجيف : ضرب من سير الخيل والابل . والتقحيم : أن تقتحم الابل المراحل واحدة بعد الاخرى تطويها فلا تنزل فيها . والعقب : جمع عقبة وهي قدر فرسخين ، او قدر ما تسيره .

(٣) العدّ هنا : الذي لا تنفد شجاعته ، من قولهم ماء عدّ ، أي دائم لا تنفد مادّته .

(٤) الريا : الرائحة الطيبة . عالج : رملة بالبادية . وسمية : مطرت الوسمي وهو مطر الربيع الاول .

(٥) بدا : موضع بالشام قرب وادي القرى .

(٦) العنق : ضرب من سير الابل . الناجيات : المسرعات . الوجا : شدة الحفا .

فلأمدحنَّ بني عطيــة كلَّهم مدحاً يوافي في المواسم والقُرى
الأكرمين أوائــلا وأواخراً والأحلمين إذا تَخوّلجت الحُبا[١]
والمانعــين من الهضيمة جارهم والجامعين الراقعين لمـا وهى[٢]
والعاطفين على الضريك بفضلهم والسابقين الى المكارم مَن سعى[٣]

وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطيــة جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي ، ولا معنى للإطالة بذكرها .

مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه فيه :

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن اسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال .

كان أبو وجزة السعدي منقطعاً الى آل الزبير ، وكان عبد الله بن عروة بن الزبير خاصةً يُفضِل عليه ويقوم بأمره ، فبلغه أَن أبا وجزة أتى عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، فمدحه فوصله ، فاطّرحه ابن عروة ، وأمسك يده عنه ، فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصمّ بن أرطاة ، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير ، ولا يرجع له عبد الله بن عروة الى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه :

---

(١) تخولجت : تنوزعت . الحبا : جمع حبوة ، من احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، وتنازع الحبا يكون عند الخصومة ؛ يريد أنهم يحلمون حين يجهل غيرهم .

(٢) الهضيمة : الظلم والغصب . وهى : تخرّق وتشقق .

(٣) الضريك : الزمن والضرير والفقير السيء الحال .

آل الزُّبيرِ بنو حُرَّةٍ مَرَوا بالسيوف صدوراً خِنافا[١]
يَسلِ الجرد عنهم وأيامها اذا امتعطوا المرهفات الخِفافا

— امتعطوا : سَلّوا ، ومنه ذئبٌ أمعطُ ، مُنسلٌ من شعره —

يموتون والقتل داءٌ لهم ويصلَون يوم السياف السِّيافا[٢]
إذا فرج القتل عن عِيصهم أبى ذلك العيص[٣] إلا التفافا
مطاعيم تحمد أبياتهم إذا قُنِّع الشاهقاتُ الطَّخافا[٤]
وأجبن مِن صافرٍ كلبهم إذا قرعته حصاةٌ أضافا[٥]

فلما أنشد ابن عروة هذه الأبيات رضي عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

صوت

من المائة المختارة

ألا هل أسير المالكيَّة مُطلقُ فقد كاد لو لم يُعفه الله يَغلقُ[٦]
فلا هو مقتولٌ، ففي القتل راحة ولا منعمٌ يوماً عليه فمعتَق

---

(١) مرى الدم : استخرجه وأساله ومنه قوله :

مروا بالسيوف المرهفات دماءهم

خنافا : جمع خانف ، خنف بأنفه : شمخ بأنفه من الكبر .

(٢) سايفه : جالده بالسيف وضاربه .

(٣) العيص : الشجر الكثير الملتف .

(٤) قنعت : غطى رأسها . والطخاف : السحاب المرتفع .

(٥) الصافر : طائر يتعلق من الشجر برجليه وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليله . وأضاف : خاف وأشفق وحذر .

(٦) يغلق ، من غلق الرهن : اذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

الشعر لعقيل بن عُلَّفَة البيتُ الأوّل منه، والثاني لشبيب بن البرصاء، والغناء لأحمد بن المكي، خفيف ثقيل بالوسطى من كتابه، وفيه لدقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن بانة، وأوّله:

سلا أمَّ عمرو فيمَ أضحى أسيرُها يُفادى الأسارى حَوله وهو مُوثَقُ

وبعده البيت الثاني وهو:

فلا هو مقتولٌ ففي القتل راحةٌ ولا مُنعمٌ يوماً عليه فمعتَقُ

والبيتان على هذه الرواية لشبيب بن البرصاء.

أخبار عقيل بن علفة

نسبه :

عَقيل بن عُلَّفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غَيظ ابن مرّة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الرَّيث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مُضر ، ويكنى أبا العملّس وأبا الجرباء .

وأمّ عقيل بن عُلَّفة العوراء ، وهي عمرة بنتُ الحارث بن عوف بن أبي حارثة ابن مُرّة بن نُشبة بن غَيظ بن مُرّة . وأمها زينب بنت حِصن بن حذيفة . هذا قولُ خالد بن كلثوم والمدائني . وقال ابن الأعرابي : كانت عمرة العوراء أمّ عقيل ابن عُلَّفة والبرصاء أمّ شبيب بن البرصاء أختين ، وهما ابنتا الحارث بن عوف . واسم البرصاء قرصافة ، أمها بنت نجبة بن ربيعة بن رِياح بن مالك بن شمخ .

وعقيل شاعر مُجيد مقلّ ، من شعراء الدولة الأُموية . وكان أعرج جافياً شديد الهوَج والعجرفية والبذخ[1] بنسبه في بني مرّة ، لا يرى أنّ له كفئاً . وهو في بيتِ شرف في قومه من كلا طرفيه . وكانت قريشٌ ترغب مصاهرته . تزوج اليه خلفاؤها وأشرافها ، منهم يزيد بن عبد الملك ، تزوّج ابنته الجرباء ، وكانت قبله عند ابن عم لعقيل يقال له مطيع بن قطعة بن الحارث بن معاوية . وولدت ليزيد بُنيًا درج[2] . وتزوّج بنته عَمرةَ سلمة بن عبد الله بن المغيرة ، فولدت له يعقوب ابن سلمة ، وكان من أشراف قريش وُجودائها . وتزوّج أمّ عمرو بنته ثلاثةُ نفر من بني الحكم بن أبي العاص : يحيى والحارث وخالد .

(١) البذخ : الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره .

(٢) درج : مات .

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن يحيي ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضَّل قال :

دخل عقيل بن عُلَّفة على عثمان بن حيَّان وهو يومئذٍ على المدينة ، فقال له عثمان : زوّجني ابنتك ، فقال : أبكرةً من إبلي تعني ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنونٌ أنت ! قال : أي شيء قلتَ لي ؟ قال : قلت لك : زوّجني ابنتك ، فقال : أفعلُ إن كنت عنيتَ بَكرةً من إبلي . فأمر به فوُجئت[1] عُنقه . فخرج وهو يقول :

كنا بني غَيظ الرجال فأصبحت   بنو مالكٍ غَيظاً وصرنا كمالك
لحى الله دهراً ذَعذع المال كلّه   وسوّد أشباه الإماء العوارك[2]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال :

كان لعقيل بن عُلَّفة جارٌ من بني سَلامان بن سعد ، فخطب اليه ابنته ، فغضب عَقيل ، وأخذ السلاماني فكتفه[3] ، ودهن استه بشحم ، وألقاه في قرية[4] النمل ، فأكلن خُصييه حتى ورم جسده ، ثم حلّه وقال : يخطب إليّ عبد الملك فأردّه ، وتجترىء أنت عليّ ! قال : ثم أجدبت مراعي بني مُرّة ، فانتجع عقيل أرض جُذام وقُربهم عُذرة . قال عقيل : فجاءني هُنيٌّ مثلُ البعرة ، فخطب إليّ ابنتي أمّ جعفر . فخرجت الى أكمة قريبة من الحي ، فجعلت أنبح كما ينبح الكلب ، ثم تحملت وخرجت ، فاتّبعني جمعٌ من حُنّ (بطن من عذرة) فقالوا : اختر ، إن

---

(١) وجأه باليد وبالسكين : ضربه . والعنق يذكر ويؤنث .

(٢) ذعذع المال : فرّقه وبدّده . وسوّده : جعله سيداً . والعوارك : الحيض .

(٣) كتف الرجل يكتفه (بالكسر) ، وكتفه (بالتشديد) : شدّ يديه من خلفه بالكتاف وهو ما شدّ به .

(٤) قرية النمل : مجتمع ترابها .

شئت حبسناك ، وإن شئت حَدَرناك[1] وبُعَيرة من رأس الجبل ، فإن سبقتها خلّينا عنك . فأرسلوا بعيرة فسبقتها ، فخلّوا سبيلي ، فقلت لهم : ما طمعتم بهـذا من أحد ! قالوا : أردنا أن نضع منك حيث رغبت عنّا . فقلت فيهم :

لقد هزئتْ حُنٌ بنـا وتلاعبت ... وما لعبتْ حُنٌ بذي حسب قبلي
رويداً بني حُنٍّ تسيحوا وتأمنوا ... وتنتشر الأنعـام في بلد سهل

والله لأموتنّ قبل أن أضع كرائمي إلا في الأكفاء .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال :

وجدتُ في كتاب بخط الضحّاك قال : خرج عقيل بن علّفة وابناه : عُلّفـة وجثّامة ، وابنته الجرباء حتى أتوا بنتاً له ناكحاً[2] في بني مروان بالشام فآمت[3] . ثم إنهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق ، فقال عقيل بن علفة :

قضت وطراً من دير سعدٍ[4] وطالما ... عـلى عُرُضٍ ناطحنَه بالجماجمِ
إذا هبطت أرضاً يموت غرابهـا ... بهـا عطشاً أعطينهم بالخزائم[5]

ثم قال : أنفِذ يا علفة ، فقال علفة :

---

(١) حدرناك ، من الحدر : وهو الحط من علو الى سفل .

(٢) ناكح وناكحة : ذات زوج .

(٣) آمت المرأة : فقدت زوجها .

(٤) دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .

(٥) الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي منخري البعير لينقاد بها . يريد أن الابل منقادة .

فأصبحن بالمَوماة يحملن فتيةً نشاوى من الأدلاج مِيل العمائمِ (١)
إذا علمٌ غادرنــه بتنوفة تذارعن بالأيدي لآخر طاسم (٢)

ثم قال: أنفذي يا جرباء، فقالت: وأنا آمنة؟ قال نعم. فقالت:

كأنّ الكرى سقاهم صَرخديّةً عُقــاراً تمشّى في المطا والقوائم (٣)

فقال عقيل: شربتها ورب الكعبة! لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قُرطك، أما وجدت من الكلام غير هذا! فقال جثّامة: وهل أساءت! إنمــا أجازت، وليس غيري وغيرُك. فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرّحل، ثم شدّ على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثّامة وتركه عقيراً مع ناقة الجرباء. ثم قال: لولا أن تسبَّني بنو مرّة ما ذقتِ الحياة. ثم خرج متوجّهاً الى أهله وقال: لئن أخبرتِ أهلك بشأن جثّامة، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك. فلما قدِموا على أهل أُبَير (وهم بنو القَين) ندم عقيل على فعله بجثّامة. فقال لهم: هل لكم في جَزور انكسرت؟ قالوا: نعم. قال: فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور، فخرج القوم حتى انتهوا الى جثّامة فوجدوه قد أنزفه الدم، فاحتملوه وتقسّموا الجزور، وأنزلوه عليهم، وعالجوه حتى برأ، وألحقوه بقومه.

ونسخت هذا الخبر من كتاب عبد الله اليزيديّ بخطه ولم أجده ذكر سماعه إياه من أحد قال:

قرئ على علي بن محمد المدائني عن الطّرمّاح بن خليل بن أبرد، فذكر مثل ما

---

(١) الموماة: المفازة الواسعة. نشاوى: سكارى. الادلاج: السير من أول الليل.

(٢) العلم: شيء ينصب في الفلوات تهتدي به الضالة. التنوفة: المفازة. تذارعن: سرن، وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً؛ إذا سار على قدر سعة خطوه. رسم طاسم دارس.

(٣) الصرخدية: نسبة الى صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. العقار: الخمر. المطا: الظهر.

ذكره الزبير منه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جثَّامة ليلحقوه بقومه ؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنى جثّامة :

أَيُعذَر لاهينا ويُلحَين في الصِّبا وما هنّ والفتيـان إلا شقائقُ

فقال له القوم : إنما أفلتّ من الجراحة التي جرحك أبوك آنفاً ، وقد عاودت ما يكرهه ، فأمسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لا يلحقك منه شرّ وعرّ[1] . فقال : إنما هي خطوةٌ خطرت ، والراكب إذا سار تغنّى .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن ابراهيم الجمحي قال :

قدِم عقيل بن عُلَّفة المدينة فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلمة المخزومي ، فمرض وأصابه القولنج[2] ، فنعتتْ له الحقنة ، فأبى . وقدِم ابنه عليه فبلغه ذلك ، فقال :

لقد سرني والله وقَاك شرَّها نجاؤك منها حين جاء يقودُها
كبي خزيةً[3] ألا تزال مجبّياً على شكوة[4] توكى وفي أستك عودها

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا عليّ بن محمد عن زيد بن عياش التغلبي والربيع بن ثُميل قالا :

غدا عقيل بن علّفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع ، فإذا بنوه مع بناته وأمّهم مجتمعون ، فشدّ على عملّس فحاد عنه ، وتغنى علّفة فقال :

---

(١) عرّه بمكروه : أصابه به وساءه .

(٢) القولنج : مرض معويّ .

(٣) يقال : جبي فلان ؛ إذا أكب على وجهه باركاً .

(٤) الشكوة : القربة الصغيرة . وتوكى : تربط .

قفي يابنة المرّيّ أسألك ما الذي تريدين فيما كنتِ منّيتنا قبلُ
نخبّرك إن لم تنجزي الوعد أننا ذوَا خُلة لم يبق بينهما وصل
فإن شئت كان الصُّرم ما هبّت الصبا وإن شئتِ لا يفني التكارم والبذل

فقال عقيل : يابن اللَّخناء[١] ، متى منّتك نفسك هذا! وشدّ عليه بالسيف – وكان عملّس أخاه لأمه – فحال بينه وبينه، فشدّ على عملّس بالسيف وترك علّفة لا يلتفت اليه ، فرماه بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فسقط عقيل وجعل يتمعّك[٢] في دمه ويقول :

إنّ بنيّ سربلوني بالدّم من يلقَ أبطال الرجال يُكلَمِ
ومَن يكن ذا أوَدٍ يُقوَّم شِنشنة[٣] أعرفها من أخزم

قال المدائني : « شنشنة أعرفها من أخزم » مثلٌ ضربه . وأخزمُ : فحلٌ كان لرجل من العرب ، وكان منجباً ، فضرب في إبل رجلٍ آخر – ولم يعلم صاحبه – فرأى بعد ذلك من نسله جملاً ، فقال : شنشنة أعرفها من أخزم .

عاتبه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته فأجابه :

أخبرني محمد بن خلف وقيعٌ قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني مصعب بن عبد الله قال :

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن علّفة : إنك تخرج الى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كالئ لهنّ ، والناس ينسبونك الى الغيرة ، وتأبى أن تزوّجهن

(١) اللخناء ؛ من اللخن ، (بالتحريك) ، وهو النتن .

(٢) يتمعك في دمه : يتمرغ .

(٣) الشنشنة : الخليقة .

إلا الأكفاء . قال : إني أستعين عليهن بخلّتين تكلأنهن ، وأستغني عن سواهما . قال : وما هما ؟ قال : العُريُ والجوع .

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي :

قال خالد بن كلثوم : لما رمى عملّس بن عقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألا يساكن بنيه ، فاحتمل وخرج الى الشام ، فلما استوى على ناقته المسماة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنّت ناقته ، فقال :

ألم تريا أطلال حنّتْ وشاقها تفرّقنا يوم الحبيب[1] على ظهرِ
وأسبل من جرباء دمعٌ كأنّه جمانٌ[2] أضاع السلك أجرته في سطر
لعمرُك إني يوم أغدو عملّساً لكالمتربّي[3] حتفه وهو لا يدري
وإني لأسقيه غبوقي وإنني لغرثانُ منهوك الذراعين والنحر[4]

قال : ومضى علّفة أيضاً ، فافترض[5] بالشام وكتب الى أبيه :

ألا أبلغا عنّي عقيلاً رسالةً فإنك من حربٍ عليّ كريمُ
أما تذكر الأيام إذ أنت واحد وإذ كلّ ذي قُربى اليك ذميم
وإذ لا يقيك الناس شيئاً تخافه بأنفسهم إلا الذين تضيم
تناول شأوَ الأبعدين ولم يقم لشأوك بين الأقربين أديم
فإمّا إذا عضّت بك الحرب عضّةً فإنك معطوفٌ عليك رحيم

(١) حبيب : بلد من أعمال حلب بسورية .

(٢) الجمان : اللؤلؤ الصغار أو حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ .

(٣) تربيه وترباه : أحسن القيام عليه ووليه .

(٤) غرثان : جائع . النحر الصدر .

(٥) افترض الجند : أخذوا عطاياهم .

وأمّا إذا آنستَ أمناً ورخوةً فإنك للقربى ألدُّ[1] ظَـلومُ

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضي عنه : وبعث اليه فقدِم عليه .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن محمـد بن سلّام قال حدثني ابن جُعدُبة قال :

عاتب عمر بن عبد العزيز رجلًا من قريش ، أمّه أختُ عَقيل بن علّفة فقال له : قبحك الله ! أشبهت خالك في الجفاء . فبلغتْ عقيلًا فجاء حتى دخل على عمر فقال له : ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيّره به إلا خؤولتي ! فقبح الله شرّ كما خالًا . فقال له صُخَير بن أبي الجهم العدويّ (وأمّه قرشية) : آمين يا أمير المؤمنين . فقبح الله شرّكما خالًا ، وأنا معكما أيضاً . فقال له عمر : إنك لأعرابيٌّ جِلفٌ جافٍ ، أما لو كنت تقدّمتُ اليك لأدّبتك . والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً ، قال : بلى ، إني لأقرأ ، قال : فاقرأ . فقرأ : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى بلغ الى آخرها فقرأ : فمن يعمل مِثقال ذرةٍ شرًّا يره ومن يعمل مِثقال ذرةٍ خيراً يره ، فقال له عمر : ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال : أو لم أقرأ ؟ قال : لا ، لأنّ الله جلّ وعزّ قدّم الخير وأنك قدمت الشر . فقال عقيل :

خذا بطن هَرْشَى[2] أو قفاهـا فإنه كِلا جانبيْ هرشى لهنّ طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفيّته .

وروى هذا الخبر عليُّ بن محمد المدائني ، فذكر أنه كان بين عُمَر بن عبـد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلامٌ ، فأغلظ يعقوب لعمر في الكلام فقال له عمر : اسكت فإنك ابن أعرابية جافيةٍ . فقال عقيل لعمر : لعن الله شرّ

(١) الالد : الخصم الجدل الذي لا يرجع الى الحق .

(٢) هرشى : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة .

الثلاثة ، مني ومنك ومنه ! فغضب عمرُ ، فقال له صُخَير بن أبي الجهم : آمين . فهو والله أيها الأمير شرُّ الثلاثة . فقال عمر : والله إني لأراك لو سألته عن آية من كتاب الله ما قرأها . فقال : بلى والله إني لقارئ لآيةٍ وآياتٍ فقال : فاقرأ ، فقرأ : إنّا بعثنا نوحاً الى قومه ، فقال له عمر : قد أعلمتك أنك لا تحسن . ليس هكذا قال الله ، قال : فكيف قال ؟ قال : (إنّا أرسلنا نوحاً) فقال : وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا !

خذا أنف هرشى أو قفاهـا فإنه كلا جـانبي هرشى لهنّ طريقُ

أخبرني عبيد الله بن أحمد الرازي قال حدثنا أحمـد بن الحارث الخرّاز قال حدثني علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أسلم القرشي قال :

قدِم عقيل بن علّفة المدينة ، فدخل المسجد وعليـه خُفّان غليظان ، فجعل يضرب برجليه ، فضحكوا منه فقال : ما يضحككم ؟ فقال له يحيى بن الحكم – وكانت ابنة عقيل تحته – : يضحكون من خُفّيك وضربك برجليك وشدة جفائك . قال : لا ، ولكن يضحكون من إمارتك ؛ فإنها أعجبُ من خُفّي . فجعل يحيى يضحك .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي عن عبد الله بن مصعب قاضي المدينة قال :

دخل عقيل بن علّفة على يحيى بنِ الحكم ، وهو يومئذٍ أميرُ المدينة . فقال له يحيى : أنكح ابنَ خالي – يعني ابنَ أوفى – فلانة ابنتك ؟ فقال : إن ابنَ خالك ليرضى مني بدون ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : أن أكفّ عنه سنَنَ[1] الخيل إذا غشيتْ سوامه[2] . فقال يحيى لحرسيَّين بين يديه : أخرِجاه . فأخرجاه ، فلما ولّى قال :

---

(١) السنن : استنان الخيل ، وهو عدوها لمرحها ونشاطها .

(٢) السوام : كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلي يرعى حيث شاء .

أعيداه إليّ ، فأعاداه ، فقال عقيل له : مالك تُكرِّبني إكرار الناضح[١] ؟ قال : أما والله إني لأُكرك أعرج جافياً . فقال عقيل : كذلك قلت :

تعجّبت إذ رأت رأسي تجلّله من الروائع شيبٌ ليس من كبرِ
ومن أديمٍ تولّى بعد جدّته والجفن يخلق فيه الصارم الذكر[٢]

فقال له يحيي ، أنشدني قصيدتك هذه كلها . قال : ما أنتهيت إلّا الى ما سمعت . فقال : أما والله إنك لتقول فتقصِر ، فقال : إنما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة . قال : فأنكحني أنا إحدى بناتك . قال : أمّا أنت فنعم . قال : أما والله لأملأنك مالًا وشرفاً . قال : أما الشرف فقد حمّلت ركائبي منه ما أطاقت ، وكلفتها تجشّمَ ما لم تطِق ، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاح الأيِّم ورضا الأبيّ . فزوّجه ثم خرج فهداها اليه ، فلما قدِمت عليه بعث اليها يحيي مولاةً له لتنظر اليها ، فجاءتها فجعلت تغمز عضدَها . فرفعت يدها ، فدقّت أنفها . فرجعت الى يحيي وقالت : بعثتني الى أعرابية مجنونةٍ صنعت بي ما ترى ! فنهض اليها يحيي ، فقال لها : مالك ؟ قالت : ما أردت أن بعثتَ إليّ أمة تنظر إليّ ! ما أردت بما فعلت إلا أن يكون نظرك إليّ قبل كل ناظر ، فإن رأيتَ حسناً كنتَ قد سبقتَ الى بهجته ، وإن رأيتَ قبيحاً كنتَ أحق مَن ستره . فسرّ بقولها وحظيتْ عنده .

وذكر المدائني هذا الخبر مثله ، إلا أنه قال فيه : فإن كان ما تراه حسناً كنتَ أوّل من رآه ، وإن كان قبيحاً كنت أوّل من واراه .

زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء :

أخبرني ابنُ دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال :

---

(١) الناضح : الدابة يستقى عليها الماء .

(٢) الذكر والذكير من الحديد : أيبسه وأشده وأجوده ، وفي البيت إقواء .

خطب يزيد بنُ عبد الملك الى عقيل بن علَّفة ابنته الجرباء، فقال له عقيل: قد زوّجتكها، على أن لا يزفّها اليك أعلاجك[1]؛ أكون أنا الذي أجيء بها اليك. قال: ذلك لك. فتزوّجها، ومكثوا ما شاء الله. ثم دخل الحاجب على يزيد فقال له: بالباب أعرابيٌّ على بعيرٍ، معه أمرأةٌ في هودج قال: أواه والله عقيلًا. قال: فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه، ثم أخذ بيدها فأذعنت، فدخل بها على الخليفة فقال له: إن أنتما وُدِنْ[2] بينكما، فبارك الله لكما، وإن كرهت شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعت يدها في يدك ثم برئت ذمتك. فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله[3] وأعطاه. ثم مات الصبيّ، فورثت أُمه منه الثلث، ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب اليه: إن أبنك وأبنتك هلكا، وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرة آلاف دينارٍ، فهلمّ فاقبضه. فقال: إن مصيبتي بابني وأبنتي تشغلني عن المال وطلبه، فلا حاجة لي في ميراثهما، وقد رأيت عندك فرساً سبقت عليه الناس، فأعطنيه أجعله فحلًا لخيلي. وأبى أن يأخذ المال، فبعث اليه يزيد بالفرس.

أخبرنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا الخرّاز عن المدائني عن اسحاق بن يحيى قال:

رأيت رجلًا من قريش يقول له عقيل بن علَّفة: بالرّفاء والبنين والطائر المحمود. فقلت له: يابن علّفة؛ إنه يُكرَه أن يقال هذا، فقال: يأبن أخي، ما تريد الى ما أحدث! إنّ هذا قول أخوالك في الجاهلية الى اليوم لا يعرفون

---

(١) أعلاج. جمع علج (بكسر فسكون): الرجل الشديد الغليظ.

(٢) الودن والودان: حسن القيام على العروس؛ ويقال: ودن العروس: أحسن القيام عليها.

(٣) نحله، من النحل (بالضم)، وهو العطية والهبة.

غيره. قال: فحدّثتُ به الزهري فقال: إن عقيلاً كان من أجهل الناس. قال: وإنما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة: «هذا قول أخوالك»، لأن أم يحيى بن طلحة مرّية.

قال المدائني وحدثني عليُّ بن بشرٍ الجُشميّ قال قال الرُّمَيح:

خطب الى عقيلٍ رجل من بني مُرّة كثير المال يغمز في نسبه، فقال:

لعمري لئن زوّجتُ من أجل ماله هجيناً[1] لقد حُبّت إليّ الدراهمُ
أأنكح عبداً بعد يحيى وخالدٍ أولئك أكفائي الرجال الأكارم
أبى ليَ أن أرضى الدنيّة أنني أمدُّ عِنانا لم تخنه الشكائم[2]

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيديّ بخطه يأثُره[3] عن خالد بنِ كلثوم بغير إسناد متصل بينهما:

أن رجلاً من بني مُرّة يقال له داود أقبل على ناقةٍ له، فخطب الى عقيل ابن علّفة بعض بناته، فنظر اليه عقيل – وإنّ السيف لا يناله – فطعن ناقته بالرمح فسقطت وصرعته، وشدّ عليه.عقيلٌ فهرب، وثار عقيلٌ الى ناقته فنحرها، وأطعمها قومه وقال:

ألم تقل يا صاحب القلوص داودَ ذا الساج[4] وذا القميص

---

(١) الهجين: العربي ابن الأمة.

(٢) الشكيمة في اللجام، الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(٣) يأثره: ينقله ويرويه.

(٤) الساج: الطيلسان الضخم الغليظ.

كانت عليه الأرض حِيصَ بيصَ[١] حتى يَلُفّ عيصه بعيصي[٢]
وكنت بالشبان ذا تقميص

فقال داود فيه من أبيات :

أراه فتى جعل الحلال ببيته حراماً ويَقري الضيف عَضباً مهنّدا

وقال المدائني حدثني جوشن بن يزيد قال :

لما تزوّج عقيل بن علّفة زوجته الأنمارية – وقد كبر – فرّت منه ، فلقيها جحّافٌ ، أحد بني قِتال بن يربوع ، فحملها الى عامل فَدَك ، وأصبح عقيل معها ، فقال الأمير لعقيل : ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الجرباء ؟ فقال عقيلٌ : كلّ ذكري ، وذهب ذَفَري[٣] ، وتغايب نفري ، فقال : خذ بيدها ، فأخذها وانصرف ، فولدت له بعد ذلك علّفة الأصغر .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :

لما نشبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بن مُرّة رهط عقيل ابن علّفة المرّي – وهو من بني غيظ بن مُرّة بن سهم بن مُرّة إخوتهم – فاقتتلوا في أمرِ يهوديٍّ خمّارٍ كان جاراً لهم ، فقتلته بنو جوشنٍ من غطفان ، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقيل بن علّفة بالشأم غائباً عنهم ، فكتب الى بني سهم يُحرّضهم .

فإمّا هلكتُ ولم آتِكم فأبلغ أماثل سهمٍ رسولا

(١) حيص بيص في الاصل : جحر الفأر .

(٢) عيص المرء : أصله .

(٣) الذفر : شدة ذكاء الريح .

بان التي سامكم قومكم لقد جعلوها عليكم عُدولا
هوان الحياة وضيمُ الممات وكلّا أراه طعاماً وبيلا
فإن لم يكن غير إحداهما فسيروا الى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبكم مُنّةٌ كفى بالحوادث للمرء غُولا[١]

قال: فلما وردت الأبيات عليهم تكفّل بالحرب الحصين بن الحمام المرّيّ أحد بني سهم، وقال: إليّ كتب وبي نوّه، خاطب أماثل سهل وأنا من أماثلهم. فأبلى في تلك الحروب بلاء شديداً. وقال الحصين بن الحمام في ذلك من قصيدة طويلة له:

يَطأن من القتلى ومن قِصَدِ القنا خَباراً[٢] فما ينهضن إلّا تقحّما
عليهنّ فتيانٌ كساهم محرّقٌ[٣] وكان اذا يَكسو أجاد وأكرما
صفائح بُصرى أخلصتها قُيونُها ومطّرداً[٤] من نسج داود محكما
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجدْ لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وقال المدائني قال جرّاح بن عصام بن نُجَير:

نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردها اليه وقال شعراً في ذلك:

عدَت بنو جعفر بن كلاب على جار لعقيل فأطردت إبله وضربوه، فغدا

(١) الغول: كل ما أهلك الانسان.

(٢) القصد: جمع قصدة، وهي القطعة من القناة المتكسرة. الخبار من الارض. ما لان واسترخى.

(٣) محرق: لقب عمرو بن هند وإنما سمي بذلك لانه حرق مائة من بني تميم.

(٤) قيون: جمع قين: وهو الحداد، ومطرداً: أي درعاً مطرداً (والدرع قد تذكر) اطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً، والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت.

عقيل على جار لهم فضربه ، وأخذ إبله فأطردها ، فلم يردّها حتى ردّوا إبل جاره وقال في ذلك :

إن يَشرق الكلبيّ فيكم بريقه بني جعفر يُعجَل لجاركم القتلُ
فلا تحسبوا الإسلام غيّر بعدكم رماح مواليكم فذاك بكم جهل
بني جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا ندِنكم كما كنّا ندينكم قبل
بدأتم بجاري فانثنيتُ بجاركم وما منهما إلا له عندنا حبل

وذكر المدائني أيضاً :

أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين :

أن عقيلًا كان وحده في إبله ، فمر به ناس من بني سلامان فأسروه ، ومروا به في طريقه على ناس من بني القين ، فانتزعوه منهم ، وخلّوا سبيله . فقال عقيل في ذلك :

أسعد هُذَيم إنّ سعداً أباكمُ أبى لا يوافي غاية القين من كلبِ
وجاء هُذَيمٌ والركاب مُناخةٌ فقيل تأخّر يا هذيمُ على العَجْبِ (١)
فقال هذيم إن في العجب مركبي ومركب آبائي وفي عجبها حسبي

قال : وسعد هذَيم هم عُذرة وسلامان والحارث وضَبَّة :

مات ابنه علفة بالشام فرثاه :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن المدائني عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عُمَيلة قال :

---

(١) العجب : أصل الذنب وهو العصعص .

مات علفة بن عقيل الأكبر بالشأم، فنعاه مضرّس بن سَوادة لعقيل بأرض الجناب، فلم يصدقه وقال :

قبح الآله – ولا أقبح غيره – ثَفَرَ[1] الحمار مضرّس بنَ سوادِ
تنعى امرأ لم يَعلُ أمكَ مثله كالسيف بين خضارمٍ[2] أنجاد

ثم تحقق الخبر بعد ذلك، فقال يرثيه :

لعمري لقد جاءت قوافل خبّرت بأمرٍ من الدنيا عليّ ثقيلِ
وقالوا ألا تبكي لمصرع فارس نعته جنود الشام غيرِ ضئيل
فأقسمت لا أبكي على هُلك هالكٍ أصاب سبيل اللهِ خيرَ سبيل
كأن المنايا تبتغي في خيارنا لها نسباً أو تهتدي بدليل
تحلُّ المنايا حيث شاءت فإنها محلَّلَةٌ بعد الفتى ابن عقيل
فتىً كان مولاه يحلُّ بربوةٍ فحلَّ الموالي بعده بمسيل

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : قال : كان عقيل بن علّفة قد أطرد بنيه، فتفرّقوا في البلاد وبقي وحده. ثم إن رجلاً من بني صِرمة، يقال له بَجيل – وكان كثير المال والماشية – حطم بيوتَ عقيل بماشيته، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل إلا لقيَ شرّاً. فطردت صافنة (أمةٌ له) الماشية، فضربها بَجيلٌ بعصا كانت معه فشجَّها. فخرج اليه عقيل وحده – وقد هرم يومئذٍ وكبرت سِنُّه – فزجره فضربه بجيل بعصاه،

(١) الثفر : السير الذي في مؤخر السرج تحت ذنب الدابة .

(٢) خضارم، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

وأحتقره : فجعل عقيل يصيح : يا علَّفة ، يا عملَّس، يا فلان ، يا فلان، بأسماء أولاده مستغيثاً بهم ، وهو يحسبهم لهرمه أنهم معه . فقال له أرطاة بن سُهَية :

أكلتَ بنيك أكلَ الضبِّ حتى   وجدتَ مرارةَ الكلأْ الوبيلِ
ولو كان الألى غابوا شهوداً   منعتَ فِناء بيتك من بجيل

وبلغ خبر عقيل ابنه العملَّس وهو بالشام، فأقبل الى أبيه حتى نزل اليه ، ثم عمد الى بجيل فضربه ضرباً مبرّحاً ، وعقر عدّة من إبله وأوثقه بحبل ، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه ، ثم ركب راحلته ، وعاد من وقته الى الشام، لم يطعم لأبيه طعاماً ، ولم يشرب شراباً .

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا ابن عائشة قال :

نزل أعرابي على المقشَعِرّ بن عقيل بن علَّفة المرّيّ فشربا حتى سكرا وناما ، فانتبه الأعرابي مُرَوَّعاً في الليل وهو يهذي ، فقال له المقشعرّ : مالك ؟ قال : هذا ملك الموت يقبض روحي . فوثب ابن عقيل فقال : لا والله ولا كرامة ولا نُعمةَ[1] عينٍ له ! أيقبض روحك وأنت ضيفي وجاري ! فقال : بأبي أنتم وأمي ! طال والله ما منعتم الضَّيم . وتلفَّف ونام .

تمت أخبار عقيل ولله الحمد والمنة .

قد مضت أخبار عقيل فيما تقدّم من الكتاب ، ونذكر هاهنا أخبار شبيب ابن البرصاء ونسبه ، لأن المغنين خلطوا بعض شعره ببعض شعر عقيل في الغناء الماضي ذِكرُه ، ونعيد ها هنا من الغناء ما شعره لشبيبٍ خاصةً وهو :

---

(١) نعمة عين : قرتها .

صوت

من المائة المختارة

سَلا أمُّ عمرٍو فيما أضحى أسيرُها   تُفادى الأُسارى حوله وهو موثق
فلا هو مقتول ففي القتل راحةٌ   ولا منعمٌ يوماً عليه فطلق

ويروى :

ولا هو ممنونٌ عليه فطلقُ

الشعر لشبيب بن البرصاء، والغناء لدُقاق جارية يحيي بن الربيع . رملٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر حبشٌ أن فيه رملًا آخر لطويس .

أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

هو شبيبُ بن يزيد بن جمرة ، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرّة ابن نُشبة بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذُبيان . والبرصاء أمه ، واسمها قِرصافة بنتُ الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وهو ابن خالة عقيل بن عُلّفة ، وأم عقيل عَمْرَة بنت الحارث بن عوف ، ولُقِّبت قِرصافةُ البرصاء لبياضِها ، لا لأنها كان بها برص .

وشبيبٌ شاعرٌ فصيح إسلاميٌّ من شعراء الدولة الاموية ، بـدَويّ لم يَحضُر إلا وافداً أو منتجعا . وكان يُهاجي عَقيلَ بن عُلّفة ويُعاديه لشراسة كانت في عقيل وشر عظيم . وكلاهما كان شريفا سيّداً في قومه ، في بيت شرفهم وسُؤدُدهم . وكان شبيب أعور ، أصاب عينه رجل من طيّء في حرب كانت بينهم .

أخـبرنا محمدُ بن الحسن بن دُرَيد قال حدثنا أبو حاتم السِّجستانيّ عن ابي عُبيدة قال :

دخل أرطاة بن سُهيَّة على عبد الملك بن مروان – وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء – فأنشده قوله فيه :

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل جَنيبـاً[1] لآبائي وأنت جَنيبُ

فقال له عبد الملك : كذبت ! ثم أنشده البيت الآخر فقال :

---

(١) الجنيب : المنقاد التابع .

وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارها برأسكَ عاديُّ النِّجاد رَكُوبُ[١]

فقال له عبد الملك : صدقت. وكان أرطاة افضل من شبيبٍ نفساً، وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتاً .

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثنا الخَزَنبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال :

فاخر عَقيل بن عُلّفة شبيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه، ويُعيّره برجل من طيّ كان يأتي أمه عَمْرة بنت الحارث يقال له حيّانُ، ويهجو غيظ بن مرّة :

ألسنا بفُرعٍ[٢] قد علمتم دِعامةً ورابيـةً تنشقُّ عنها سيولُها
وقد علِمت سعد بن ذُبيان أننا رحاها[٣] الذي تأوي اليها وُجولهـا[٤]
إذا لم نَسُسكم في الامور ولم نكن لحربٍ عوانٍ لاقحٍ مَن يَئولها[٥]
فلستم بأهدى في البلاد مِن التي تَرَدَّدُ حَيْرَى حيـن غاب دليلها
دعت جُعلٌ يربوع عقيـلا لحادثٍ من الامر فاستخفى وأعيـا عقيلُها
فقلت له : هـلّا أجبتَ عشيرةً لطارقِ ليلٍ حين جاء رسولُها !
وكائن لنا من رَبوة لا تنالهـا مَراقيك او جُرثومةٍ لا تطولُهـا

(١) العادي : القديم، والنجاد : جمع نجد. وهو الطريق مرتفع، والركوب : المركوب الموطوء.

(٢) الفرع : عدة قرى آهلة على اربعة ايام من المدينة .

(٣) رحى القوم : سيدهم الذي يصدرون عن رأيه وينتهون الى امره .

(٤) الجول : الصخرة التي في الماء يكون عليها الطيّ فإن زالت تلك الصخرة تهوّر البئر.

(٥) حرب عوان : قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الاولى بكرا، وحرب لاقح : من لقحت الناقة إذا حملت فهي لاقح، على التشبيه بالانثى الحامل التي لا يدرى ما تلد، يئولهـا : يسوسها، و «من» خبر «نكن» ؛ أي سائسين لها .

فخرتَ بأيامٍ لغيرِك فخرُها وغُرَّتُها معروفةٌ وحُجُولُها
إذا الناس هابوا سوءةً عمدتْ لها بنو جابرٍ شُبَّانُها وكُهولُها
فهلّا بني سعدٍ صبحتَ بغارةٍ مُسوَّمةٍ قد طار عنها نسيلُهـا! [1]
فتُدركَ وِتراً عنـد ألأم واترٍ وتُدرِكَ قتلى لم تُتَمْ عقولُهـا [2]

افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه:

وقال أبو عمرو: اجتمع عَقيل بن عُلَّفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحَكَم فتكلّما في بعض الأمر، فأستطال عقيلٌ على شبيب بالصِّهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زوّج ثلاثاً من بناته فيهم، فقال شبيب يهجوه:

ألا أبلغ أبا الجرباء عـني بآيات التبـاغض والتَّقالي
فلا تذكُرْ أباكَ العبد وافخر بأمّ لستَ مُكرِمَها وخال
وهبها مُهرةً لَقحت ببغـل فكان جنينهـا شرَّ البغال
اذا طارت نفوسُهم شعاعاً حَمَينَ المُحصَنات لدى الحجال [3]
بطعنٍ تعثُرُ الابطالُ منـه وضربٍ حيثُ تُقتنصُ العوالي [4]
أبى لي ان آبائي كرام بَنَوا لي فوق أشرافٍ طوال [5]
بيوتَ المجد ثم نموت منهـا الى علياء مُشرفة القَذال

(١) الغارة: الخيل المغيرة. مسوّمة: مرسلة وعليها ركبانها، أو معلمـة. النسيل ما سقط من شعر وصوف.

(٢) العقول: جمع عقل، وهو الدية.

(٣) شعاعاً: متفرقة. والحجال جمع حجلة كرقبة: وهي الكلّة تهيأ للعروس.

(٤) العوالي: جمع عالية وهي أعلى الرمح.

(٥) أشراف: جمع شرف، وهو المكان العالي.

تزلّ حجارةُ الرامين عنها   وتقصُر دونها نبلُ النِضالِ
أباالحفّاث[1] شرّ الناس حيّاً   وأعناقِ الأيورِ بني قِتالِ
رفعتَ مُساميا لتنالَ مجداً   فقد اصبحتَ منهم في سَفالِ

قال أبو عمرو : بنو قِتال إخوة بني يربوع رهطِ عقيل بن علّفة وهم قوم فيهم جفاء ، قال أبو عمرو : مات رجل منهم فلفّه أخوه في عباءة له ، وقال أحدهما للاخر : كيف تحمله؟ قال كما تُحمل القربة. فعمد الى حبل فشدّ طرفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحمل القِربة، فلما صار به الى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرة ، وألقاه فيها ، وهال عليه التراب حتى واراه . فلما انصرفا قال له : يا هناه ، أنسيتُ الحبل في عنق اخي ورجليه ، وسيبقى مكتوفاً الى يوم القيامة . قال : دعه يا هناة ، فإن يرد الله به خيراً يحلّه .

وقال أبو عمرو : خطب شبيب بن البرصاء الى يزيد بن هاشم بن حرملة المُرّي ثم الصِرمي ابنته ، فقال هي صغيرة، فقال شبيب : لا ؛ ولكنك تبغي أن تردّني ، فقال له يزيد : ما أردتُ ذاك ، ولكن أنظِرني هذا العام ، فإذا انصرم فعليّ ان أزوّجك . فرحل شبيب من عنده مُغضباً ، فلما مضى قال ليزيد بعضُ أهله : والله ما أفلحتَ ! خطب اليك شبيبٌ سيّد قومك فرددته ! قال : هي صغيرة ، قال : ان كانت صغيرة فستكبر عنده . فبعث اليه يزيد : ارجع فقد زوّجتك ، فإني اكره أن ترجع الى أهلك وقد رددتك ، فأبى شبيبٌ ان يرجع وقال :

لعمري لقد أشرفتُ يوم عُنيزةٍ   على رغبةٍ لو شدّ نفسي مَريرها[2]
ولكنّ ضعفَ الامر ألا تُمِرّه   ولا خير في ذي مِرّةٍ لا يُغيرُها[3]

---

(١) الحفاث : حية ، على تشبيه قوم عقيل بها .

(٢) المرير والمريرة : العزيمة . وعنيزة : موضع ، وهي هضبة سوداء ببطن فلج بين البصرة وحمى ضرية .

(٣) أمر الحبل : أحكم فتله . والمرة : القوة من قوى الحبل . وأغار الحبل : أحكم فتله .

تبيّنُ أدبارُ الامور اذا مضت … وتُقبلُ أشباهاً عليك صدورُها
تُرَجّي النفوسُ الشيءَ لا تستطيعه … وتخشى من الاشياء ما لا يضيرُها
ألا إنما يكفي النفوس اذا اتقت … تقى الله مما حاذرت فيُجيرُها
ولا خير في العيدان إلا صِلابُها … ولا ناهضات الطير إلا صُقورُها
ومستنبحٍ يدعو وقد حال دونه … من الليل سجفا ظُلمةٍ وسُتورُها [1]
رفعتُ له ناري فلما اهتدى لها … زجرتُ كلابي أن يهرّ عقورُها [2]
فبات وقد أسرى من الليل عُقبةً [3] … بليلة صدق غاب عنها شُرورُها
وقد علم الأضياف أن قِراهُمُ … شِواءُ المَتالي عندنا وقديرُها [4]
اذا افتخرت سعدُ بن ذُبيان لم تجد … سوى ما بنينا ما يَعُدُّ فخورُها
وإني لتراك الضغينة قد بدا … ثَراها من المولى فلا أستثيرُها [5]
مخافةَ أن تجني عليّ وإنما … يَهيج كبيرات الامور صغيرُها
اذا قيلت العَوراء ولّيتُ سمعها … سواي ولم أسمع بها ما دَبيرُها [6]
وحاجة نفسٍ قد بلغتُ وحاجةٍ … تركتُ اذا ما النفس شحّ ضميرها
حياءً وصبراً في المواطن إنني … حييٌّ لدى أمثال تلك ستيرُها [7]

---

(١) السجف : الستر .

(٢) هرير الكلب : صوته وهو دون النباح .

(٣) العقبة : قدر فرسخين ، أو قدر ما تسيره .

(٤) ناقة متلية ومتل : يتلوها ولدها اي يتبعها ، أو هي التي تنتج في آخر النتاج . والقدير : اللحم المطبوخ في القدر .

(٥) ثراها . أثرها ، يقال : اني لأرى ثرى الغضب في وجه فلان : أي أثره ، والمولى : الصاحب وابن العم .

(٦) العوراء : الكلمة القبيحة . ويريد بدبيرها ما وراءها ، وأصل الدبير في الفتل ضد القبيل ، فالقبيل : ما أقبل به القاتل على صدره ، والدبير ما أدبر به عن صدره .

(٧) الستير : العفيف .

وأحبس في الحق الكريمة إنما يقوم بحق النائبات صبورها[١]
أحابي[٢] بها الحيّ الذي لا تُهِمُّه وأحساب أموات تُعدّ قبورها
ألم تر أنّا نورُ قوم وإنما يُبيّن في الظلماء للناس نورُها

تمثل محمد بن مروان بشعره :

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفي قال حدثنا الحسنُ بن عُليل العنزيّ قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبديّ قال :

كانت بين بني كلب وقوم من قيس دِيات ، فمشى القوم الى أبناء أخواتهم من بني أمية يستعينون بهم في الحَمالة[٣] ، فحملها محمد بن مروان كلّها عن الفريقين ، ثم تمثل بقول شبيب بن البرصاء :

وقد وقفتُ النفسَ عن حاجاتها والنفسُ حاضرةُ الشَّعاع تطلّعُ[٤]
وغرمت في الحسب الرفيع غرامةً يَعيا بها الحَصِر الشَّحيحُ ويظلَعُ[٥]
إني فتًى حرٌّ لِقدريَ عارفٌ أعطي به وعليه مما أمنع

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: حدثنا إسحاق بن محمد النَّخعي قال: حدثني الحِرمازيّ قال :

نزل شبيبُ بن البرصاء وأرطاةُ بن زُفر وعُويفُ القوافي برجل من أشجعَ كثير المال يُسمّى علقمةَ ، فأتاهم بشربة لبن ممذوقة[٦] ولم يذبح لهم ، فلما رأو ذلك

(١) يريد الناقة الكريمة .

(٢) حاباه : نصره .

(٣) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٤) نفس شعاع : متفرقة قد تفرقت همها .

(٥) الحصر : البخيل ، وظلع كمنع : غمز في مشيه ، وهو شبيه بالعرج .

(٦) ممذوقة : مخلوطة بالماء .

منه قاموا الى رواحلهم فركبوها ثم قالوا : تعالوا حتى نهجو هـذا الكلب . فقال شبيب :

أفي حدَثان[1] الدهر أم في قديمه تعلّمتَ ألا تقريَ الضيف علقما ؟

وقال أرطاة :

لبثنا طويلًا ثم جاء بمذقة كماء السّلا في جانب القعب أثلما[2]

وقال عُويف :

فلما رأينا أنه شرّ منزلٍ رمينا بهنّ الليلَ حتى تُخرّما[3]

عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمه فرثاهم :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال :

غاب شبيبُ بن البرصاء عن أهله غيبةً ، ثم عاد بعد مدة ، وقد مات جماعة من بني عمه ، فقال شبيب يرثيهم :

تخرّم الدهرُ إخواني وغادرني كما يُغادر ثورُ الطارد الفئدُ[4]
إني لباقٍ قليلًا ثم تابعهم ووارِدٌ منهلَ القومِ الذي وردُوا

---

(١) حدثان : مصدر حدث ، وهو هنا بمعنى حديث .

(٢) السلا : الجلدة الرقيقة فيها الولد من الناس والمواشي ، إن لم تنزع عن وجـه الولد قتلته . والقعب القدح يروي الرجل ، وثلم الإناء كفرح : صارت فيه ثلمة فهو أثلم .

(٣) تخرم : استؤصل وانقضى .

(٤) الفئد : الذي يشكو فؤاده .

قال أبو عمرو: هاجى شبيبُ بن البرصاء رجلاً من غنيّ، أو قال من باهلةَ، فأعانه أرطاة بن سُهيَّة على شبيب، فقال شبيب:

لعمري لئن كانت سهيَّةُ أوضعَت[1] بأرطاة في رَكبِ الخيانة والغدر
فما كان بالطِّرف[2] العتيق فنشترى لِفحلته، ولا الجواد اذا يجري
أتنصُرُ مني معشراً لستَ منهم وغيرُك أولى بالحياطة والنصر!

ويروى: «وقد كنت أولى بالحياطة» وهو أجود.

وقال أبو عمرو: استعدى رهطُ أرطاة بن سُهيَّة على شبيب بن البرصاء الى عثمان ابن حيَّان المرّي وقالوا له: يعمُّنا بالهجاء، ويشتمُ أعراضنا، فأمر بإشخاصه اليه فأُشخِص، ودخل الى عثمان وقد أتى بثلاثة نفرٍ لصوصٍ قد أفسدوا في الارض يقال لهم بَهدَل ومثغورٌ وهيصَم، فقتل بَهدلاً وصلبه، وقطع مثغوراً والهيصم، ثم أقبل على شبيبٍ فقال: كم تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم! أقسمُ قسماً حقاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعنّ لسانك، فقال شبيب:

سجنتَ لساني يابن حيَّانَ بعد ما تَوَلَّى شبابي، إنَّ عقدك مُحكَمُ
وعيدُك أبقى من لساني قُذاذة[3] هيوباً، وصمتا بعدُ لا يتكلم
رأيتكَ تحلَوْلِي اذا شئت لامرئٍ ومُرّاً مُراراً فيه صابٌ وعلقم[4]
وكلّ طريدٍ هالكٌ مُتحيّرٌ كما هلك الحيران والليل مظلم
أصبتَ رجالاً بالذنوب فأصبحوا كما كان مثغورٌ عليك وهيصم

---

(١) أوضعت: أسرعت.

(٢) الطرف: الفرس الكريم الاطراف، أي الآباء والامهات.

(٣) القذاذة من كل شيء: ما قطع منه.

(٤) احلولى: حلا. المرار: شجر مرّ.

خطاطيفك اللاتي تخطّفن بهدّلا فأوفى به الاشراف[١] جذعٌ مقوّم
يداك يدا خير وشرّ فمنهما تضرٌّ ولـلاخرى نوالٌ وأنعُم

وقال أبو عمرو : استاق دُعيجُ بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائي ثم الجرمي إبلَ شبيب بن البرصاء فذهب بها ، وخرج بنو البرصاء في الطلب ، فلما واجهوا بني جَرم قال شبيب : اغتنِموا بني جَرم ، فقال أصحابه : لسنا طالبين إلا أهل القرحة[٢] ، فمضوا حتى أتوا دُعيجاً وهو برأس الجبل ، فناداه شبيب : يا دعيج ، إن كانت الطِّراف حيَّة فلك سائر الإبل ، فقال : يا شبيب ، تبصر رأسها من بين الإبل ، فنظر فأبصرها ، فقال شبيب : شدوا عليه واصعدوا وراءه ، فأبوا عليه ، فحمل شبيب عليه وحده ، ورماه دُعيجٌ فأصاب عينه ، فذهب بها — وكان شبيبٌ أعورَ عميَ بعد ما أسنّ — فانصرف وانصرف معه بنو عمه ، وفاز دعيج بالإبل ، فقال شبيب :

أمرتُ بني البرصاء يومَ حُزابةٍ بأمرٍ جميعٍ لم تَشتَّتْ مصادرُهْ
بشوْل ابن معروف وحسّان بعد ما جَرى ليَ يُمنٌ قد بدا ليَ طائرُه[٣]
أيرجع حُرٌّ دون جرم ولم يكن طِعانٌ ولا ضربٌ يُذعذع عاسرُه[٤]
فأذهبَ عيني يوم سفح سفيرةٍ[٥] دُعيجُ بن سيف ، أعوزته معاذره
ولمّا رأيت الشّولَ قد حال دونها من الهضب مُغبرٌّ عنيفٌ عمائره[٦]
وأعرض ركنٌ من سفيرة يُتّقى بشُمّ الذُّرا لا يبعُدُ الله عامرُه[٧]

(١) أشراف الانسان : أعلاه .
(٢) القرحة في الاصل : الجراحة والمراد هنا الذين استاقوا إبلهم وآذوهم .
(٣) الشول : النوق أتى عليها من حملها او وضعها سبعة اشهر فشال لبنها أي ارتفع .
(٤) يذعذع : يبدّد ويفرّق. العاسر : الناقة ترفع ذنبها في عدوها ، والضمير فيه يعود على «حر».
(٥) سفيرة : ناحية من بلاد طيء ، وقيل : صهوة لبني جذيمة من طيء يحيط بها الجبل .
(٦) الهضب : جبل ينبسط على الارض . عمائر جمع عمارة وهي أصغر من القبيلة .
(٧) الذرا الشمّ : العالية الرؤوس . عامره : يعني به دعيجاً .

أخذت بني سيفٍ ومالكَ موقعٍ ... بما جرّ مولاهمْ وحرّت جرائرُه(١)
ولو أنّ رَجلي(٢) يوم فرّ ابنُ جوشنٍ ... عَلِقن ابن ظبي أعوزَته مَغاورُه

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال حدثنا العُمَري(٤) عن عاصم بن الحدَثان قال :

هجاه أرطاةُ بن سهية ونفاه عن بني عوف :

هجا أرطاةُ بن سهية شبيب بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال :

فلو كنتَ عَوْفيا عميتَ وأسهَلَتْ ... كُداك(٣) ولكنّ المُريب مُريب

قال : فعمي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهية ، فكان يقول : ليت ابن سهية حياً حتى يعلم أني عَوفيّ ، قال : والعمى شائع في بني عوف ، إذا أسنّ الرجل منهم عميَ ، وقلّ من يفلت من ذلك منهم .

امتدح شعره عبد الملك بن مروان .

وحدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عليّ(٤) بن الصباح عن ابن الكلبي قال :

أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله :

بَكَر العواذل يبتدرن ملامتي ... والعاذِلون فكلُّهم يلحاني(٤)
في أن سبقتُ بشَربة مَقدِيّة ... صرفٍ مُشعشعةٍ بماء شُنانٍ(٥)

---

(١) موقع : اسم موضع . جر جريرة : اقترف ذنباً .

(٢) الرجل : جماعة الرجالة .

(٣) الكديّ : جمع كدية وهي الارض الصلبة .

(٤) يلحاني : يلومني .

(٥) مقدية «مقدّية» ، وخمر مقدية : نسبة الى مقد وهي قرية بالاردن . صرف : خالصة . مشعشعة : ممزوجة . الشنان : الماء البارد :

فقال له عبد الملك : شبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول :

وإني لسهلُ الوجه يُعرف مجلسي إذا أحزنَ القاذورةُ المتعبِّسُ [١]
يضيء سناً جودي لمن يبتغي القِرى وليلُ بخيلِ القوم ظلماء حِندس
أَلِينُ لذي القُربى مِراراً وتلتوي بأعناقِ أعدائي حبالٌ تَمرَّسُ [٢]

كان عبد الملك يتمثل بشعره :

قال : وكان عبد الملك يتمثَّل بقول شبيبٍ في بذل النفس عند اللقاء ويُعجب به :

دعاني حِصنٌ للفرار فساءني مواطنُ أن يُثنى عليَّ فأُشتما
فقلت لِحصنٍ نَحِّ نفسك إنما يذود الفتى عن حوضه أن يُهدَّما
تأخرتُ أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدَّما
سيكفيك أطرافَ الاسنَّة فارسٌ اذا ريعَ نادى بالجواد وبالحمى
اذا المرء لم يَغشَ المكاره أوشكتْ حبالُ الهوينى بالفتى أن تَجذَّما [٣]

نسختُ من كتاب أبي عبد الله اليزيدي ولم أقرأه عليه ، قال خالدُ بن كلثوم:

سبب مهاجاته عقيل بن علفة :

كان الذي هاج الهجاء بين شبيب بن البرصاء وعقيل بن علفة أنه كان لبني نُشبَة جار من بني سَلامان بن سعد ، فبلغ عقيلاً عنه أنه يطوف في بني مرّة يتحدث الى النساء فامتلأ عليه غيظاً ، فبينا هو يوماً جالس وعنده غِلمان له وهو يُجزّ إبلاً له على الماء ويَسِمُها اذا طلع عليه السَّلاماني على راحلته ، فوثب عليه هو وغلمانه فضربوه ضرباً مبرِحاً ، وعقر راحلته . وانصرف من عنده بشرّ ، فلم يعد الى ذلك الموضع ، ولجّ الهجاء بينهما . وكان عقيلٌ شَرِساً سيّئ الخلق غَيوراً .

(١) أحزن : صار في الحزن، وهو ضد السهل ، والمراد هنا تشدّد ، والقاذورة . السيء الخلق.
(٢) تتمرّس : يشتدّ التواؤها .
(٣) تجذم : تقطع .

اخبار دقاق

كانت دقاق مغنّية محسنة جميلة الوجه قد أخذت عن أكابر مغنّي الدولة العبّاسية ، وكانت ليحيي بن الربيع ، فولدت له أحمد ابنه ، وعُمِّر عمراً طويلاً وحدثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا ، وكان عالماً بأمر الغناء والمغنين ، وكان يغنّي غناء ليس بمستطاب ولكنه صحيح . ومات يحيي بن الربيع فتزوّجت بعده من القوّاد والكتّاب بعدّة ، فماتوا وورثتهم .

هجاها عيسى بن زينب :

فحدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السَّرَخسي قال :

كانت دقاق – أمّ ولد يحيي بن الربيع أحمد المعروف بأبن دقاق – مغنية محسنة متقنة الأداء والصنعة ، وكانت قد أنقطعت الى حمدونة بنت الرشيد ثم الى غضيض ، وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوّة . قال أحمد بن الطيب : وعتقت[1] دقاق فتزوّجها بعد مولاها ثلاثة من القوّاد من وجوههم ، فماتوا جميعاً ، فقال عيسى بن زينب يهجوها :

قلتُ لمّا رأيتُ دار دقاقِ حسنها قد أضرّ بالعشّاقِ
حذِروا الرابع الشقيّ دقاقاً لا يكوننّ نجمه في مُحاق[2]

---

(١) عتق العبد كضرب : خرج عن العتق .

(٢) المحاق : آخر الشهر ؛ اذا أمحق الهلال فلم ير .

أَلْهُ عن بضعها[1] فإن دقاقاً شُؤْوم حِرْها قد سار في الآفاق
لم تضاجع بعلاً فهبَّ سليماً بل جريحاً وجُرحه غير راقي[2]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني الهدادي الشاعر قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون — ورواية الكوكبي أتم — قال :

كتبتْ دقاق الى أبي تصفُ هَنَها[3] صفةً أعجزه الجواب عنها ، فقال له صديق له : ابعث الى بعض المخنثين حتى يصف متاعك ، فيكون جوابها ، فأحضر بعضهم وأخبره الخبر ، فقال : اكتب اليها : عندي القوقُ البوق[4] ، الأصلع المزبوق[5] ، الأقرع المفروق ، المنتفخ العروق ، يسدّ البثوق[6] ، ويفتق الفتوق ، ويرم[7] الخروق ، ويقضي الحقوق ، أسدٌ بين جملين ، بغلٌ بين حملين ، منارةٌ بين صخرتين ، رأسه رأس كلب ، وأصله مترس[8] درب ، اذا دخل حفر ، واذا خرج قشر ، لو نطح الفيل كوّره ، ولو دخل البحر كدّره ؛ اذا رقَّ الكلام ، وتقاربت الأجسام ، والتفتِ الساق بالساق ، ولطخ باطنها بالبصاق ، وقُرع البيض بالذكور[9] ، وجعلت

(١) البضع : التزوج ، والبضع : النكاح .

(٢) راقي مسهل راقئ ، من رقأ الدم أو الدمع : جف .

(٣) هن المرأة : فرجها .

(٤) القوق : الفاحش الطول . والبوق : الذي ينفخ فيه ويزمر .

(٥) المزبوق : المنتوف .

(٦) البثوق : الشقوق .

(٧) يرم : يصلح .

(٨) المترس : خشبة توضع خلف الباب .

(٩) أخذه من قول مهلهل يرثي أخاه كليباً :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور

والبيض في البيت : بيض الحديد الذي يلبس على الرأس . والذكور : السيوف من حديد غير أنيث .

الرماح تمور، بطعن الفقاح[١]، وشقّ الأحراح[٢]، صبرنا فلم نجزع، وسلّمنا طائعين فلم نخدع. قال: فقطعها.

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب قال حدثني أحمد بن علي بن جعفر قال:

حضرت مرّة مجلساً وفيه ابن دقاق وفيه النصراني المعروف بأبي الجاموس اليعقوبي البزّاز قرابة بلال قال: فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس، فلما أكثر عليه قال: اسمعوا مني، ثم حلف بالحنيفية أنه لا يكذب، وحدثنا قال: مضيت وأنا غلام مع أستاذي الى باب حمدونة بنت الرشيد، ومعنا بزّ نعرضه للبيع، فخرجت الينا دقاق أمّ هذا تقاولنا[٣] في ثمن المتاع، وفي يدها مروحة على أحد وجهيها منقوش: الحرُ الى أيرين أحوج من الأير الى حرين، وعلى الوجه الآخر: كما أن الرّحا الى بغلين أحوج من البغل الى رحوين، قال: فأسكته والله سكوتاً علمنا معه أنه لو خرس لكان الخرس أصون لعرضه مما جرى.

كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بها:

قال أحمد: وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خلاسيان[٤] يروّحانها في الخيش، فتحدّث الناس أنها قالت لواحد منهما أن ينيكها، فعجز فقالت له: نكني وأنت حرّ، فقال لها: نيكيني أنتِ وبيعيني في الأعراب، فقال فيها عيسى بن زينب:

(١) الفقاح: جمع فقحة، وهي حلقة الدبر.

(٢) الاحراح: جمع حرح وهو الفرج.

(٣) تقاولنا: تفاوضنا.

(٤) الخلاسي: الولد بين أبوين أبيض وأسود.

أحسن من غنّى لنا أو شدا دقاق في خفض من العيش
لها غلامان ينيكانها بعلّة الترويح في الخيش

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال:

كانت دقاق جارية يحيي بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون اليها وتُري كل واحد منهم أنها تهواه، وكانت أحسن أهل عصرها وجهاً، وأشأمهم على من رابطها[1] وتروّجها، فقال فيها أبو إسحاق – يعني أباه:

صوت

عدمتك يا صديقة كلّ خلق أكلّ الناس ويحك تعشقينا
فكيف اذا خلطت الغثّ منهم بلحم سمينهم لا تبشمينا[2]

قال فيها أبو موسى الاعمى شعراً:

فيه خفيف رمل ينسب الى ابراهيم بن المهدي والى ريّق والى شارية.

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أبو هفّان قال:

خرج يحيي بن الربيع مولى دقاق – وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيي – الى بعض النواحي، وترك جاريته دقاق في داره، فعملت بعده الأوابد[3]، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء، وأشأمه على أزواجها ومواليها وربطائها، فقال أبو موسى الأعمى فيه:

---

(١) رابطها: لازمها.
(٢) بشم، كفرح: اتخم.
(٣) الاوابد: جمع آبدة، وهى الداهية يبقى ذكرها على الابد.

قل ليحيي نعم صبرتَ على المو ت ولم تخشَ سهم ريب المَنونِ
كيف قل لي أطقتَ ويحك يا يحـــيي على الضَّعف منك حمل القرون !
ويحَ يحيي ما مرّ باست دُقاقٍ بعد ما غــاب من سياط البطون

صوت من المائة المختارة

تكاشرني كرهاً كأنــك ناصحٌ وعينك تُبدي أنّ صدرك لي دوى [1]
لسانك لي حلوٌ وعينــك علقم وشرُّك مبسوط وخيرُك مُلتوى

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفيّ والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن اسحاق ، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهشامي :

(١) كشره : ضحك في وجهه وباسطه . دوى كفرح : مرض ، يقال إنه لدوي الصدر .

نسب يزيد بن الحكم وأخباره

هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الاعرابي ، وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم ابن أبي العاص ، وأن عثمان عمُّه ، وهذا هو القول الصحيح . وأبو العاص بنُ بِشر بن عبد دُهمان بن عبد الله بن همَّام بن أبان بن يَسار بن مالك بن حُطيط بن جُشم بن قَسِي وهو ثقيفُ .

وعثمان جدُّه أو عم أبيه أحدُ من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكرَة ، وشطُّ عثمان بالبصرة منسوب اليه ؛ كانت له هناك أرض أُقطعها وابتاعها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ، وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا الُحميدي قال حدثنا سفيان ، سمعه من محمد بن اسحاق ، وسمعه محمدُ من سعيد بن أبي هند ، وسمعه سعيدُ بن أبي هند من مُطرِّف بن عبد الله الشِّخِّير قال :

سمعت عثمان بن أبي العاص الثقفي يقول : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّ قومك واقدُرهم بأضعفهم فإن منهم الضعيفَ والكبير وذا الحاجة » . قال الُحميدي وحدثنا الفُضيل بن عياض عن أشعب عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا مؤذنًا ولا يأخذ على أذانه أجراً » .

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العلاء ابن الفضل قال حدثني أبي قال :

مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي وهو يُنشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي يُنشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم، فقال : نعم ؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته . وأم يزيد بكرةُ بنتُ الزّبرقان بن بدر ، وأمها هُنيدةُ بنتُ صعصعة بن ناجية . وكانت بكرة أول عربيّة ركبت البحر فأُخرِجَ بها الى الحكم وهو بتوّجَ[1] ، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس، وكان له بنون منهم العباسُ وعيّاش .

خبره مع الحجاج وقد ولاه كورة فارس :

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا الحزامي قال :

دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفي ، فولاه كورةَ فارس ، ودفع اليه عهدَه بها ، فلما دخل عليه ليودّعه قال له الحجاج : أنشدني بعضَ شعرك ، وإنما أراد أن يُنشده مديحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول :

وأبي الذي سلب ابن كسرى رايةً   بيضاء تخفِقُ كالعقاب الطائر

فلما سمع الحجاج فخره نهض مُغضباً ، فخرج يزيدُ من غير أن يودّعه ، فقال الحجاج لحاجبه : ارتجع منه العهد ، فإذا ردّه فقل له : أيهما خيرٌ لك : ما ورّثك أبوك أم هذا ؟ فردّ على الحاجب العهد وقال : قل له :

ورِثتُ جدي مجدَه وفعالَه   وورثتَ جدّك أعنُزاً بالطائف

(١) توّج : بلد بفارس .

وخرج عنه مغضباً، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوّلها :

أمسى بأسماء هذا القلبُ مَعمودًا[١] إذا أقول صَحا يَعتادُه عيدًا

يقول فيها :

سُمّيتَ باسم امرئٍ أشبهتَ شيمتَه عدلا وفضلا سليمان بن داودا
أحمِدْ في الورى الماضينَ من ملكٍ وأنت أصبحت في الباقين محمودا
لا يبرأُ الناس من أن يحمدوا ملِكاً أولاهُمُ في الامور الحلمَ والجودا

فقال له سليمان : وكم كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : فهي لك عليّ ما دمتَ حياً ، وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته :

صوت

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا اذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنّ أحورَ من غزلان ذي بقرٍ أهدى لها شَبَه العينين والجيدا[٢]
أجري على موعدٍ منها فتُخلفني فلا أمَلُّ ولا تُوفي المواعيدا
كأنني يوم أمسي لا تُكلّمني ذو بُغيةٍ يبتغي ما ليس موجودا

من الناس من ينسب هذه الابيات الى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ .

عروضه من البسيط ، والغناء للغريض ، ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد ثقيل أول بالوسطى .

---

(١) معمود : هدّه العشق .

(٢) ذو بقر : موضع ، والحور : شدة سواد المقلة في شدة بياضها .

حديثه مع الحجاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس :

أخبرنا محمدُ بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابن عيَّاش عن أبيه قال :

سمعت الحجاج – واستوى جالساً – ثم قال : صدق والله زهيرُ بن أبي سُلمى حيث يقول :

وما العفو إلا لأمرئٍ ذي حفيظة   متى يَعفُ عن ذنب امرئ السَّوء يَلجَج

فقال له يزيد بن الحَكَم : أصلح الله الامير، إني قد رثيت ابني عنبساً ببيت، إنه لشبيهٌ بهذا . قال : وما هو ؟ قال قلت :

ويأمن ذو حِلم العشيرة جهله   عليه ، ويخشى جهله جُهَلاؤها

قال : فا منعك أن تقول مثلَ هذا لمحمد ابني ترثيه به ؟ فقال : إن ابني والله كان أحبَّ إليَّ من ابنك .

وهذه الابيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكراني عن الهيثم بن عدي . قال : كان ليزيد بن الحكم ابنٌ يقال له عنبس ، فات فجزع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه :

جزى الله عني عنبساً كلَّ صالحٍ   اذا كانت الأولاد سَيئاً جزاؤها
هو ابني وأمسى أجرُه لي وعزَّني   على نفسه ربٌّ اليه ولاؤها
جهولٌ اذا جهلُ العشيرة يُبتغى   حليمٌ ويرضى حلمه حُلَماؤها

وبعد هذا البيتُ المذكور في الخبر الأول .

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العُمري عن لقيطٍ قال قال عبد الملك بن مروان :

كان شاعرُ ثقيفٍ في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الاسلام، فقيل له: من يعني أميرُ المؤمنين؟ فقال لهم: أمّا شاعرهم في الاسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول:

فما منك الشبابُ ولستَ منه   اذا سألتك لحيتُك الخضابا
عقائلُ من عقائل أهل نجدٍ   ومكّة لم يُعقِلن الرِّكابا
ولم يَطرُدن أبقعَ[1] يوم ظعنٍ   ولا كلباً طردن ولا غرابا

وقال شاعرهم في الجاهلية:

والشيب إن يظهر فإن وراءه   عُمُراً يكون خلاله مُتنفَّسُ
لم ينتقِص مني المشيبُ قُلامةً   ولما بقي مني ألبُّ وأكيسُ[2]

شعره ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك:

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العُمَري عن لقيط قال قال يزيد بن الحكم الثقفي ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك:

أبا خالد قد هجتَ حرباً مريرةً   وقد شمرتْ حربٌ عوان فشمّرِ

فقال يزيد بن المهلب: بالله استعين، ثم أنشده فلما بلغ قوله:

فإنّ بني مروان قد زال مُلكُهمْ   فإن كنتَ لم تشعُر بذلك فاشعُرِ

فقال يزيدُ بن المهلب: ما شعرت بذلك، ثم أنشده فلما بلغ قوله:

فمتْ ماجداً أو عش كريماً فإن تَمُتْ   وسيفك مشهور بكفك تُعذرِ

---

(١) الغراب الابقع: ما كان فيه سواد وبياض.

(٢) ألب وأكيس: أكثر عقلاً وحزماً.

فقال : هذا ما لا بدّ منه .

قال العمري : وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش أن يزيد بن المهلّب إنما كتب اليه يزيد بن الحكم بهذه الأبيات ، فوقّع اليه تحت البيت الأول : أستعين بالله . وتحت البيت الثاني : ما شعرت . وتحت البيت الثالث : أمّا هذه فنعم .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثني الغلابي قال حدثني ابن عائشة قال :

دخل يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلّب في سجن الحجّاج وهو يعذَّب ، وقد حلّ عليه نجمٌ كان قد نُجّم[1] عليه ، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له :

أصبح في قيدك السماحة والجو دُ وفضل الصلاح والحسبُ
لا بَطِرٌ إن تتابعتْ نِعَمٌ وصابرٌ في البلاء محتسب
بَرْزتَ سبق الجياد في مَهلٍ وقصّرت دون سعيك العرب

قال : فالتفت يزيد بن المهلّب الى مولًى له ، وقال : أعطه نجم هذا الأسبوع ، ونصبر على العذاب الى السبت الآخر .

وقد رويتْ هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بَيضٍ مع يزيد .

روى ابنه العباس بعض شعره لجرير فأكرمه :

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني هارون بن مُسلم قال حدثني عثمان بن حفص قال حدثني عبد الواحد عريف ثقيفٍ بالبصرة :

---

(١) تنجيم الدين : أن يقدر دفعه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مسانّاة ، وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر مواقيت حلول دينها .

أن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفي هرب من يوسف بن عمر الى اليمامة ، قال : فجلست في مسجدها وغشيني قومٌ من أهلها ، قال : فوالله إني لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجّج في مشيته ، فلما رآني أقبل إليّ ، فقال القوم : هذا جريرٌ ، فأتاني حتى جلس الى جنبي ، ثم قال لي : السلام عليك ، ممن أنت ؟ قلت : رجل من ثقيف . قال : أعرضتَ[1] الأديم ، ثم ممن ؟ قلت : رجل من بني مالك ، فقال : لا إله إلا الله ! أمثلك يعرف بأهل بيته ! فقلت : أنا رجل من ولد أبي العاصي ، قال : ابن بشر ؟ قلت : نعم . قال : أيهم أبوك ؟ قلت : يزيد بن الحكم . قال : فمن الذي يقول :

فنيَ الشباب وكل شيء فانِ وعلا لداتي شيبهم وعلاني

قلت : أبي ، قال : فمن الذي يقول :

ألا لا مرحباً بفراق ليلى ولا بالشيب إذ طرد الشبابا
شبابٌ بان محموداً وشيبٌ ذميمٌ لم نجد لهما اصطحابا
فما منك الشباب ولست منه إذا سألتك لحيتك الخضابا

قلت : أبي ، قال : فمن الذي يقول :

تعالوا فعدُّوا يعلم الناس أيّنا لصاحبه في أوّل الدهر تابعُ
تزيّد يربوعٌ بكم في عِدادها كما زيد في عرض الأديم الأكارع[2]

---

(١) أعرض الشيء وعرّضه : جعله عريضاً ووسعه .

(٢) الاكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق .

قال : قلت : غفر الله لك ، كان أبي أصوَن لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبين ٱبن عمك ، فقال : رحم الله أباك ، فقد مضى لسبيله ، ثم ٱنصرف ، فنزّلني بكبشين ، فقال لي أهل اليمامة : ما نزّل أحداً قبلك قط .

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلي عن يزيد حَوراء المغنّي قال :

شعره في جارية مغنية كان يهواها وقد ارتحلت عنه .

كان يزيد بن الحكم الثقفي يهوى جاريةً مغنيةً ، وكانت غير مطاوعةٍ له ، فكان يهيم بها ، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها ، فمرّت بيزيد بن الحكم مع غِلمة لمولاها وهي راحلة ، فلما علم بذلك رفع صوته فقال :

يأيها النازحُ الشَّسوعُ[1] ودائع القلب لا تضيعُ
أستودع الله مَن اليه قلبي على نأيه نَزوع[2]
إذا تذكّرته ٱستهلت شوقاً الى وجهه الدموع

كتاب الجارية اليه :

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدّة ، فبينا هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له : أأنت يزيد بن الحكم ؟ قال : نعم ، فدفع اليه كتاباً مختوماً ، ففضّه فإذا كتابها اليه وفيه :

---

(١) الشسوع : الشاسع البعيد .

(٢) النزوع : المشتاق .

لئن كوى قلبك الشُّسوعُ فالقلب منّي به صُدوعُ
وبي وربِّ السماء فاعلم اليك يا سيدي نُزوع
أعزِز علينا بما تلاقي فينا وإن شفَّنا الولوع
فالنفس حَرَّى عليك ولهى والعين عَبرى لها دموع
فوتنا في يد التنائي وعيشنا القرب والرجوع
وحيثما كنت يا منايا فالقلب منّي به خُشوع
ثم عليك السلام منّي ما كان من شمسها طلوع

قال : فبكى والله حتى رحمه من حضر ، وقال لنا الكهل : ما قصته ؟ فأخبرناه بما بينهما ، فجعل يستغفر الله مِن حَمله الكتاب اليه ، وأحسب أن هذا الخبر مصنوع ؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر .

شعر نسب اليه والى طرفة بن العبد :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء – رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة – لطرفة بن العبد :

تكاشرني كرهاً كأنك ناصح وعينك تبدي أن صدرك لي دَوي

قال : فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له : إني كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفيّ فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة بن العبد ، فقال لي أبو عمرو : إن أبا الزعراء في سن يزيد بن الحكم ، ويزيد مولّد يجيد الشعر ، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً .

قال مؤلف هذا الكتاب : ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه ، لأن العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن الحكم ، وهذا أعرابي لا يحصِّل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنه ليزيد بن الحكم – وليس كذلك – لكان

معلوماً أنه ليس لطرفة ، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات ، ولا هو أيضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطه ، وهو بيزيد أشبه ، وله في معناه عدّة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربّه بن الحكم وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي . ومن قال إنه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إن عمه عبد الرحمن هو الذي عاتبه ، وفيه يقول :

وَمَوْلًى كذئب السّوء لو يستطيعني أصاب دمي يوماً بغير قتيلِ
وأعرِضُ عما ساءه وكأنما يقاد الى ما ساءني بدليل
مجاملةً منّي وإكرام غيره بلا حسنٍ منه ولا بجميل
ولو شئت لولا الحلم جدّعتُ أنفه بإيعاب جَدعٍ باديْ وعليل[1]
حفاظاً على أحلام قوم رزِئتهم رِزانٍ يَزينون النديَّ كهول

وقال في أخيه عبد ربّه :

أخي يُسرُّ ليَ الشّحناء يُضمرها حتى ورَى جَوفه من غِمره الداء[2]
حرّانُ ذو غُصّة جُرِّعتُ غُصّته وقد تعرّض دون الغصة الماء
حتى اذا ما أساغ الريق أنزلني منه كما يُنزِل الأعداء أعداء
أسعى فيكفر سعيي ما سعيتُ له إني كذاك من الإخوان لقّاء
وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ يعدّهن تِراتٍ وهيَ آلاء

فأما تمام القصيدة التي نسبت الى طرفة فأنا أذكر منها مُختارها ليُعلم أنّ مرذول كلام طرفة فوقه :

---

(١) جدّعت : قطعت . وأوعبه إيعاباً : استوعبه .

(٢) يقال : ورى القيح جوفه : أفسده . الغمر : الحقد والغل .

تصافح من لاقيت لي ذا عداوةٍ ... صِفاحاً وعنّي بين عينيك مُنزوي
أراك إذا لم أهوَ أمراً هويتــه ... ولست لما أهوى من الأمر بالهوي
أراك اجتويت الخير مني وأجتوي ... أذاك، فكلٌّ يجتوي قُرب مجتوي [1]
فليت كفافاً [2] كان خـيرُك كلّه ... وشرُّك عني ما ارتوى الماء مرتوي
عدوّك يخشى صولتي إن لقيتــه ... وأنت عدوّي، ليس ذاك بمستوي
وكم موطنٍ لولاي طِحت كما هوى ... بأجرامه من قُلّـة النيق مُنهوي [3]
إذا ما ابتنى المجد ابن عمك لم تُعِن ... وقلت ألا يا ليت بنيـانه خَوي [4]
كأنك إن نال ابن عمـك مغنماً ... شَجٍ أو عميدٌ أو أخو غُلّة لوي [5]
وما برحتْ نفسٌ حسودٌ حُشيتها [6] ... تُذيبك حتى قيل هل أنت مكتوي
جمعتَ وفحشاً غِيبــةً ونميمةً ... ثلاث خصال لست عنهن ترعوي
ويدحو بك الداحي الى كل سوءةٍ ... فيا شرَّ من يدحو الى شر مُدحوي
بدا منك غِشٌّ طالما قد كتمته ... كما كتمتْ داء ابنها أمّ مُدّوي [7]

---

(١) اجتواه : كرهه .

(٢) الكفاف : الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة اليه .

(٣) طاح يطيح ويطوح : هلك ، هوى وانهوى : سقط . أجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

(٤) خوى المنزل : خلا من أهله .

(٥) شج : حزين . العميد : المريض لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يعمد من جوانبه بالوسائد (أي يقام) . لوى : أصابه اللوى ؛ وهو وجع في الجوف ، والغلة : حرارة الجوف .

(٦) يقال حشي الرجل بنفسه وحشيها ، من حشا الوسادة اذا ملأها .

(٧) ادّوى : أكل الدواية ، وهي جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق .

وهذا شعرٌ إذا تأمّله مَن له في العلم أدنى سَهمٍ عرف أنّه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه .

صوت من المائة المختارة

أبى القلب إلا أمَّ عوفٍ وحُبَّهـا عجوزاً ، ومن يعشقْ عجوزاً يُفَنَّدِ
كثوب يمانٍ قد تقادم عهـده ورُقعته ما شئتَ في العين واليد

الشعر لأبي الأسود الدؤلي والغناء لعلّويه ، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ابن بانة .

أخبار ابي الاسود الدؤلى ونسبه

اسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جندل بن يعمر بن حِلس بن نُفاثة بن عدي بن الدُّئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدركة بن إلياس ابن مضر بن نِزار، وهم إخوة قريش، لأن قريشاً مختلفٌ في الموضع الذي افترقت فيه مع أبيها، فخُصَّت بهذا الاسم دونهم، وأبعد من قال في ذلك مدًى مَن زعم أن النضر بن كنانة منتهى نسب قريش؛ فأمّا النسّابون منهم فيقولون إن من لم يلده فِهر بن مالك بن النضر فليس قرشياً.

وكان أبو الأسود الدؤلي من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم. وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأكثر، وروى عن ابن عباس وغيره، واستعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان من وجوه شيعة علي. وذكر أبو عبيدة أنه أدرك أول الإسلام وشهد بدراً مع المسلمين. وما سمعتُ بذلك عن غيره.

ولاه علي البصرة:

وأخبرني عمي عن ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمي عن أبي عبيدة مثله.

واستعمله علي رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عباس، وهو كان الأصل في بناء النحو وعقد أصوله.

كان أول من وضع النحو ورسم أصوله :

أخبرنا أبو جعفر بن رُستم الطبري النحوي بذلك عن أبي عثمان المازني عن أبي عمر الجرمي عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي عن عنبسة الفيل وميمون الأقرن عن يحيي بن يعمر الليثي .

أنّ أبا الأسود الدؤلي دخل الى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبتِ ما أشد الحرّ ! (رفعت أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه : أيُّ زمان الحرّ أشدُّ ؟ فقال لها : شهر ناجرٍ ، يريد شهر صفر . الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء . فقالت : يا أبتِ إنما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبتْ لغة العرب لمّا خالطت العجم ، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحلّ ، فقال له : وما ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم ، وأملى عليه : الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرفٍ جاء لمعنى . (وهذا القول أول كتاب سيبويه) ، ثم رسم أصول النحو كلّها ، فنقلها النحويّون وفرّعوها . قال أبو الفرج الاصفهاني : هذا حفظتـه عن أبي جعفر وأنا حديث السنّ ، فكتبته من حِفظي ، واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه .

أمره زياد أن ينقط المصاحف :

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال :

أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عنبسة بن مَعدان المهري ، ثم جاء عبد الله بن أبي اسحاق الحضرميُّ وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزديُّ وكان صلبية فلحب

الطريق[1]. ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوماً هم الآن يعملون عليها.

أخذ النحو عن علي بن أبي طالب:

أخبرني علي بن سليمان الاخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا التوّزي والمهري قالا حدثنا كيسان بن المعرّف الهجيمي أبو سليمان عن أبي سفيان ابن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الاسود الدؤلي عن أبيه قال:

قيل لابي الاسود: من أين لك هذا العلم؟ – يعنون به النحو – فقال: أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

خبره مع زياد في سبب وضع النحو:

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله ابن شاكر العنبري عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيّاش عن عاصم بن أبي النجود قال:

أوّل من وضع العربية أبو الاسود الدؤلي، جاء الى زياد بالبصرة فقال له: أصلح الله الأمير، إني أرى العرب قد خالطت هذه الاعاجم، وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي ان اضع لهم عِلماً يقيمون به كلامهم؟ قال: لا. قال: ثم جاء زياداً رجل فقال: مات أبانا وخلّف بنون، فقال زياد: مات أبانا وخلّف بنون! ردّوا إليّ أبا الاسود الدؤلي، فرُد إليه، فقال. ضع للناس ما نهيتك عنه. فوضع لهم النحو. وقد روى هذا الحديث عن أبي بكر بن عياش يزيدُ بن مِهران، فذكر أن هذه القصة كانت بين أبي الاسود وبين عبيد الله بن زياد.

---

(١) صلبية: في أساس البلاغة «عربي صليب: خالص النسب. وامرأة صليبة: كريمة النسب عريقة» والمعنى: وكان ذا نسبة صلبية. لحب الطريق: بينه.

أول باب وضعه في النحو باب التعجب :

أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزي عن أبي عثمان المازني عن الاخفش عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن أبي الاسود قال :

أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب .

وقال الجاحظ : أبو الاسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلّها مقدّم ، مأثورٌ عنه الفضلُ في جميعها ؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدّثين والاشراف والفرسان والامراء والدّهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصُّلع الاشراف والبُخر الاشراف .

حديثه عن عمر بن الخطاب :

فما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلخي قال حدثنا أبو خَيثمة زُهير بن حرب قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا داود بن أبي الفُرات عن عبد الله بن أبي بُريدة عن أبي الاسود الدؤلي قال :

أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً ، فجلستُ الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فمرّت به جنازة فأُثني على صاحبها خير ، فقال عمر رضي الله عنه : وَجبتْ ، ثم مرّ بأخرى فأُثني على صاحبها بشرّ ، فقال عمر : وَجبتْ ، فقال أبو الاسود : ما وَجبتْ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة » فقلنا : وثلاثة ؟ قال : « وثلاثة » ، فقلنا : واثنان ؟ قال : « واثنان » ، ثم لم نسأله عن الواحد .

حدثني حمّاد بن سعيد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قَتادة عن أبي الاسود الدؤلي قال :

خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناس يوم الجمعة فقال : إنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحقّ منصورة حتى يأتي أمر الله جلّ وعزّ » .

حديثه عن علي بن أبي طالب :

ومما رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال حدثنا هنّاد بن السّري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة عن أبي حرب بن أبي الاسود الدؤلي عن ابيه أبي الاسود الدؤلي عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال في بول الجارية : يُغسل ، وفي بول الغلام : يُنضح ما لم يأكلا الطعام .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثنا البغويّ قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا معلّى بن هلال عن الشعبي وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا المدائني جميعاً قالوا :

لما خرج ابن عباس رضي الله عنهما الى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود في قومه ليردّه ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هلال فمنعوه ، وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال : ننشدكم الله ألّا تسفكوا بيننا دماء تبقى معها العداوة الى آخر الأبد ، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه ، فلا تُدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كنانة عنه ، وكتب أبو الأسود الى علي عليه السلام فأخبره بما جرى ، فولّاه البصرة .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي ووكيع وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبد الله بن

أبي سعد قال حدثني محمد بن عمران الضَّبي قال حدثني خالد بن عبد الله قال حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنَّى قال :

كان أبو الأسود الدؤلي كاتباً لابن عباس على البصرة ، وهو الذي يقول :

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجةً فَادعُ الإله وأحسن الأعمالا
فليعطينَّك ما أراد بقدرة فهو اللطيف لِما أراد فِعالا
إن العباد وشأنهم وأمورهم بيد الإله يقلِّب الأحوالا
فدعِ العباد ولا تكن بطلابهم لهجاً تضعضع[1] للعباد سؤالا

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرِّياشي عن محمد بن سلَّام قال :

كان أبو الأسود الدؤلي قد أسنَّ وكبر ، وكان مع ذلك يركب الى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أراك تُكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرتَ ، ولو لزمت منزلك كان أودع لك . فقال له أبو الأسود : صدقت ولكنَّ الركوب يشدّ أعضائي ، وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي ؛ وأستنشي الريح ، وألقى إخواني ، ولو جلست في بيتي لاغتمّ بي أهلي ، وأنسَ بي الصبيّ ، وأجترأ عليّ الخادم ، وكلّمني من أهلي من يَهاب كلامي ، لإلفهم إيّاي ، وجلوسهم عندي ؛ حتى لعلّ العنز أن تبول عليّ فلا يقول لها أحد : هُس[2] .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أبو عكرمة قال :

كان بين بني الديل وبين بني ليث منازعة ، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً ،

---

(١) تضعضع : تخضع وتذل ، وحذفت التاء الاولى .

(٢) هس : زجر للغنم .

ثم أصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا ديته ، فاجتمعوا الى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارضة ، فقال له : يا أبا الأسود ، أنت شيخ العشيرة وسيدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يدٍ ولا سؤددٍ ولا جود .

فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود ، ثم قال له : قد أكثرت يابن أخي فأسمع مني : إن الرجل والله ما يعطي ماله إلا لإحدى خِلالٍ : إما رجلٌ أعطى ماله رجاء مكافأةٍ ممن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقاها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرة ، أو رجل أحمق خدع عن ماله ، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولا جئتم في شيء من هذا ، ولا عمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء ، ولما أفدتُك إياه في عقلك خيرٌ لك من مال أبي الأسود لو وصل الى بني الديل ، قوموا اذا شئتم . فقاموا يبادرون الباب .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

كان طريق أبي الأسود الدؤلي الى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به ، فمرّ به أبو الأسود الدؤلي يوماً فقال لقومه : كأن وجه أبي الأسود وجه عجوزٍ راحت الى أهلها بطلاقٍ ، فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود . ثم مرّ به مرّة أخرى ، فقال لهم : كأنّ غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح[1] . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له : هل تعرف فقحة أمّك فيهنّ ؟ فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا الى أبي الأسود ، فاعتذروا اليه مما كان ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع الى أهله :

وأهوج مِلجاجٍ تصاممتُ قبله   أن أسمعه وما بسمعيَ مِن باسِ

---

(١) الفقاح : جمع فقحة وهي حلقة الدبر .

ولو شئت قد أعرضتُ حتى أصيبه على أنفه حدباءَ تُعضل بالآسي (١)
فإن لساني ليس أهون وقعةً وأصغر آثاراً من النحت بالفاس
وذي إحنةٍ (٢) لم يُبدِها غيرَ أنه كذي الخبل تأبى نفسه غير وَسواس
صفحتُ له صفحاً جميلاً كصفحه وعيني – وما يدري – عليه وأحراسي
وعندي له إن فار فَوّار صدره فَحاً (٣) جبليٌ لا يعاوده الحاسي
وخبٍّ (٤) لحوم الناس أكثر زاده كثيرِ الخنا صَعبِ المحالة هَمّاس
تركت له لحمي وأبقيت لحمه لمن نابه من حاضر الجنّ والناس
فكرَّ قليلاً ثم صدَّ كأنما يعضُّ بصمٍّ (٥) من صفا جبلٍ راسي

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا المدائني قال:

خرج أبو الأسود الدؤلي ومعه جماعة أصحابٍ له الى الصيد، فجاءه أعرابي فقال له: السلام عليك. فقال له أبو الأسود: كلمة مقولة. قال: أدخل؟ قال: وراؤك أوسع لك. قال: إن الرَّمضاء قد أحرقت رِجلي، قال: بُل عليها أو ائتِ الجبل يفيء عليك. قال: هل عندك شيء تُطعمُنيه؟ قال: نأكل ونطعم العيال، فإن فضل شيء فأنت أحق به من الكلب، فقال الأعرابي: ما رأيت قطُّ ألأمَ منك. قال أبو الأسود: بلى قد رأيت؛ ولكنك قد أنسيتَ.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائني بهذا الخبر فقال فيه:

---

(١) حدباء: صعبة شديدة. الآسي: المداوي. أعضل به الامر: ضاقت عليه الحيل فيه.
(٢) الاحنة: الضغينة والعداوة.
(٣) الفحا: توابل القدور كالفلفل والكمون ونحوهما.
(٤) الخب: الخدّاع.
(٥) صم: جمع أصم وهو الحجر الصلب المصمت.

كان أبو الأسود جالساً في دهليزه وبين يديه رُطب، فجاز به رجل من الأعراب يقال له ابن أبي الحمامة، فسلّم ثم ذكر باقي الخبر، مثل الذي تقدّمه، وزاد عليه فقال: أنا ابن أبي الحمامة. قال: كن ابن أبي طاوسة، وانصرف. قال: أسألك بالله إلا أطعمتني مما تأكل، قال: فألقى اليه أبو الأسود ثلاث رُطبات، فوقعت إحداهنّ في التراب، فأخذها يمسحها بثوبه، فقال له أبو الأسود: دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به، فقال: إنما كرهتُ أن أدعها للشيطان، فقال له: لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعُها.

أخبرني محمد بن عِمران الضبيّ الصَّيرفيّ قال حدثنا الحسن بن عُليل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن عياش قال:

خطب أبو الأسود الدؤلي امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم، فأسرّ أمرها الى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد، فحدّث به ابن عم لها كان يخطبها – وكان لها مال عند أهلها – فمشى ابن عمها الخاطب لها الى أهلها الذين مالها عندهم، فأخبرهم خبر أبي الأسود، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه، ومن مالها الذي في أيديهم، ففعلوا ذلك، وضارّوها حتى تزوّجت بابن عمها، فقال أبو الأسود الدؤلي في ذلك:

لعمري لقد أفشيت يوماً فخانني ... الى بعض من لم أخشَ سِرًّا ممنّعَا
فمزّقه مَزقَ العَمي وهو غافل ... ونادى بما أخفيت منه فأسمعا
فقلت ولم أخش لَعًا لك(١) عاثراً ... وقد يعثر الساعي اذا كان مسرعا
ولست بجازيك الملامة إنني ... أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعا
ولكن تعلّم أنه عهدُ بيننا(٢) ... فبِنْ غيرَ مذموم ولكن مودّعا

---

(١) لعا لك: كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش.

(٢) البين: الفراق.

حديثاً أضعناه كلانا فـلا أرى وأنت نجيّاً[1] آخر الدهر أجمعـا
وكنت اذا ضيعتَ سرك لم تجد سواك له إلا أشتَّ وأضيعـا

قال : وقال فيه :

أمِنتُ امرأ في السرّ لم يك حازماً ولكنه في النصح غـيرُ مُريبِ
أذاع به في النـاس حتى كأنه بعلياء نارٌ أوقـدت بثقوب[2]
وكنتَ متى لم تَرْعَ سرّك تلتبس قوارعـه[3] من مخطئٍ ومصيب
فما كل ذي نصح بمؤتيك نُصحه وما كل مؤتٍ نصحـه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحدٍ فحقٌ له من طاعـةٍ بنصيب

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال :

اشترى أبو الأسود جارية ، فأعجبته – وكانت حولاء – فعابها أهله عنده بالحوَل ، فقال في ذلك :

يَعيبونها عندي ولا عيب عندها سوى أن في العينين بعض التأخّرِ
فإن يك في العينين سوء فإنهـا مُهفهفة الأعـلى رداحُ المؤخّر[4]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزدي قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال :

---

(١) النجي : المسار .

(٢) الثقوب : ما أثقبت به النار أي أوقدتها به .

(٣) القارعة : النازلة الشديدة .

(٤) مهفهفة : ضامرة البطن . رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الاوراك .

كان لأبي الأسود الدؤلي صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك ابن أصرم ، وكانت بينه وبين ابن عمّ له خصومة في دار له ، وأنهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكّماه بينهما ، فقال له خصم صديقه : إني بالذي بينك وبينه عارف ، فلا يحملنك ها ذاك على أن تحيف عليّ في الحكم – وكان صديق أبي الأسود ظالماً – فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ ، فقال له صديقه : والله ما بارك الله لي في صداقتك ، ولا نفعني بعلمك وفقهك ، ولقد قضيت عليّ بغير الحقّ ، فقال أبو الأسود :

اذا كنتَ مظلوماً فلا تُلفَ راضياً ... عن القوم حتى تأخذ النِّصف واغضبِ [1]
وإن كنت أنت الظالم القوم فاطّرح ... مقالتهم واشغب بهم كلَّ مشغب
وقارب بذي جهل وباعد بعالم ... جَلوبٍ عليك الحقَّ من كل مَجلب
فإن حدِبوا فاقعَس وإن هم تقاعسوا [2] ... ليستمكنوا مما وراء فاحدَب
ولا تدّعني للجور واصبر على التي ... بها كنت أقضي للبعيد على أبي
فإني امرؤ أخشى إلهي وأتّقي ... مَعادي وقد جرّبتُ ما لم تجرّب

كتب إليّ أبو خليفة يذكر أن محمد بن سلّام حدّثه ، وأخبرني محمد بن يحيي الصولي عن أبي ذكوان عن محمد بن سلّام قال :

وجه أبو الأسود الدؤلي الى الحصين بن أبي الحرّ العنبري جد عبيد الله بن الحسن القاضي ، وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد ، والى نُعَيم بن مسعود النَّهشلي وكان يلي مثل ذلك برسول ، وكتب معه اليهما وأراد أن يبرّاه ، ففعل ذلك نعيم ابن مسعود ، ورمى الحصين بن أبي الحرّ بكتاب أبي الأسود وراء ظهره ، فعاد الرجل فأخبره ، فقال أبو الأسود للحصين :

---

(١) النصف : الانتصاف .

(٢) حدب : خرج ظهره ودخل بطنه . وقعس : نقيضه .

حسبت كتابي إذ أتاك تعرضاً لسيبك[1]، لم يذهب رجائي هنالكا
وخبرني من كنتُ أرسلت أنما أخذتَ كتابي مُعرضاً بشمالكا
نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلاً أخلقتْ من نعالكا
نُعَيم بن مسعود أحقُّ بما أتى وأنت بما تأتي حقيق بذلكا
يصيب ومايدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النوك إلا كذلكا[2]؟

قال محمد بن سلّام : فتقدَّم رجل الى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرّ — وهو قاضي البصرة — مع خصم له فخلط في قوله ، فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النّوك إلا كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يُدنيني منه لأقول شيئاً فعل . فقال له : ادنُ ، فقال له : إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمت فيمن قيل ، فتبسم عبيد الله وقال له : إني أرى فيك مصطنعاً[3] فقم الى منزلك ، وقال لخصمه : رح إليّ ، فغرم له ما كان يطالب به .

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال :

أراد أبو الأسود الدؤلي الخروج الى فارس ، فقالت له ابنته : يا أبت إنك قد كبرت ، وهذا صميم الشتاء ، فانتظر حتى ينصرم وتسلك الطريق آمناً ، فإني أخشى عليك ، فقال أبو الأسود :

إذا كنتَ معنياً بأمرٍ تُريده فما للمضاء والتوكل من مثل

---

(١) السيب : العطاء .

(٢) النوك : الحمق .

(٣) أي محلاً للصنيعة والجميل .

توكّل وحمّل أمرك الله إنّ ما تُرادُ به آتيك فاقنع بذي الفضل
ولا تحسبنّ السير أقرب للردى من الخفض في دار المقامة والثّمل (١)
ولا تحسبيني يأبنتي عزّ مذهبي بظنك، إن الظن يكذب ذا العقل
وإني ملاقٍ ما قضى الله فاصبري ولا تجعلي العلم المحقّق كالجهل
وإنك لا تدرين: هل ما أخافه أبعديَ يأتي في رحيلي أو قبلي؟
وكم قد رأيت حاذراً متحفّظاً أصيب وألفته المنية في الأهل

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن ابراهيم العتكي قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال:

كان لأبي الأسود صديق من بني سُليم يقال له نُسَيب بن حُميد، وكان يغشاه في منزله، ويتحدث اليه في المسجد، وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثَرَ عنده منه، فرأى أبو الأسود يوماً معه مُستُقة (٢) مُحملة أصبهانية من صوف، فقال له أبو الأسود: ما تصنع بهذه المستقة؟ فقال: أريد بيعها، فقال له أبو الأسود: انظر ما تبلغ فعرّفنيه حتى أبعث به اليك، فإنها من حاجتي، قال: لا بل أكسوكها، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها، فبعث بها الى السوق فقومت بمائتي درهم، فبعث اليه أبو الأسود بالدراهم، فردّها وقال: لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهماً، فقال أبو الأسود:

يعني نُسَيب ولا تَبنّي إنني لا أستثيب ولا أثيب الواهبا
إن العطية خير ما وجّهتها وحسبتها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطية ما يعود غرامةً وملامة تبقى ومَنّاً كاذبا
وبلوت أخبار الرجال وفعلهم فملئتُ علماً منهمُ وتجاربا

---

(١) الثمل: الاقامة والمكث.

(٢) المستقة: فروة طويلة الكم، معربة وأصلها بالفارسية مشته. وثوب مخمّل: له خمل (كشمس)، أي هدب كهدب القطيفة.

فأخذت منهم ما رضيت بأخذه ... وتركتُ عمداً ما هنالك جانبا
فإذا وعدتُ الوعد كنت كغارمٍ ... دَيناً أقرَّ بـه وأحضر كاتبا
حتى أنفِّذه على ما قلته ... وكفى علـيَّ به لنفسيَ طالبا
واذا فعلتُ فعلت غير محاسب ... وكفى بربك جازياً ومحاسبا
واذا منعتُ منعتُ منعاً بيّناً ... وأرحت من طول العناء الراغبا
لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بذم الدهر أجمع واصبا[1]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازي ومحمد بن العباس اليزيدي وعمي قالوا حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني قال:

زعم أبو بكر الهذلي أن أبا الأسود الدؤلي كان يحدّث معاوية يوماً فتحرك فضرط، فقال لمعاوية: استرها عليّ، فقال: نعم، فلما خرج حدّث بها معاوية عمرو ابن العاص ومروان بن الحكم، فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو: ما فعلتْ ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس؟ قال: ذهبت كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكل أجوف ضروط، ثم أقبل على معاوية فقال: إن امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألا يؤمن على أمور المسلمين.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال:

كان أبو الأسود يجلس الى فِناء امرأة بالبصرة فيتحدّث اليها، وكانت بَرزة[2] جميلة، فقالت له: يا أبا الاسود، هل لك في أن أتزوّجك؟ فإني صَناع[3] الكفّ،

(١) واصباً: دائماً.

(٢) امرأة برزة: كهلة جليلة تبرز للقوم فيجلسون اليها ويتحدّثون.

(٣) امرأة صناع اليدين: حاذقة ماهرة بعمل اليدين.

حسنة التدبير ، قانعة بالميسور ، قال : نعم ، فجمعت أهلها فتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت في ماله ، ومدّت يدها الى خيانته ، وأفشت سرّه ، فغدا على مَن كان حضر تزويجه إياها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا ، فقال لهم :

أرَيت امرأ كنت لم أبلُه[1] أتاني فقال اتخذني خليلا
فخاللته ثم أكرمته فلم أستفد من لدنه فتيلا
وألفيته حين جرّبته كذوب الحديث سروقاً بخيلا
فذكّرته ثم عاتبته عتاباً رفيقاً وقولا جميلا
فألفيته غير مستعتِبٍ[2] ولا ذاكر الله إلا قليلا
ألستُ حقيقاً بتوديعه وإتباع ذلك صَرماً طويلا ؟

فقالوا : بلى والله يا أبا الاسود ! قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتها لكم ، وأنا أحبّ أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم .

حدثنا اليزيدي قال حدثنا البغويّ قال حدثنا العمري قال :

كان أبو الأسود أبخر ، فسارّ معاوية يوماً بشيء فأصغى اليه ممسكاً بكمه على أنفه ، فنحى أبو الاسود يده عن أنفه ، وقال : لا والله لا تسود حتى تصبر على سِرار المشايخ البخر .

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا محمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال :

---

(١) أريت : أصله أرأيت ، يقولون : أرأيتك (والتاء مفتوحة) بمعنى أخبرني . بلاه يبلوه : اختبره وامتحنه .

(٢) استعتبه : استرضاه .

كان علي بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الاسود على البصرة، واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج، فجعل زياد يسبع[١] أبا الاسود عند علي ويقع فيه ويبغي عليه، فلما بلغ ذلك أبا الاسود عنه قال فيه :

رأيت زياداً ينتحيني بشرّه وأعرض عنه وهو بادٍ مُقاتله
وكل امرئٍ، والله بالناس عالم له عادة قامت عليها شمائله
تعوّدها فيما مضى من شبابه كذلك يدعو كلَّ أمرٍ أوائله
ويعجبه صفحي له وتجمُّلي وذو الجهل يحذو[٢] الجهل مَن لا يعاجله
فقلت له دعني وشأني إننا كلانا عليه معمل[٣] هو عامله
فلولا الذي قد يُرتجى من رجائه لجرَّبتَ مني بعض ما أنت جاهله
لجرَّبتَ أنّي أمنح الغيَّ من غوى عليّ وأجزي ما جزى وأطاوله

وقال لزياد أيضاً في ذلك :

نُبئتُ أن زياداً ظلَّ يشتمني والقول يُكتبُ عند الله والعملُ
وقد لقيت زياداً ثم قلت له وقبل ذلك ما خبَّت به الرسل[٤]
حتّام تسرقني في كل مجمعة عِرضي، وأنت اذا ما شئت منتفل
كل امرئٍ صائر يوماً لشيمته في كل منزلة يُبلى بها الرجل

قال : فلما ادّعى معاوية زياداً وولّاه العراق كان أبو الاسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي بن أبي طالب عليه السلام،

---

(١) سبعه : شتمه ووقع فيه .

(٢) حذاه : أعطاه .

(٣) معمل : عمل .

(٤) خبت : سارت .

وما كان بينهما في تلك الايام وهما عاملان ، فكان أبو الاسود يترضّاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك :

رأيت زياداً صدّ عنيَ وجهه ولم يك مردوداً عن الخير سائلُهْ
ينفِّذ حاجات الرجال ، وحاجتي كداء الجوى في جوفه لا يزايله
فلا أنا ناسٍ ما نسيتُ فآيسٌ ولا أنا راء ما رأيت ففاعله
وفي اليأس حزم للَّبيب وراحة من الامر لا يُنسى ولا المرء نائله

وقال المدائني : نظر عبد الرحمن بن أبي بكرة[1] الى أبي الاسود في حال رثّة فبعث اليه بدنانير وثياب ، وسأله أن ينبسط اليه في حوائجه ويستمنحه اذا أضاق[2] ، فقال أبو الأسود يمدحه :

أبو بحرٍ أمنُّ الناس طرًّا علينا بعد حيّ أبي المغيرهْ
لقد أبقى لنا الحدثان منه أخا ثقةٍ منافعه كثيره
قريبَ الخير سهلاً غير وعرٍ وبعض الخير تمنعه الوعوره
بصُرت بأنّنا أصحاب حقّ نُدِلّ به وإخوانٌ وجيره
وأهلُ مضيعةٍ فوجدت خيراً من الخُلّان فينا والعشيره[3]
وإنك قد علمت وكلُّ نفسٍ تُرى صَفحاتها ولها سريره
لذو قلبٍ بذي القربى رحيم وذو عين بما بلغت بصيره
لعمرك ما حَباك الله نفساً بها جَشعٌ ولا نفساً شريره[4]

---

(١) أبو بكرة : هو أخو زياد لأمه .

(٢) أضاق : ذهب ماله .

(٣) مضيعة : ضياع واطراح وهوان .

(٤) شريرة : ذات شرّ .

ولكن أنت لا شرِسٌ غليظ ولا هَشِمٌ تُنازعه خُثوره[1]
كأنا إذ أتيناه نزلنا بجانب روضةٍ ريّاً مَطيره

قال المدائني: وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد، فيشكو اليه أنّ عليه ديناً لا يجد الى قضائه سبيلاً، فيقول له: اذا كان غد فارفع إليّ حاجتك فإني أحب قضاءها، فيدخل اليه من غد، فيذكر له أمره ووعده فيتغافل عنه، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً، فقال فيه أبو الأسود:

دعاني أميري كي أفوه بحاجتي فقلت فما ردّ الجواب ولا أستمعْ
فقمت ولم أحسس بشيء ولم أصن كلامي وخير القول ما صين أو نفع
وأجمعتُ يأساً لا لبانة بعده ولليأسُ أدنى للعفاف من الطمع

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن اسماعيل تينة قال حدثني ابن عائشة قال:

سأل رجل أبا الاسود شيئاً فمنعه، فقال له: يا أبا الاسود ما أصبحتَ حاتمياً؟ قال: بلى قد أصبحت حاتمياً من حيث لا تدري، أليس حاتم الذي يقول:

أماويّ إمّا مانعٌ فبيّنٌ وإمّا عطاء لا ينهنهه الزجر[2]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا ابن عائشة قال:

كان لأبي الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص، فلما باع أبو الاسود داره في بني الديل، وانتقل الى هُذيل، قال جار أبي الاسود لبعض جيرانه من

(١) هشم: هشيم رخو. خثورة: ضعف وفتور.

(٢) ينهنه: كفه.

هذيل : هل يسقيكم أبو الاسود من ألبان لقاحه ؟ وكانت لا تزال عنده لقحة[١] أو لقحتان ، وكان جاره هذا يصيب من الشراب ، فبلغ أبا الأسود قوله ، فقال فيه :

إن امرأ نُبِّئته من صديقنا يسائل هل أسقي من اللبن الجارا ؟
وإني لأسقي الجار في قعر بيته وأشرب ما لا إثم فيه ولا عارا
شرابا حلالا يترك المرء صاحياً ولا يتولّى يقلس الإثم والعارا[٢]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا المدائني قال :

كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حَوثرة بن سُلَيم ، فاستعمله عبيد الله بن زياد على جَيّ[٣] وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس ، فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدّره ، وجفاه حوثرة ؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه :

تروّحتَ من رُستاق جَيٍّ عشيةً وخلّفتَ في رستاق جَيٍّ أخاً لكا
أخاً لك إن طال التنائي وجدته نسياً وإن طال التعاشرُ مَلّكا
ولو كنتَ سيفاً يُعجب الناس حدُّه وكنتَ له يوماً من الدهر فلّكا[٤]
ولو كنتَ أهدى الناس ثم صحبته وطاوعته ضلّ الهوى وأضلّكا
اذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى وإن جُرت عن باب الغواية دلّكا

(١) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٢) أصله من قلست الكأس : قذفت بالشراب لشدّة الامتلاء ، وقلست النحل العسل : مجته ، والمعنى هنا : يعقب الاثم .

(٣) جيّ : مدينة ناحية أصبهان .

(٤) فلّ السيف : ثلمه .

قال المدائني: وكان لأبي الأسود جار، يقال له وثاق من خُزاعة، وكان يحبّ اتّخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفها، فأتى أبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها: الصَّفوف فقال له: يا أبا الأسود ما بلقحتك بأسٌ لولا عيب كذا وكذا، فهل لك في بيعها؟ فقال أبو الأسود: على ما تذكر فيها من العيب؟ فقال: إني أغتفر ذلك لها لِما أرجوه من غزارتها، فقال له أبو الأسود: بئست الخلّتان فيك؛ الحرص والخداع، أنا لعيب مالي أشدّ اغتفاراً؛ وقال أبو الأسود فيه:

يريد وَثاقٌ ناقتي ويعيبها يخادعني عنها وثاقُ بن جابرِ
فقلت تعلَّم يا وثاقُ بأنها عليك حِمًى أخرى الليالي الغوابر
بصرتَ بها كوماء حوساء جلدةً من المولِيات الهامَ حدَّ الظواهر [١]
فحاولت خدعي والظنون كواذبٌ وكم طامع في خدعتي غير ظافر

قال: وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطَّيفاء، وكان يقول: ما ملكت مالاً قط أحبّ إليَّ منها، فأتاه فيها رجل من بني سدوس يقال له أوس بن عامر، فجعل يماكر أبا الأسود ويعيبها، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً، فبذل له فيها ثمناً وافياً، فأبى أن يبيعه وقال فيه:

أتانيَ في الطيفاء أوسُ بن عامرٍ ليخدعني عنها بجنّ ضِراسها [٢]
فسام قليلاً ناسئاً غير ناجز وأحصر نفساً وانتهى بمكاسها [٣]
فأقسم لو أعطيت ما سمتَ مثله وضعفاً له لما غدوتَ براسها

---

(١) الكوماء: الناقة العظيمة السنام، والحوساء: الشديدة النفس، والجلدة: القوية.

(٢) يقولون في الناقة: «هي بجنّ ضراسها»، أي بحدثان نتاجها، واذا كانت كذلك حامت عن ولدها، وعضت حالبها.

(٣) نجز الحاجة: قضاها، وأحصره العدوّ: ضيق عليه. والمماكسة والمكاس في البيع: انتقاص الثمن واستحطاطه.

أغرك منها أن نحرت حُوارها[1] ... لجيران أم السكن يوم نفاسها
فولّى ولم يطمع وفي النفس حاجةٌ ... يردّدها مردودةً بإياسها

أخبرنا اليزيدي قال حدثنا عيسى عن ابن عائشة الأصمعي :

أنّ رجلاً سأل أبا الأسود الدؤلي فردّه فألحّ عليه ، فقال له أبو الأسود : ليس للسائل الملحف مثل الردّ الجامس . قال : يعني بالجامس الجامد .

وقال المدائني : خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة – وكان قد رآها فأعجبته – فأجابته الى ذلك وأذنت في الدخول اليها ، فدخل دارها فخاطبها بما أراد ، فلما خرج لقيه ابن عمّ لها قد كان خطبها على أخيه ، فقال له : ما تصنع ها هنا ؟ فأخبره بخطبته المرأة ، فنهاه عن التعرّض لها ، ووضع عليها أرصاداً ، فكان أبو الأسود ربّما مرّ بهم وأجتاز بقبيلتهم ، فدسّوا اليه رجلاً يوبّخه في كل محفل يراه فيه ، ففعل ، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له : يا أبا الأسود ، أنت رجل شريف ، ولك سن وخطر وعرض ، وما أرضى لك أن تلمّ بفلانة ، وليست لك بزوجة ولا قرابة ، فإنّ أهلها قد أنكروا ذلك وتشكّوه ، فإمّا أن تتزوّجها أو تُضرب عنها ، فقال له أبو الأسود :

لقد جدّ في سلمى الشكاة وللذي ... يقولون—لو يبدو لك الرشد—أرشدُ
يقولون لا تمذُل[2] بعرضك واصطنع ... معادك إنّ اليوم يتبعه غد
وإياك والقوم الغضاب فإنهم ... بكل طريق حولهم تترصّد
تلام وتُلحى كل يوم ولا تُرى ... على اللوم إلا حولها تتردّد
أفادتكها العين الطموح وقد ترى ... لك العين ما لا تستطيع لك اليد

(١) الحوار : ولد الناقة الى أن يفطم .

(٢) مذلت نفسه بالشيء : سمحت .

وقال أبو الأسود :

دعوا آلَ سلمى ظنَّتي[1] وتعنُّتي ... وما زلَّ مني ، إن ما فات فائتُ
ولا تهلكوني بالملامة إنما ... نطقت قليلاً ثم إني لساكت
سأسكت حتى تحسبونيَ أنني ... من الجهد في مَرضاتكم متماوِت
ألم يكفكم أن قد منعتم بيوتكم ... كما منع الغيل الأسود النواهت[2] !
تصيبون عِرضي كل يوم كما علا ... نشيطٌ بفأسٍ معدن البرم ناحت[3]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال :

كان ابن عباس يكرم أبا الأسود الدؤلي لما كان عاملاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه ، فلما ولي ابن عامرٍ جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لِما كان يعلمه من هواه في علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيه أبو الأسود :

ذكرتُ ابنَ عباس بباب ابنِ عامرٍ ... وما مَرَّ من عيشي ذكرتُ وما فضلْ
أميرين كانا صاحبيَّ كلاهما ... فكلٌّ جزاه الله عني بما فعل
فإن كان شرّاً كان شرّاً جزاؤه ... وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا ابراهيم ابن المنذر الحزامي قال حدثنا محمد بن فُليح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال قال

---

(١) الظنة : التهمة .

(٢) النواهت : جمع ناهت ؛ يقال : نهت الاسد نهيتاً ، وهو صوت الاسد دون الزئير . الغيل : الاجة وموضع الاسد .

(٣) البرم : جمع برمة وهي قدر من حجارة .

أبو الاسود الدؤلي لابنه أبي حرب – وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته – فكان أبو الاسود يكرهه ويستريب منه :

أحبب اذا أحببتَ حباً مُقارباً فإنك لا تدري متى أنت نازعُ
وأبغض اذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنك لا تدري متى أنت راجع
وكن معدِناً للحلم وأصفح عن الخنا فإنك راءٍ ما عملت وسامع

وقال المدائني حدثني أبو بكر الهذلي قال :

كان لأبي الأسود جار من بني حُليس بن يعمر بن نُفاثة بن عدي بن الدليل، من رهطه دنيةً – ومنزل أبي الاسود يومئذ في بني الديل – فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى، فيؤذيه. فشكا أبو الاسود ذلك الى قومه وغيرهم، فكلموه ولاموه، فكان ما اعتذر به اليهم أن قال: لست أرميه، وإنما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته الى الظلم في بخله بماله، فقال أبو الاسود: والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربي. فباع داره واشترى داراً في هذيل، فقيل له: يا أبا الاسود، أبعت دارك! قال: لم أبع داري، ولكن بعت جاري، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك :

رماني َ جاري ظالماً برميَّة فقلت له مهلاً فأنكر ما أتى
وقال الذي يرميك ربُّك جازياً بذنبك، والحوبات[١] تُعقب ما ترى
فقلت له لو أن ربي برمية رماني لما أخطا إلهيَ ما رمى
جزى الله شراً كلَّ ما نال سوءة وينحل[٢] فيها ربّه الشرّ والأذى

وقال فيه أيضاً :

(١) الحوبة: الاثم .

(٢) نحله: نسبه اليه .

لحى الله مولى السّوء لا أنت راغب   اليه ولا رامٍ بـه من تحاربه
وما قرب مولى السوء إلا كبعده   بل البعد خيرٌ من عدوٍّ تُصاقبه [١]

وقال فيه أيضاً :

وإني لتثنيني عن الشتم والخنـا   وعن سبِّ ذي القربى خلائق أربعُ
حيـاء وإسلام ولطف وأنني   كريم ، ومثلي قد يضرّ وينفـع
فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتهـا   فإن العصا كانت لمثـلي تُقرع [٢]
وشتان ما بيني وبينـك إنني   على كل حـال أستقيم وتظلع [٣]

قصته مع جار له اذاه ، وشعره في ذلك :

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الرياشي عن العتبي قال :

كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب الى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما الى قبيلة صاحبه اذا أرادها ، وكان الرجل ابن عمّ أبي الأسود دِنية ، وكان شرساً سيّء الخلق ، فأراد سدّ ذلك الباب ، فقال له قومه : لا تفعل فتضرّ بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة ، فأبى إلا سدّه ، ثم ندِم على ذلك لانه أضرّ به ، فكان اذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الاسود فمنعه منه فقال فيه :

صوت

بُليت بصاحبٍ إن أدنُ شِبراً   يَزِدني في مباعـدةٍ ذراعا

(١) صاقبه : قاربه .

(٢) يشير الى المثل : « إن العصا قرعت لذي الحلم » ، ومعناه أن الحكيم اذا نبه انتبه .

(٣) ظلع : غمز في مشيه .

وإن أمدُد له في الوصل ذَرعي يَزِدني فوق قيس[1] الذرع باعا
أبت نفسي له إلا اتباعا وتأبى نفسه إلا امتناعا
كلانا جاهد أدنو وينأى فذلك ما استطعتُ وما استطاعا

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر، وفيه لعريب خفيف رمل. ولعلويه لحن غير منسوب. قال وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك:

لنا جيرة سدّوا المجازة بيننا فإن أذكروا السدّ فالسدُّ أكيسُ
ومن خير ما ألصقت بالجار حائط تزلُّ به سُفعُ[2] الخطاطيف أملس

وقال أيضاً في ذلك:

أخطأتَ حين صرمتني والمرء يعجز لا محاله[3]
والعبد يُقرَع بالعصا والحر تكفيه المقاله

نزل في بني قشير فآذوه فقال فيهم شعراً:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إسحاق ابن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزّي قال حدثني اسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال:

كان أبو الأسود الدؤلي نازلاً في بني قشير، وكانت بنو قشير عثمانية، وكانت امرأته أم عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من عليّ عليه السلام

(١) قيس: قدر.

(٢) سفع: سود تقرب الى الحمرة.

(٣) لا محالة: لا بدّ، والمحالة: الحيلة.

بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإذا أصبح قال لهم: يا بني قشير، أيُّ جوارٍ هذا! فيقولون له: لم نرمك، إنما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك، فقال في ذلك:

يقـول الأرذلون بنو قشير طَوال الدهر لا تنسى علياً!
فقلت لهم: وكيف يكون تركي من الأعمال مفروضاً عليّاً؟
أحب محمداً حباً شديـداً وعباساً وحمـزةَ والوصيّاً[1]
بني عمّ النبي وأقربيـه أحبُّ النـاس كلِّهم إليّاً
فإن يك حبهم رُشداً أُصبه ولست بمخطئٍ إن كان غيّاً
هُمُ أهل النصيحة غيرَ شكّ وأهل مودّتي ما دمت حيّاً
هوًى أعطيته لما استدارت رحى الإسلام لم يُعدَل سويّاً[2]
أحبهـم لحبّ الله حتى أجيء إذا بُعثتُ على هَويّا[3]
رأيت الله خالق كلّ شيء هـداهم واجتبى منهم نبيّاً
ولم يخصص بها أحداً سواهم هنيئاً ما اصطفـاه لهم مريّاً

قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول:

فإن يك حبهم رشداً أُصبه

فقال: أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ: (وإنّا أو إيّاكم لعلى هُدًى أو في ضلالٍ مبين). أفترى الله جلّ وعزّ شكّ في نبيه! وقد روي أن معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب.

---

(١) الوصي: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) الطريق السويّ: المستقيم.

(٣) على هويا: على هواي.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن الأخفش عن أبي عمر الجرمي قال :

دخل أبو الأسود الدؤلي على معاوية ، فقال له : لقد أصبحت جميلًا يا أبا الأسود ، فلو علّقت تميمة تنفي عنك العين ! فقال أبو الأسود :

أفنى الشبابا الذي فارقتُ جِدَّته كرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلقِ
لم يتركا ليَ في طول اختلافهما شيئاً تُخاف عليه لذعة الحدَق

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن محمد قال قال حدثنا المدائني عن علي بن سليمان قال :

كان أبو الاسود له على باب داره دكّان يجلس عليه ، مرتفع عن الارض الى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خُوان على قدر الدكان ، فإذا مرّ به مارّ فدعاه الى الاكل لم يجد موضعاً يجلس فيه ، فمرّ به ذات يوم فتى فدعاه الى الغداء ، فأقبل فتناول الخِوان فوضعه أسفل ، ثم قال له : يا أبا الأسود ، إن عزمت على الغداء فانزل ، وجعل يأكل وأبو الاسود ينظر اليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود : ما اسمك يا فتى ؟ قال : لقمان الحكيم ، قال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

قال المدائني : وبلغني أن رجلًا دعاه أبو الاسود الى طعامه وهو على هذا الدكان ، فمدّ يده ليأكل ، فشب به فرسه فسقط عنه فوُقص[1] .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :

كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقاً لأبي الاسود ، يهاديه

(١) وقص : دقت عنقه وكسرت .

الشعر ، ويجيب كل واحدٍ منهما صاحبه ، ويتعاشران ويتزاوران، فولي أبو الجارود وِلاية ، فجفا أبا الاسود وقطعه ، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها ، فقال فيه أبو الاسود :

أبلغ أبا الجارود عني رسالة يروح بها الغادي لربعك أو يغدو
فيخبرنا ما بالُ صرمك بعد ما رضيت وما غيَّرتَ من خلق بعدُ
أأن نِلت خيراً سرَّني أن تناله تنكَّرت حتى قلت ذو لبدةٍ وَرد[1] ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته تُمثِّله لي غير أنك لا تعدو
لئن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا لقد جعلت أشراط[2] أوّله تبدو
فإني اذا ما صاحبٌ رَثَّ وصله وأعرض عني قلَّ مني له الوجد

قال المدائني : كان لأبي الاسود صديق يقال له الحارث بن خُلَيد ، وكان في شرف من العطاء ، فقال لأبي الأسود : ما يمنعك من طلب الديوان ؟ فإنّ فيه غنى وخيراً ، فقال له أبو الأسود : قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل ، فقال : كلا ، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم . وزاد الكلام بينهما ، حتى أغلظ له الحارث بن خليد ، فهجره أبو الاسود ، وندِم الحارث على ما فرط منه ، فسأل عشيرته أن تصلح بينهما ، فأتوا أبا الاسود في ذلك وقالوا له : قد اعتذر اليك الحارث مما فرط منه وهو رجل حديد[3] ، فقال أبو الاسود في ذلك :

لنا صاحب لا كليلُ اللسان فيصمت عنا ولا صارمُ
وشرُّ الرجال على أهله وأصحابه الحمِقُ العارم

---

(١) اللبدة : الشعر المتراكب بين كتفي الاسد . والورد : الاسد .

(٢) أشراط : جمع شرط ، كسبب ؛ وهو العلامة .

(٣) حديد : حاد اللسان .

وقال فيه :

اذا كان شيء بيننا قيل إنه حديدٌ تخالف جهله وترفّق
شَنِئتُ من الاصحاب من لست بارحاً أُدامله[1] دمل السقاء المخرّق

وقال المدائني :

ولّى عبيد الله بن زياد الحصين بن أبي الحُرّ العنبري مَيسان ، فدامت ولايته إياها خمس سنين ، فكتب اليه أبو الاسود كتاباً يتصدّى فيه لرفده ، فتهاون به ولم ينظر فيه ، فرجع اليه رسوله فأخبره بفعله ، فقال فيه :

ألا أبلغ عنّي حُصيناً رسالةً فإنك قد قطّعتَ أخرى خِلالكا
فلو كنت إذ أصبحتَ للخرج[2] عاملاً بميسان تُعطي الناس من غير مالكا
سألتك أو عرّضتُ بالود بيننا لقد كان حقّاً واجباً بعض ذلكا
وخبّرني من كنت أرسلت إنما أخذت كتابي مُعرضاً بشمالكا
نظرت الى عنوانه ونبذته كنبذك نعلاً أخلقت من نِعالكا
حسبت كتابي إذ أتاك تعرّضاً لسيبك ، لم يذهب رجائي هنالكا
يصيب وما يدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النوك إلا كذلكا

فبلغت أبيات أبي الاسود حصيناً ، فغضب وقال : ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغت ما يتعاطاه من مساءتنا وتوعدنا وتوبيخنا ، فبلغ ذلك أبا الاسود فقال فيه :

أبلغ حصيناً اذا جئته نصيحة ذي الرأي للمجتنيها

(١) دامله : داراه ليصلح ما بينه وبينه.

(٢) الخرج : الخراج .

فلا تك مثل التي استخرجت بأظلافهـا مُديَةً أو بفيها[١]
فقام اليهـا بها ذابح ومن تَدعُ يوماً شعوب يجيها[٢]
فظلت بأوصالها قدرُهـا تحش[٣] الوليـدة أو تشتويها
وإن تأبَ نصحي ولا تنتهي ولم تر قولي بنصحٍ شبيهـا
أُجرِّعـك صابا وكان المُرا ر والصاب قِدماً شراباً كريها

وقال خالد بن كلثوم :

كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الاسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودّة ، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلف أنه لم يفعل ، ثم يعاود ذلك ، فقال فيه أبو الأسود :

ولي صاحب قد رابني أو ظلمته كذلك مـا الخصمان بَرٌّ وفاجر
وإني امرؤ عندي وعمـداً أقوله لآتيَ مـا يأتي امرؤ وهو خابر
لسانان معسولٌ عليه حـلاوة وآخر مسموم عليـه الشراشر[٤]
فقلت ولم أبخل عليـه نصيحتي والمرء ناهٍ لا يـلام وزاجر
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقب قول تعتريه المعـاذر
فكم شاعرٍ أرداه أن قال قائل له في اعتراض القول إنك شاعر
عطفت عليـه عطفة فتركته لِما كان يرضى قبلها وهو حاقر

---

(١) يشير الى المثل : « كباحثة عن حتفها بظلفها » ، وأصله أن رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فبحثت الشاة الارض بأظلافها فسقطت عـلى شفرة فذبحها بها .

(٢) شعوب : المنية .

(٣) حشّ النار : أوقدها .

(٤) يريد أنه حاد ، وفي اللسان : شرشر السكين أحدها .

بقافية حذّاء[1] سهلٍ رويُّها ولِلقول أبوابٌ تُرى ومحاضر
تغزَّى بها من نومه وهو ناعس – إذ انتصف الليل – المكلُّ[2] المسافر
إذا ما قضاها عاد فيها كأنه لِلذته سكران أو متساكر

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن العتبي قال:

كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الاسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيع فقال فيه أبو الاسود:

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر من الودّ قد بالت عليه الثعالبُ
وأصبح باقي الودّ بيني وبينه كأن لم يكن، والدهر فيه عجائب
اذا المرء لم يحببك إلا تكرُّهاً بدا لك من أخلاقه ما يغالب
فللنأي خير من مقامٍ على أذى ولا خير فيما يستقل المعاتب

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا ابن النطاح قال ذكر الحرمازي عن رجل من بني الديل قال:

كانت لأبي الأسود الدؤلي امرأة من بني قشير وامرأة من عبد القيس، فأسنّ وضعف عما يطيقه الشباب من أمر النساء، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسنهما، فكانت موافقة له صابرة عليه، وهي أم عوف القشيرية التي يقول فيها:

أبى القلب إلا أم عوف وحبها عجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفنَّدِ
كسحق[3] يمانٍ قد تقادم عهده ورُقعته ما شئت في العين واليد

---

(١) حذاء: سيارة أو منقحة لا يتعلق بها عيب.

(٢) أكله: أتعبه.

(٣) السحق: الثوب البالي.

وأما الأُخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعميّ – وكانت أشبهها وأجملها – فالتوت عليه لما أسنّ، وتنكرت له وساءت عشرتها، فقال فيها أبو الاسود:

تعاتبني عِرسي على أن أطيعها لقد كذبتها نفسها ما تمنّتِ
وظنت بأني كلُّ ما رضيت به رضيتُ به، يا جهلها كيف ظنت!
وصاحبتها ما لو صحبتُ بمثله على ذعرها أُروية لاطمأنت [1]
وقد غرّها مني على الشيب والبلى جنوني بها، جُنّت حيالي وحنّت

– يقال: جُنّ وحُنّ، وهو من الأتباع كما يقال: حسنٌ بسن –

ولا ذنب لي قد قلت في بدء أمرنا ولو علمت ما عُلِّمت ما تعنّتِ [2]
تشكّى الى جاراتها وبناتها اذا لم تجد ذنباً علينا تجنّت
ألم تعلمي أني اذا خِفت جفوة بمنزلة أبعدتُ منها مطيّتي
وأني اذا شقّت عليّ حليلتي ذهلتُ ولم أحنن اذا هي حنّت [3]

وفيها يقول:

أفاطم مهلاً بعض هذا التعبس وإن كان منك الجدّ فالصرم مُوئسي
تشتّمُ لي لما رأتني أحبها كذي نعمة لم يُبدها غير أبؤس
فإن تنقضي العهد الذي كان بيننا وتلوي به في ودك المتحلّس [4]
فإني – فلا يغرُرك مني تجملي – لأسلى البعاد بالبعاد المكنّس [5]

(١) الاروية: الأنثى من الوعول.

(٢) تعناه: عناه وأوقعه في العناء.

(٣) شق عليه: أوقعه في المشقة. ذهله وعنه: سلاه وطابت نفسه عن إلفه.

(٤) تحلس بالمكان: أقام به.

(٥) يقال: سلاه وسلا عنه، وسليه وسلي عنه.

وأعلم أن الأرض فيها منادح[1] لمن كان لم تسدَد عليه بمحبس
وكنت آمرأً لا صحبة السوء أرتجي ولا أنا نوّام بغير معرَّس[2]

وقال المدائني :

كان لأبي الأسود الدؤلي مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصبّاح ، فذكرت لأبي الأسود جارية تباع ، فركب فنظر اليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود ، فقال في ذلك :

إذا كنت تبغي للأمانة حاملا فدع نافعاً وأنظر لها من يطيقها
فإن الفتى خَبٌّ كذوب وإنه له نفس سوء يجتويها صديقها
متى يخلُ يوماً وحده بأمانة تُغَل جميعاً أو يُغَل فريقها
على أنه أبقى الرجال سمانة كما كلُّ مسمان الكلاب سَروقها

خطبته في موت علي بن أبي طالب :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي بكر الهذلي قال :

أتى أبا الأسود الدؤلي نعيُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم علياً عليه السلام فقال في خطبته :

« وإن رجلا من أعداء الله المارقة عن دينه ، أغتال أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر

---

(١) مندح : جمع مندوحة : وهي السعة .

(٢) المعرّس : موضع التعريس ؛ وهو نزول القوم في السفر آخر الليل للاستراحة .

فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت الى الله تعالى بالبر والتقى والإيمان والإحسان ! لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ؛ فإنّا لله وإنا اليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حياً » .

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال :

« وقد أوصى بالإمامة بعده الى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه ، وإني لأرجو أن يجبر الله عز وجل به ما وَهى ، ويسدّ به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفئ به نيران الفتنة ، فبايعوه ترشدوا » .

فبايعت الشيعة كلها ، وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك ، وهربوا الى معاوية ، فكتب اليه معاوية ودس اليه رسولاً يُعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح ، ويدعوه الى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعده ويمنّيه ؛ فقال أبو الأسود :

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طُرّاً أجمعينا
قتلتم خيرَ من ركب المطايا ... وخيّسها(١) ومَن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حَذاها(٢) ... ومن قرأ المثاني والمثينا
إذا أستقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلت ... بأنك خيرها حسباً ودينا

---

(١) خيسها : ذللها .

(٢) حذاه نعلاً : أعطاه إياها .

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي عن الهيثم بن عدي عن أبي عبيدة قال :

كان أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لي رزق فسيأتيني ، فقال له :

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدّلاء
تجئك بملئها يوماً ويوماً تجئك بحمأة[1] وقليل ماء

شعره في ابن مولاته لطيفة :

وقال المدائني :

كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة ، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلمّ فأبتاعت له أمة وأنكحته إياها ، فجاءت بغلام فسمته زيداً ، فكانت تؤثره على كل أحد ، وتجد به وجد الأم بولدها ، وجعلته على ضيعتها ، فقال فيه أبو الأسود، وقد مرضت لطيفة :

وزيد هالكٌ هُلك الحبارَى[2] اذا هلكت لطيفة أو مُلمُّ
تبنّتــه فقال وأنت أمي فأنّى بعدها لك زيد أمّ !
تَرُمُّ متاعه وتزيد فيــه وصاحبها لما يحوي مِضَمّ[3]
ستلقى بعدهــا شرّاً وضراً وتقصى إن قرُبت فلا تُضمّ
وتلقاك الملامة كلّ وجــه سلكت وينتحي حاليك ذم

(١) الحمأة : الطين الاسود المنتن .

(٢) الحبارى : طائر .

(٣) مضم : شديد الضم .

قال: فماتت لطيفة من علتها تلك، وورثها أبو الأسود، فطرد زيداً عما كان يتولاه من ضيعتها، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعده.

وقال المدائني أيضاً:

اشترى أبو الأسود أمة للخدمة، فجعلت تتعرض منه للنكاح وتطيب وتشتمل بثوبها، فدعاها أبو الأسود فقال لها: اشتريتك للعمل والخدمة، ولم أشترك للنكاح، فأقبلي على خدمتك، وقال فيها:

أصلاح إني لا أريدك للصبا فدعي التشمل حولنا وتبذّلي[1]
إني أريدك للعجين وللرّحا ولحمل قربتنا وَغلي المرجل
وإذا تروّح ضيف أهلك أو غدا فخذي لآخر أهبة المستقبل

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعي قال حدثنا أبو عُشانة عن ابن عباس قال:

كان المنذر بن الجارود العبدي صديقاً لأبي الأسود الدؤلي تعجبه مجالسته وحديثه، وكان كل واحد منهما يغشى صاحبه؛ وكانت لأبي الأسود مقطّعة[2] من برود يكثر لبسها، فقال له المنذر: لقد أدمنت لبس هذه المقطعة، فقال له أبو الأسود: رب مملول لا يستطاع فراقه؛ فعلم المنذر أنه قد احتاج الى كسوة فأهدى له ثياباً، فقال أبو الاسود يمدحه:

كساك ولم تستكسه فحمدته أخ لك يعطيك الجزيل وناصرُ
وإن أحق الناس إن كنت حامداً بحمدك من أعطاك والعرض وافر

(١) تبذل: لبس البذلة؛ وهي ثوب الخدمة والاعتمال. تشمل بالشملة (بالفتح): تغطى بها، وهي كساء دون القطيفة يلتحف به.

(٢) المقطعات من الثياب: شبه الجباب من الخز وغيره.

أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الاسود يوصي ابنه ، وفي هذه الابيات غناء :

صوت

لا ترسلن رسالة مشهورة لا تستطيع – اذا مضت – إدراكها
أكرم صديق أبيك حيث لقيته واحبُ الكرامة من بَدا لحباكها
لا تبدينَّ نميمة حُدِّثتها وتحفَّظنّ من الذي أنباكها

أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدثنا أبو محمد المروزي عن القحذمي عن بعض الرواة أن أبا الاسود الدؤلي اعتذر الى زياد في شيء جرى بينهما ، فكأنه لم يقبل عذره فأنشأ يقول :

إنني مجرم وأنت أحق الناس أن تقبل الغداة اعتذاري
فاعف عني فقد سُفهت وأنت المرء تعفو عن الهنات الكبار

فتبسم زياد وقال : أما اذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال :

سئل أبو الأسود عن رجل ، واستشير في أن يولّى ولاية ، فقال أبو الأسود : هو ما علمته : أهيسُ أليسُ ، ألدُّ مِلحس[1] ، أن أعطى انتهر[2] ، وإن سئل أزَرَ[3] . قال الأصمعي : الأهيس : الحاد ، ويقال في المثل :

إحدى لياليك فهيسي هيسي

---

(١) ألدّ : جدل شديد الخصومة . والملحس : الحريص ، والذي يأخذ كل شيء يقدر عليه ، والشجاع كأنه يأكل كل شيء يرتفع له .

(٢) انتهره : زجره .

(٣) أزر ، كضرب : تضام وتقبض من بخله .

قال : ويقال ناقة ليساء : اذا كانت لا تبرح من المبرك . قال : وهو مما يوصف به الشجاع[١] ، وأنشد في صفة ثور :

أليس عن حَوبائه[٢] سخي

أخبرني أحمد بن محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال حدثنا أبو محلِّم عن مؤرِّج السدوسي عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال — وكان من أفصح أهل زمانه — قال :

أوصى أبو الأسود الدؤلي كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجةٍ له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً ، فقال أبو الأسود :

لعمري لقد أوصيتُ أمس بحاجتي فتى غير ذي قصدٍ عليّ ولا رؤف[٣]
ولا عارفٍ ما كان بيني وبينه ومن خير ما أدلى به المرء ما عُرف
وما كان ما أمّلتُ منه ففاتني بأول خيرٍ من أخي ثقةٍ صُرف

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدثني أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال حدثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه ، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال :

كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي شاعراً ، وكان صديقاً لأبي الأسود الدؤلي ، فكان يهاديه الشعر ، ثم تغير ما بينهما ، فقال فيه أبو الاسود :

أبلغ أبا الجارود عني رسالة يروح بها الماشي ليلقاك أو يغدو
فيخبرنا ما بال صرمك بعد ما رضيت وما غيّرت من خُلُق بعد

(١) الأليس : الشجاع الذي لا يبالي الحرب .

(٢) الحوباء : النفس .

(٣) رؤف : رءوف .

أأن نلت خيراً سرني حين نلتـه تنكرت حتى قلت ذو لبدةوَرِدُ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوتـه تُمثله لي غـير أنك لا تعدو
فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا وقـد جعلت أسباب أوّله تبدو
فإني اذا ما صاحب رثَّ وصـله وأعرض عني قلت بالأبعد الفقد

وفاته :

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائني في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة . قال المدائني : وقد قيل إنه مات قبل ذلك ؛ وهو أشبه القولين بالصواب ، لأنا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار[1] بذكر ، وذكر مثل هذا القول بعينه . والشك فيه هل أدرك الطاعون الجارف أوّلا ، عن يحيي بن معين . أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني ويحيي بن معين :

صوت

لعمرك أيهـا الرجل لأي الشكل تنتقـل
أتهجر آل زينب أم تزورهم فتعتـدل ؟
هُمُ ركبٌ لقوا ركباً كما قـد تُجمع السُّبل
فذلك دأبنا وبـذا ك تجري بيننا الرسل

الشعر لأبي نفيس بن يَعلى بن مُنية ، والغناء لمعبد خفيف ثقيـل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى ، وفيه لأبن سريج رمل بالوسطى ، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر .

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، كان قد خرج يطلب بدم الحسين رضي الله عنه ، ونشبت بينه وبين مصعب بن الزبير وقائع انتهت بقتله سنة ٦٧ .

أخبار أبي نفيس ونسبه

اسمه حُيَيّ بن يحيى بن يَعلى بن مُنية، وقيل بل اسم أبي نفيس يحيى بن ثعلبة ابن منية، ومنية أمه، ذكر ذلك الزبير بن بكار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد. قال الزبير: وكان عمي يقول: اسمه ميمون بن يعلى؛ وأمه منية بنت غزوان أخت عُتبة بن غزوان، وأبوه أمية بن عبدة بن همام بن جشم بن بكر ابن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وجدت ذلك بخط أبي محلّم النسابة. قال: ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدويّة؛ وهي فُكَيهة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عديّ بن عبد مناة بن تميم، ولدت لمالك بن حنظلة زيداً وصُدَيّاً ويربوعاً، فهم يُدعون بني العدوية.

وكان يعلى بن مُنية حليفاً لبني أميّة وعديداً[1] لهم، وبينه وبينهم صِهر ومناسبة، وقد أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً، وعُمِّر بعده؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن أبي مِخنف عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي الكنود قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مُنيت — أو بليت — بأطوع الناس في الناس عائشة، وبأدهى الناس طلحة، وبأشجع الناس الزبير، وبأكثر الناس مالاً يَعلى بن منية، وبأجود قريش عبد الله بن عامر؛ فقام اليه رجل من الأنصار فقال: والله يا أمير المؤمنين

(١) العديد: الذي يعد من أهلك وليس منهم.

لأنت أشجع من الزبير ، وأدهى من طلحة ، وأطوع فينا من عائشة ، وأجود من ابن عامر ، ولمال الله أكثر من مال يعلى بن منية ، وليكون كما قال الله جل وعز : (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يُغلبون) . فسر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله ثم قام اليه رجل آخر منهم فقال :

أما الزبير فأكفيكه وطلحة يكفيكه وَحوحهْ
ويعلى بن منية عند القتال شديد التثاوب والنحنحه
وعائش يكفيكها واعظ وعائش في الناس مستنصحه
فلا تجزعن فإن الأمور اذا ما أتينـاك مستنجحه
وما يصلح الأمر إلا بنا كما يصلح الجبن بالإنفحه[1]

قال : فسرّ عليّ عليه السلام بقوله ، ودعا له وقال : بارك الله فيك . قال : فأما الزبير فناشده عليّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم ، وأما طلحة فناشده وحوحة ، وكان صديقه وكان من القرّاء ، فذهب لينصرف ، فرماه رجل من عسكرهم فقتله .

فأما ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم فكثير ، ولكني أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره .

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن عباد المكي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن منية عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر : (ونادَوا يا مالك ليقض علينا ربُك) . وقد روى يعلى عنه صلى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه .

---

(١) الانفحة : شيء يستخرج من بطن الجدي الراضع أصفر فيعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ كالجبن .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن أبي مخنف قال: أقرض يعلى بن منية الزبير بن العوّام حين خرج الى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أباه قتل يومئذٍ ولم يقضه إياها.

قال: ولما صاروا الى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة، فاتفقا على أن يصلي أبن هذا يوماً وابن هذا يوماً، وقال شاعرهم في ذلك:

تبارى الغلامان إذ صلّيا وشحّ على الملك شيخاهما
ومالي وطلحة وأبن الزبير وهذا بذي الجزع مولاهما[1]
فأمّهما[2] اليوم غرّتهما ويعلى بن منية دلّاهما

رثى يعلى زوجته حين توفيت بتهامة:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيي عن جده عبد الحميد قال:

كان يعلى بن منية – ويكنى أبا نفيس، وسمعت غير جدّي يقول أسمه يحيي وهو من بني العدوية من بني تميم من بني حنظلة – تزوج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب، ولهم حِلف في بني غِفار، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن:

نحن بنات طارقٍ نمشي على النمارق[3]

فتوفيت بتهامة فقال يرثيها:

(١) جزع الوادي: منعطفه.

(٢) أمها: يعني عائشة أم المؤمنين.

(٣) النمارق: جمع نمرقة وهي البساط.

يا ربِّ ربَّ الناس لما نَجَبوا   وحين أفضَوْا من منًى وحصبوا [١]
لا يُسقيَنَّ ملحٌ وعُليَبٌ   والمستراد لا سقاه الكوكب [٢]
من أجل حُماهن ماتت زينب

قال الزبير: وأنشدنيها عمي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية، قال: واسمه ميمون، وكان عمي يقول: اسم أبي نفيس ميمون بن يعلى، وقال في الابيات:

لا يسقين عُنببٌ وعُليَبٌ [٣]

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيي عن جدّه غسّان بن عبد الحميد قال:

رأت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنات طارق اللواتي يقلن:

نحن بنات طارقِ   نمشي على النمارقِ

فقالت: أخطأ من يقول: الخيل أحسن من النساء.

قال: وقالت هند بنت عُتبة لمشركي قريش يوم أُحد:

نحن بنات طارقِ   نمشي على النمارقِ
الدرُّ في المخانقِ [٤]   والمسك في المفارق
إن تُقبلوا نُعانق   أو تُدبروا نفارق
فِراقَ غيرِ وامق

---

(١) نجبوا: ساروا سيراً سريعاً دائباً (يعني الحجيج). حصبوا: رموا بالحصباء؛ وهي الجمار.

(٢) ملح: موضع من ديار بني جعدة باليمامة. وعليب: موضع بين الكوفة والبصرة. والمستراد: موضع في سواد العراق من منازل إياد. والكوكب: الماء.

(٣) عنبب: اسم موضع.

(٤) المخنقة: موضع القلادة.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيي بن عبد الملك الهُدَيري قال :

جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الحزامي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متقنع ، فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد :

نحن بنات طارقِ

فقال : وما طارق ؟ فقلت : النجم . فالتفت الضحاك فقال : أبا زكريا ، وكيف بذاك ؟ فقلت : قال الله عز وجل : ﴿ والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ﴾ . فقالت : إنما نحن بنات النجم ، فقال : أحسنت .

صوت

خليليَّ قوما في عطالة[1] فانظرا أناراً أرى من نحو يبرين أم برقا
فإن يك برقا فهو في مُشمَخِرّة تغادر ماء لا قليلاً ولا طرقا[2]
وإن تك ناراً فهي نار بلتقًى من الريح تسفيها وتصفقها صفقا[3]

— ويروى : « تزهاها وتعفقها[4] عفقا » —

لأمّ عليٍّ أوقدتها طماعةً لأوبة سَفر أن تكون لهم وفقا

الشعر لسويد بن كراع ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيي المكي ، وذكر غيره أنه لابن مسجح .

(١) عطالة : جبل منيف بديار بني سعد .
(٢) المشمخر : الجبل العالي . الطرق: الماء المجتمع الذي خيض فيه فكدر فهو مطروق وطرق.
(٣) صفقته الريح : ضربته وحركته .
(٤) زهت الريح النبات : هزته غب الندى . وعفقها : جمعها وضمها .

أخبار سويد بن كراع ونسبه

سُويد بن كراع[1] العكلي ، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكل . شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية . وكان في آخر أيام جرير والفرزدق .

وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال :

كان سويد بن كراع شاعراً مُحكماً ، وكان رجل بني عُكل وذا الرأي والتقدّم فيهم ، وعُكل وضبّة وعديّ وتَيم هم الرّباب .

قال : وكان بعض بني عدي ضرب رجلاً من بني ضبّة ، ثم من بني السيّد ، وهم قوم نُكدٌ[2] شُرس ، وهم أخوال الفرزدق ؛ فاجتمعوا حتى ألمّ أن يكون بينهم شرّ ، فجاء رجل من بني عدي فأعطى يده رهينة[3] لينظروا ما يصنع المضروب ، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيفان[4]) حليف بني عبد الله بن دارم :

أسالمُ إني لا إخالــك سالماً   أتيتَ بني السِّيد الغواة الأشائما
أسالم إن أفلتَ من شرّ هذه   فوائل فِراراً إنما كنت حالما[5]

(١) كراع : اسم أمه لا ينصرف ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : سلمة العكلي (تاج العروس) .

(٢) نكد : جمع أنكد ، وهو الرجل العسر الشديد الشرّ .

(٣) أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للأسر .

(٤) الطيفان : أم خالد بن علقمة .

(٥) واءل : طلب النجاة .

أسالم ما أعطي ابنُ مامة مثلها ولا حاتمٌ فيما بلا الناس حاتما

قال شعراً يردّ به على خالد بن علقمة :

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك :

أشاعرَ عبد الله إن كنتَ لائماً فإني لما تأتي من الأمر لائمُ
تحضِّض أفناء[1] الرّباب سفاهةً وعرضك موفور وليلك نائم
وهل عجبٌ أن تدرك السّيد وِترها وتصبر للحق[2] السَّراة الأكارم!
رأيتك لم تمنع طُهَيَّة[3] حكمها وأعطيت يربوعاً وأنفك راغم
وأنت امرؤ لا تقبل النصح طائعاً ولكن متى تُقهر فإنك رائم[4]

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيباني أتمّ منه ها هنا وأوضح فذكرته، قال :

كان بين بني السيد بن مالك ، من ضبة ، وبين بني عدي بن عبد مناة ترامٍ على خبراء بالصّمان[5] يقال لها ذات الزجاج ، فرُمي عمرو بن حشفة أخو بني شُتَيم فمات ، ورمت بنو السيد رجلاً منهم يقال له مُدلج بن صخر العدويّ فمكث أياماً لم يمت ، فمرّ رجل من بني عدي يقال له معلّل على بني السيد وهو لا يعلم الخبر ، فأخذوه فشدّوه وثاقاً فأفلت منهم ، ومشى بينهم عصمة بن أُبَير التيمي سفيراً ، فقال لسالم بن فلان العدويّ : لو رهنتهم نفسك فإن مات مدلج كان رجل برجلٍ ، وإن لم يمت حملت دية صاحبهم ، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن حِميري أخي بني شُتَيم من بني السيد ، فكان عنده . ثم إن بني السيد لما أبطأ عليهم موت مدلج أتوا أخثم لينتزعوا منه سالماً ويقتلوه ، فقوّض عليه أخثم

(١) أفناء : أخلاط .

(٢) يريد بالحق هنا القصاص .

(٣) طهية ، من بني حنظلة ، وبنو يربوع بن حنظلة أبناء عمومتهم .

(٤) رائم : محب آلف .

(٥) الخبراء : منبت الخبر ، وهو شجر السدر ، والصمان : جبل في أرض تميم .

بيته ثم قال: يا آل أمي – وكانت أمه من بني عبد مناة بن بكر – فمنعه عبد مناة. ثم إن بني السيد قالوا لأختم: الى كم تمنع هذا الرجل! أما الدية فوالله لا نقبلها أبداً. فجعل لهم أجلاً إن لم يمت مدلج فيه دفع اليهم سالماً فقتلوه به. فلما كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلج، فقتلوا سالماً، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارم، وهو ابن الطَّيفان:

أسالمُ ما منَّتك نفسك بعدما ... أتيت بني السيد الغواة الأشائما؟
أسالم قد منتك نفسك إنما ... تكون دِياتٌ ثم ترجع سالما
كذبتَ ولكن ثائر متبسِّل[1] ... يُلَقِّيك مصقولَ الحديدة صارما
أسالم ما أعطى ابن مامة مثلها ... ولا حاتمٌ فيا بلا الناس حاتما
أسالم إن أفلتَّ من شرِّ هذه ... فوائل فراراً إنما كنت حالما
وقد أسلمتْ تيمٌ عدياً فأربعت ... ودلَّت لأسباب المنيَّة سالما[2]

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلام، وزاد فيها أبو عمرو:

دعوتم الى أمر النَّواكة دارما ... فقد تركتكم والنواكة دارمُ
وكنت كذات البوِّ شُرِّمت أستها ... فطابقت لما خرَّمتك الغمائم[3]
فلو كنت مولى مسلت ما تجللت ... به ضبع في ملتقى القوم واحم[4]
ولم يدرك المقتول إلا مجرَّه ... وما أسأرت منه النسور القشاعم[5]

(١) تبسل: عبس غضباً أو شجاعة.

(٢) أسلمت: خذلت. أربعت: اطمأنت، من قولهم: أربع القوم اذا أقاموا في المربع. دلت من التدلية، يقال: دلاه في حفرة القبر أي أرسله فيه والاسباب: الحبال.

(٣) البوّ: جلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من الناقة فتعطف عليه فتدر. وشرمت استها: شققت. وطابقت: أذعنت وبخعت. الغمامة: خرقة كالكرة تدخل في أنف الناقة لئلا تشمّ.

(٤) زعموا أن الرجل اذا ضربت عنقه سقط على وجهه فإذا انتفخ انتفخ غرموله وعظم، فقلبه عند ذلك على القفا، فإذا جاءت الضبع لتأكله، فرأته على تلك الحال استدخلت غرموله وقضت وطرها منه ثم أكلته: وتجلل الفحل الناقة: علاها، والواحم: المشتهية للضراب.

(٥) أسأرت: أبقت. نسر قشعم: مسنّ.

عليكَ ٱبنَ عوف لا تدعه فإنما كفاك موالينا الذي جرّ سالمُ
أتذكر أقواماً كفوك شئونهم وشأنك إلا تركه متفاقم

قال : وقال سويد بن كراع في ذلك :

أرى آل يربوعٍ وأفناء مالكٍ أعضُّوك في الحرب الحديد المنقَّبا[١]
همُ رفعوا فأسَ اللجام فأدركت لهاتك حتى لم تدع لك مَشربا[٢]
فإن عُدت عادوا بالتي ليس فوقها من الشرّ إلا أن تبيتَ مجحَّبا
وتصبح تُدرى الكُعكُبيَّة قاعدا ويُنتف من ليتيك ما كان أزغبا[٣]

— تدرى : تمشط بالمدرى[٤] كما يفعل بالنساء ، والكعكبية : مشطة معروفة —

فهل سألوا فينا سَواء الذي لهم وهل نحن أعطينا سِواه فتعجبا[٥]

ويروى : فهل سألونا خصلة غير حقهم

وهو أجود :

قال : فٱستعدتْ بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفّان على سويد بن كراع في هجائه إياهم ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ، ولم يزل متواريا حتى كلّم فيه، فآمنه على ألّا يعاود ، فقال سويد بن كراع :

تقول ٱبنة العوفيّ ليلى ألا ترى إلى ٱبن كراعٍ لا يزال مفزّعا
مخافة هذين الأميرين سهّدت رُقادي وغشَّتني بياضاً تفرّعا[٦]

(١) المنقب : المثقب . أعضوك الحديد : جعلوك تعضه .

(٢) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . فأس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

(٣) الليت : صفحة العنق . الزغب : صغار الشعر .

(٤) المدرى : المشط .

(٥) سواء وسوى واحد .

(٦) يريد سعيد بن عثمان ومن ينوب عنه أو يحفر معه ، ورجل مقزع : دقيق شعر الرأس متفرقه لا يرى على رأسه إلا شعرات متفرقة تتطاير مع الريح .

على غير جرم غير أن جار ظالمٍ ... عليّ تجهزتُ القصيد المفرّعا
وقد هابني الأقوام لمّا رميتهم ... بفاقرة[١] إن همّ أن يتشجعا
أبيتُ بأبواب القوافي كأنما ... أصادي[٢] بها سرباً من الوحش نُزّعا
أكالئها[٣] حتى أعرّس بعدما ... يكون سُحيرٌ أو بُعيدُ فأهجعا
نجشّمني خوفُ ابن عثمان ردَّها ... ورعيتهم صيفاً جديداً ومربعا
نهاني ابن عثمان الإمام وقد مضت ... نوافذ لو تردي الصفا لتصدعا[٤]
عوارقُ[٥] ما يتركن لحماً بعظمه ... ولا عظم لحم دون أن يتمزّعا
أحقاً هداك الله أن جار ظالم ... فأنكر مظلوم بأن يؤخذا معا
وأنت ابن حكّام أقاموا وقوّموا ... قروناً وأعطوا نائلاً غير أقطعا[٦]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمّاد بن اسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال :

انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم ، فجاور بني قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة بن قُرَيع وأرعاه ، ووصله وكساه . فلم يزل مقيماً فيهم حتى أحيا[٧] ، ثم ودّعهم وأتى بغيضاً وهم في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله .

قال حمّاد : ومن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً ، وهي لسويد بن كراع :

(١) فاقرة : داهية تكسر الفقار .
(٢) صاداه : داراه وساتره .
(٣) أكالئها : أراقبها وأراعيها .
(٤) رداه : رماه . الصفا : الحجارة الصلدة الضخمة واحدتها صفاة .
(٥) عوارق : جمع عارقة ، من عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .
(٦) الاقطع : المقطوع اليد .
(٧) أحيا : حسنت حال مواشيه .

ارتعتُ للزَّور إذ حيًّا وأرَّقني ... ولم يكن دانياً منّاً ولا صددا [1]
ودونه سبسبٌ تُنضي المطيَّ به ... حتى ترى العنسَ تُلقي رحلها الأجدا [2]
إذا ذكرتك فاضت عبرتي درراً ... وكاد مكتوم قلبي يصدع الكبدا
وذاك منّي هوًى قد كان أضمره ... قلبي فما أزداد من نقص ولا نفدا
وقد أرانا وحال الناس صالحةٌ ... نحتلُّ مربوعةً أُدمّان أو برَدى [3]
ليت الشباب وذاك العصر راجعنا ... فلم نزل كالذي كنا به أبدا
أيام أعلم كم أعملتُ نحوكم ... من عرمسٍ عاقدٍ لم ترأم الولدا [4]
تصيخ عند السرى في البيد ساميةً ... سطعاء تنهض في ميتائها صُعُدا [5]
كأن رَحلي على حُمشٍ قوائمه ... برمل عِرنان أمسي طاوياً وَحَدا [6]
هاجت عليه من الجوزاء ساريةٌ ... وَطفاء تحمل جَوناً مُردفاً نضدا [7]
فألجأته الى أرطاة عانكةٍ ... فَيحاء ينهال منها تُربُ ما التبدا [8]

---

(١) الزور : الطيف . الصدد : القصد والقرب .

(٢) سبسب : مفازة . أنضاه السفر : أهزله . العنس : الناقة الصلبة . ناقة أجد : قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر .

(٣) أدمان : شعبة بينها وبين بدر ثلاثة أيام . بردى : جبل بالحجاز . ربعت الارض فهي مربوعة : أصابها مطر الربيع .

(٤) العرمس : الناقة الصلبة . ناقة قاعد : تعقد بذنبها عند اللقاح . رئمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته .

(٥) أصاخ له : استمع . سطعاء : طويلة العنق . الميتاء : الطريق المسلوك .

(٦) على حمش قوائمه ، أي على ثور وحشي قوائمه حمش أي دقاق ، وعرنان : اسم واد دون وادي القرى الى فيد ، كثير الوحش ، طاويا : ضامراً . وحداً : وحيداً منفرداً .

(٧) الجوزاء : من بروج السماء . السارية : السحابة تسري ليلاً . سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها ، أو هي الدائمة السح الحثيثة . والجون يطلق على الاسود والابيض . مردفاً : متتابعاً متوالياً . النضد : السحاب المتراكم .

(٨) الارطاة : واحدة الارطى وهو شجر ينبت بالرمل ، وعنك الرمل : تعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة عانك : فيها تعقد لا يقدر البعير على المشي فيها إلا أن يحبو ، فيحاء : واسعة . التبد : تلبد بعضه على بعض .

تخال عِطفيه من جول الرّذاذ به ... منظّماً ببديٍ داريّةٍ فَرَدا[1]
حتى اذا ما انجلت عنه دُجُنَّته[2] ... وكشّف الصبح عنه الليل فاطّردا
غدا كذي التاج حلّته أساورةٌ ... كأنما أجتاب في حرّ الضحى سندا[3]

وهي طويلة أختصرتها، يقول فيها :

لا يُبعد الله إذ ودّعت أرضهم ... أخي بغيضاً ولكن غيرُه بَعُدا[4]
لا يبعد الله من يعطي الجزيل ومن ... يحبو الخليل وما أكدى وما صلدا[5]
ومن تُلاقيه بالمعروف معترفاً ... اذا أجرهدّ صفا المذموم أو صلدا[6]
لاقيته مُفضلاً تندى أنامله ... إن يُعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا
تجيء عفواً اذا جاءت عطيّته ... ولا تخالط ترنيقاً ولا زهدا[7]
أولاه بالمفخر الأعلى وأعظمه ... خُلقاً وأوسعه خيراً ومنتفدا[8]
إذا تكلّف أقوامٌ صنائعه ... لاقوا — ولم يظلموا — من دونها صعدا[9]
بجرٌ اذا نكس الأقوام[10] أو ضجروا ... لاقيتَ خير يديه دائماً رغدا

(١) العطف : الجانب . جول : جولان . الداريّة : المنسوبة الى دارين . فرد : (كسبب وعنق) : منقطع القرين لا مثل له في جودته .

(٢) الدجنة : الظلمة .

(٣) اجتاب القميص : لبسه . السند : ضرب من البرود .

(٤) بعد : هلك .

(٥) أكدى : بخل وقل خيره . صلد : بخل .

(٦) اجرهدت الارض : لم يوجد فيها نبت ولا مرعى . صلد الزند : صوّت ولم يور ، ويقال للبخيل : صلدت زناده .

(٧) الترنيق : التكدير ، والزهد : القلة .

(٨) يقال في ماله منتفد ، أي سعة .

(٩) الصعد : المشقة .

(١٠) نكس رأسه : طأطأه .

لا يحسب المدح خدعاً حين تمدحه ولا يرى البخل مَنهاةً له أبدا
إني لرافـده وُدّي ومنصرتي وحافظٌ غيبه إن غاب أو شهدا

صوت

حنَتني حانيـات الدهر حتى كأني خاتلٌ يدنو لصَيـدِ
قريب الخطوِ يَحسب من رآني – ولست مقيَّـداً – أني بقَيد

عروضه من الوافر . الخاتل : الذي يتقتّر (١) للصيد وينحني حتى لا يُرى . ويقال لكل من أراد خِداع صيدٍ أو إنسانٍ : ختله ، وورّى أمره فلم يُظهره . ومن رواه : « كأني حابل » فإنه يعني الذي ينصب حِبالةً للصيد . الشعر لأبي الطَّمحان القَيني . والغناء لإبراهيم ماخوريّ وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى . وذكر ابن حبيب أن هذا الشعر للمسجاح بن سباع الضبي ، فإن كان ذلك على ما قال فلأبي الطمحان مما يُغنّى فيه من شعره ولا يُشَكّ فيه أنه له قوله :

صوت

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظَم الجزع ثاقبُهْ

الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل ، وذكر ابن المعتز أن خفيف الرمل لها وأن الثقيل الثاني لغيرها .

(١) يتقتر : يتهيأ .

فهرس

المجلد الثاني عشر

اخبار ابي وجزة ونسبه

اخبار عقيل بن علفة

اخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

اخبار دقاق

نسب يزيد بن الحكم واخباره

تراجم المجلد الثاني عشر